الدراسات الأفريقية والعربية

فصلية دولية علمية محكمة تصدر عن:
المركز العراقي الأفريقي للدراسات الإستراتيجية

المجلد الخامس العدد (20) سبتمبر 2022

Iraqi - African Center for Strategies Studies
Tel: 00964776837196
(NGO) 1E78478
http://ciaes.net/
http://afroar.com

مجلة الدراسات الأفريقية والعربية

African & Arab Studies

International Scientific Periodical Journal Issued
by the Iraqi - African Center for Strategies Studies
ISSN: 2709 - 2828

تصدر عن:
المركز العراقي الأفريقي
Iraqi - African Center for Strategies Studies

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد
2018/1819
بالتعاون مع

وكيل المجلة في ليبيا
دار البيان للنشر والتوزيع

مخبر الحوكمة والتنمية
المستدامة بجامعة البليدة 2

وكيل المجلة بجمهورية مصر العربية
مؤسسة النيل للدراسات الأفريقية
والإستراتيجية

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية – ليبيا
2018/155

الترقيم الدولي بالمركز الدولي

(CJEPS) – فرنسا
ISSN: 2709 – 2828

معامل التأثير العربي لعام 2021 -2022
2.8 بترتيب 12 من 2157 مجلة عربية

الهيئة التحريرية للمجلة

رئيس التحرير

د. دينا العشري (مصر)

مدير التحرير:

أ. رشا العشري (مصر)

سكرتير التحرير

د. عبدالناصر محمد مأمون (مصر)

أ.عبيد إميجن (موريتانيا)

أ. مصطفى دردق (السودان)

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد (السودان)

رئيس مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

د. عزيز بن طالب (المغرب)

رئيس المركز الدولي للواحات والمناطق الجبالية

د. أحمد قاسم أحمد (تشاد)

مدير مركز البحوث والدراسات الأفريقية والترجمة بجامعة الملك فيصل

د. علاء حسين فرج عبيد (العراق)

مدرس دكتور جامعة المستنصرية

د. خالد خميس السحاتي (ليبيا)

محاضر بقسم العلوم السياسية – كلية الاقتصاد والعلو مالسياسية – جامعة بنغازي

د. خالدة سالم بابكر(السودان)

باحثة متخصصة في الشأن الأفريقي

أ.محمد عز الدين (مصر)

رئيس مؤسسة النيل للدراسات الأفريقية

المستشار الإعلامي للمجلة

د. روبي عبد العال

أ. رؤوف رضوان

التنسيق والمراجعة والإخراج :

أ. أيمن خليفة

تصميم الغلاف:

م. كمال سند

الهيئة العلمية الإستشارية للمجلة

رئيس الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. علاء التميمي

أ.د. عطية محمود الطنطاوي

أستاذ الجغرافيا الطبيعية بقسم الجغرافيا ونظم المعلومات الجغرافية. وقائم بأعمال عميد كلية الدراسات الإفريقية العليا جامعة القاهرة (مصر)

أ.د. محمود أبو العينين

أستاذ العلاقات الدولية ورئيس قسم السياسة والاقتصاد – كلية الدراسات الإفريقية العليا جامعة القاهرة (مصر)

أ.د. مولاي إبراهيم سدرة

أستاذ التعليم العالي بجامعة مولاي إسماعيل بمكناس (عميد كلية العلوم والتقنيات بالرشيدية) (المغرب)

أ.د. ناصر النائي آدم

عميد كلية الدراسات العليا – جامعة الملك فيصل (تشاد)

أ.د. ريم موسى

أستاذ العلوم السياسية وعميد كلية الدراسات الاجتماعية والاقتصادية جامعة بحري (السودان).

أ.د. محمد المختار جي

استاذ وباحث أكاديمي رئيس مركز البحوث والدراسات الإفريقية بالسنغال وأمين عام للاتحاد العربي الإفريقي للتنمية المستدامة المتكاملة التابع لجامعة الدول العربية بالسنغال (السنغال)

أ. د. بلهول نسيم

أستاذ محاضر بقسم العلوم السياسية– جامعة البليدة 2 (الجزائر).

أ.د. صالح زياني

أستاذ تعليم عالي في العلوم السياسية، جامعة باتنة 1 (الجزائر).

أ. د. بن يزة يوسف

أستاذ تعليم عالي في العلوم السياسية، جامعة جامعة باتنة 1 (الجزائر).

أ.د مصعب الجمل

رئيس جامعة سليمان الدولية – بريطانيا (سوريا)

الهيئة العلمية الإستشارية للمجلة

أ.د. عبد الكريم الوزان

عميد كلية الإعلام بالجامعة الإسلامية بمينيسوتا الولايات المتحدة الأمريكية، وعميد كلية الإعلام والاتصال بجامعة سليمان الدولية بريطانيا (العراق)

أ.د. حنان صبحي عبد الله عبيد

مدير العلاقات الدولية الخارجية لندن للبحوث – لندن بريطانيا ورئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة الأمريكية مينيسوتا الولايات المتحدة الأمريكية (بريطانيا)

أ.د ناصر الفضلي

رئيس مركز لندن للبحوث (بريطانيا)

د. محمد علي عبد العزيز

مدير عام مركز لندن للبحوث (مصر)

د. زينب محمد حامد محمد أحمد

أستاذ التاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط – جامعة نواكشوط العصرية (موريتانيا)

د. مهدي دهب حسن دهب

استاذ العلوم السياسية . رئيس قسم العلوم السياسية المشارك بجامعة افريقيا العالمية (السودان).

د. تامر محمود عبدالوهاب

مستشار العميد ومدرس الأنثروبولوجيا الطبيعية بقسم الأنثروبولوجيا كلية الدراسات الإفريقية العليا جامعة القاهرة (مصر).

د. محمد أدريس عبد العزيز

رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة طبرق (ليبيا).

د. سيد رشاد قرني

استاذ الدراسات اللغوية واللغة السواحيلية بقسم اللغات الافريقية كلية الدراسات الإفريقية العليا جامعة القاهرة (مصر).

د. أوان عبد الله الفيضي

الأستاذ المساعد في كلية الحقوق– جامعة الموصل(العراق)

الهيئة العلمية الإستشارية للمجلة

- **د. رامي عاشور**

  دكتور العلوم السياسية والأمن القومي وزميل أكاديمية ناصر العسكرية العليا (مصر).

- **د. محسن الندوي**

  علوم سياسية وعلاقات دولية – رئيس المركز المغربي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية (المغرب).

- **د. عبد السلام بشير خليفة**

  دكتوراه في العلاقات الدولية ـ جامعة الزاوية (ليبيا).

- **د. عوض أحمد حسين شبا**

  نائب مدير مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر(السودان).

- **د. إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب خوجلي**

  أستاذ مشارك – جامعة كسلا – كلية التربية – قسم الجغرافيا (السودان).

- **د. حسين محمد أحمد الربابعة**

  أستاذ مشارك جامعة البلقاء التطبيقية (الأردن).

- **د. منذر احمد صبحي شعشاعة**

  رئيس الاتحاد العربي الأفريقي الأوروبي للشباب (فلسطين)

- **د. محمد زيدان**

  استاذ بقسم الذكاء الاصطناعي بكلية الحاسبات والذكاء الاصطناعي بالغردقة ـ جامعة جنوب الوادي(مصر)

رؤية المجلة وشروط النشر بالمجلة:

"مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" فصلية دولية محكّمة تصدر عن "المركز العراقي الأفريقي للدراسات الاستراتيجية" العراق – بغداد، بالتعاون مع مخبر الحوكمة والتنمية المستدامة بجامعة البليدة 2 الجزائر.

تُعنى المجلة بالدراسات والبحوث والأوراق البحثية عمومًا في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية وكافة القضايا المتعلقة بالقارة الأفريقية ودول حوض النيل والدول العربية، كما تسعى المجلة لتحقيق هدف المركز في التقارب العربي الأفريقي، والاهتمام بالقضايا التي تهم الطرفين اقتصاديًا وسياسيًا، وثقافيا واجتماعيًا، أملا في وجود دراسات وأبحاث تطرح رؤى وأفكار تسهم في تشكيل كيان أفريقي عربي يقف في وجه التحديات والأيدولوجيات الخاطئة التي تفرض على الساحة الدولية، لتكون أفكارنا نحن الأفارقة والعرب معًا يدًا وصوتًا واحدًا يسمع له العالم باهتمام ويسير خلفه وليس العكس.

➢ <u>شروط النشر</u>

- **أن يكون البحث أصيلا معدا خصيصا للمجلة، وألا يكون قد نشر جزئيا أو كليا أو نشر ما يشبهه في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.**
- **أن يرفق البحث بالسيرة العلمية للباحث باللغتين العربية والإنكليزية.**
- **أن يقوم الباحث بإرسال البحث المنسق على شكل ملف مايكروسفت وورد، إلى البريد الإلكتروني: african.arabia@gmail.com**
- **يجب أن يكون البحث مكتوبا بلغة سليمة، مع العناية بما يلحق به من خصوصيات الضبط والرسم والأشكال.**
- **لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة التحرير، إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، على أن يكون خلال مدة أسبوعين من تاريخ تسلّم بحثه.**
- **يحق للمجلة ترجمة البحوث المنشورة في أعداد المجلة الى اللغات الأخرى، من غير الرجوع الى الباحث.**
- **تخضع الابحاث لتقويم سرّي لبيان صلاحيتّها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبِلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآلية الآتية:**

أ- يبلّغ الباحث بتسلّم المادة المرسَلة للنشر خلال مدّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.
ب- يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر موافقة هيئة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقّع.
ت- الأبحاث التي يرى المقوّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة، كي يعملوا على إعدادها نهائيا للنشر.
ث- الأبحاث المرفوضة يبلّغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

- **يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.**
- **يراعى في أسبقية النشر:**

أ- الأبحاث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.
ب- تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث.
ج- تاريخ تقديم الأبحاث التي يتم تعديلها.
د- تنويع مجالات الأبحاث كلما أمكن ذلك.

- **تعبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.**

➢ كيفية اعداد البحث للنشر:

- **يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي اليها.**

➢ عنوان جهة الباحث

- **الملخص التنفيذي باللغة العربية- الإنكليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس كلمات، كما يقدم الملخص بجمل قصيرة ، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل اليها البحث**
- **تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشراته الرئيسية، وصف منهجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.**

كما بجب أن يكون البحث مذيلا بقائمة بيبليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش،

وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الاصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.

- **تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في متن البحث، ويذكر الرقم والمرجع المتعلق به في قائمة المراجع.**
- **ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائيا في القائمة حسب اسم المؤلف وفقا للاتي:**

أ- إذا ا كان المرجع بحثا في دورية: اسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث وإسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

ب- إذا كان المرجع كتابا، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.

ج- إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، اسم الجامعة، السنة.

د- إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب اسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر.

يراوح عدد كلمات البحث بين 2000 و7000 كلمة، وللمجلة أن نتشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد من الكلمات.

يتم تنسيق الورقة على قياس(A4) ، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالتالي:

- **نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هو Simplified Arabic**
- **حجم 14 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس ، 14 غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و14 عادي بالنسبة لحجم المتن.**
- **حجم 11 عادي للجداول والأشكال ، وحجم 9 عادي بالنسبة للملخص والهوامش.**
- **نوع الخط في الأبحاث باللغة الانجليزية Times New Roman ، حجم 14 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم 12 غامق للعناوين الفرعية ، 14 عادي لمتن البحث وترقيم الصفحات، 11 عادي للجداول والأشكال ، 12 عادي للملخص والهوامش.**
- **يراعي عند تقديم المادة البحثية، التباعد المفرد مع ترك هوامش مناسبة (2.5) من جميع الجهات.**

وتعتمد "مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة.

والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الاكاديميين من الدول العربية، والأفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة.

حيث أن "المركز العراقي الافريقي للدراسات الاستراتيجية" جهة اصدار "مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" كما تتولى دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان الليبية التوكيل الرسمي لإصدار المجلة في ليبيا ونشرها في كافة الدول العربية والافريقية، كما يتولى اتحاد الاكاديميين العرب (صنعاء) الذي عقد شراكة مع المجلة، نشر المجلة في كافة ارجاء الوطن العربي...

Iraqi-African Center For Strategic Studies

Tel: 00964776837196/01220801268
(NGO)1E78478
http://ciaes.net/
http://afroar.com

تقرأ في هذا العدد

➢ الافتتاحية ..... بقلم: رئيس التحرير	12
➢ دور الدول الاقليمية الفاعلة في الأزمة السورية إعداد/ د. علاء عبد الحميد(مصر).....	13
➢ المحددات الإقليمية للسياسة الخارجية التركية فترة تولي حزب العدالة والتنمية..... إعداد/ د. عبدالسلام بشير الصغير (ليبيا).....	57
➢ الإطار الدستوري والقانوني للهوية في دول الشمال الأفريقي منذ الاستقلال.....إعداد / طه علي أحمد (مصر).....	85
➢ العلاقات الأورومغاربية (العراقيل والعقبات)..... إعداد/ د.عبدالله عبد السيد الطنطاني(ليبيا).....	121
➢ الدور الإريتري المرتقب في ظل توازنات القوى بالقرن الأفريقي..... إعداد / د. ريم محمد موسى(السودان).....	153
➢ النخب واستخدام القبيلة في اوطاننا ... مقاربات من واقع الحال اعداد/ د. ادريس همد ادم ابراهيم(إريتريا).....	170
➢ اللاجئون في أفريقيا دراسة حالة لدول (أوغندا– رواندا)..... إعداد/د.محمد إدريس عبد العزيز(ليبيا)&د.محمد فؤاد رشوان(مصر)	189
➢ الفن والمقاومة في الحياة السياسية الأفريقية..... إعداد/ د. محمد فؤاد رشوان(مصر).....	217
➢ صور فنية للنداء في سورة البقرة.. دراسة بلاغية..... إعداد /د. آدم إسماعيل أحمد(تشاد).....	241
➢ الأحرف المشبهة بليس (دراسة تطبيقية) في سور الزمر ..... إعداد/د.عبدالله الضو عبدالله الضو & د.محمد علي حريكة عبد الله(السودان).....	272

افتتاحية العدد

كعادة مجلة الدراسات الأفريقية العربية دائما تقدم لنا في كل عدد من أعدادها المتميزة مجموعة متنوعة من الدراسات البحثية الهامة، التي تناقش القضايا المختلفة، في القارة الأفريقية، وكذلك الدول العربية ،وما يجري على الساحة الاقليمية، وفي هذا العدد، أطلت علينا مجلة الدراسات الأفريقية والعربية، ببحوث ودراسات متنوعه ما بين سياسي واقتصادي واجتماعي وكذلك ثقافي، فبدأت بعرض دور الدول الاقليمية الفاعلة في الأزمة السورية، ثم تم استعراض السياسة الخارجية التركية تجاه الثورات العربية في 2011، كما طرحت المجلة لموضوع الإطار الدستوري والقانوني للهوية في دول الشمال الأفريقي منذ الاستقلال،

كما تناولت للعلاقات الأورومغاربية من حيث العراقيل والعقبات، كما تم عرض الدور الإريتري المرتقب في ظل توازنات القوى بالقرن الأفريقي، كما ناقشت المجلة لقضايا اللاجئون في أفريقيا دراسة حالة لدول (أوغندا– رواندا)، كما تناولت المجلة للعلاقة بين الثقافة والسياسة في أفريقيا من خلال عرض دراسة الفن والمقاومة في الحياة السياسية الأفريقية

كما تناولت ايضًا، لصور فنية للنداء في سورة البقرة.. دراسة بلاغية، بالإضافة إلى دراسة أفعال المقاربة (دراسة تطبيقية) في سور البقرة.

وكانت هذه الدراسات والبحوث لمجموعة ايضا متميزة من الباحثين في كل من مصر والسودان وليبيا وتشاد، وإريتريا، وهذا التنوع دائما ما نجده في مجلتنا الرصينة، ونأمل دائما تقديم مزيد من البحوث والدراسات التي تناقش قضايا القارة، وتعرض الحلول لها.

بقلم:
د. دينا العشري
رئيسة التحرير

دور الدول الاقليمية الفاعلة في الأزمة السورية

إعداد/ د. علاء عبد الحميد

أستاذ العلوم السياسية بالاكاديمية العربية

ملخص:

في مشهد أمني معقد و في مرحلة هي من أحرج المراحل التاريخية التي يعيشها الشعب السوري ماتزال الأزمة السورية تراوح مكانها، وتتشابك الأوضاع وذلك بسبب ارتباط الأزمة السورية ارتباطاً وثيقاً بالمحاور الإقليمية والدولية على الرغم أن العوامل التي قادت إلى تفعيل الأزمة الحالية، تتمثل في ارهاصاتها بالترهل المؤسساتي الذي همش قطاعات كبيرة من المجتمع السوري حارماً إياها من المساهمة بفاعلية في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وسيطرة الصبغة الأمنية على كل الجوانب الحياتية. كما أن هناك اختلالات هيكلية وفساد مستشري في القطاع الاقتصادي، وأيضاً خلل مؤسساتي تمثل في ضعف المشاركة السياسية، ولا يمكننا أن نغفل الأسباب الأمنية التي كان لها دوراً كبيراً في إشعال فتيل وتأزم الحالة السورية.

Abstract:

In a complex security scene and in one of the most critical historical stages in which the Syrian people live, the Syrian crisis is still stagnant, and the situation is intertwined because the Syrian crisis is closely linked to regional and international axes, although the factors that led to the activation of the current crisis are represented in its precipitation of institutional slack Which marginalized large sectors of the Syrian society, depriving them of participating effectively in political, economic and social life, and the

control of the security character on all aspects of life. There are also structural imbalances and rampant corruption in the economic sector, as well as an institutional imbalance represented in the weakness of political participation, and we cannot ignore the security reasons that played a major role in igniting the fuse and the worsening of the Syrian situation.

مقدمة :

فلم تترك الازمة السورية أية فرصة لأي شريحة من شرائح الشعب السوري للحصول على القليل من أسباب الراحة و الرفاهية أوالاستقرار، فموجات النازحين باتت تخترق حدود الدول المجاورة والدول الأوروبية، وتعيش أوضاعاً مأساوية، وآلة القتل تلاحقهم في كل مكان بعد أن تم تدمير منازلهم. إضافة لذلك بدأت أعمال تطهير عرقي تجري في عدة محافظات سورية لا سيما الغوطة الشرقية والغربية، ومع ازدياد وتيرة العنف، ونزوح المدنيون من مكان إلى آخر، بحثاً عن الأمان لهم ولأولادهم وكبار السن، وأصبحت حياتهم تقتصر على انتظار المساعدات الإنسانية من أطعمة وحليب لأطفالهم، ولم تكن تلك الأحداث وليدة الصدفة ولكنها جاءت نتيجة تراكمات ممارسات عقود عدة.

شهدت الأزمة السورية حالة متشابكة من الاصطفاف الإقليمي والدولي، ويعود السبب الرئيسي في ذلك الى الجيوستراتجية السورية التي تمثل العامل الأهم في توازنات إقليمية دقيقة. فمع بدء الاحتجاجات السورية، تطورت الأحداث سريعاً من حالة الانتفاضة إلى حالة الأزمة مع ازدياد التدخلات الاقليمية بسبب عدة عوامل أبرزها الداخلي والمتمثل في رد الفعل العنيف من قبل قوات الشرطة والأمن السوري. ومع تكرار استخدام العنف المبرح من قبل رجال النظام السوري تجاه المتظاهرين، بدأ الشعب باستخدام الرصاص للدفاع عن النفس، الأمر الذي تطورت معه الأحداث داخلياً إلى ما يشبه صراع مسلح،

بالإضافة إلى تدخل الجماعات الجهادية التي باتت تتدفق على الاراضي السورية من العواصم الإقليمية، مما زاد الأمر تأزماً.

تعتبر الأزمة السورية واحدة من أدق الأزمات في مرحلة هي من أحرج المراحل التاريخية للعالم العربي. فقد بدأت إرهاصات الأزمة السورية داخلية ثمّ سرعان ما تحوّلت إلى صراع إراداتٍ إقليمي ودولي، تغلبُ فيه الحسابات الجيوسياسية، والمصالح الاستراتجية. البداية كانت في درعا من خلال بعض الأصوات التي تطالب بالحرية تيمنًا بما حدث في تونس ومصر، من ثورات الربيع العربي .

لكن النظام لم يعر اهتمامًا إلى تلك الأصوات، بل تعامل معها بعنف مبالغ وبأسلوب مفرط في القوة، لمحاولة إخمادها في المهد. إنّ سوء إدارة الأزمة من قبل رجال النظام السوري أدى إلى تفاقمها وتطورها وخروجها عن السيطرة، وسرعان ما تحولت الاحتجاجات والمطالبات الفئوية إلى مصادمات عنيفة أزهقت الكثير من الأرواح، تطورت معها الأزمة السورية فتدخلت العديد من القوى الإقليمية والدولية، وشكل الحراك مدخلًا لإعادة رسم تحالفات المنطقة وتوازناتها، وهو ما أدى إلى تشابك الأزمة، وزيادة تعقيدها، بسبب تكالب القوى الإقليمية والدولية على الموقع الجيوبولتيكي للدولة السورية ومحاولة استقطابها، و دخلت دمشق في لعبة المحاور الاقليمية و التي لا يخرج منها أي طرف منتصر لما في ذلك من عامل مرجح في التوازنات الإقليمية لمنطقة الشرق الأوسط.

ونظرًا لحالة الانقسام العمودي داخل المجتمع السوري بين مؤيد للنظام ومعارض له، وشدة الاستقطاب الإقليمي والدولي، شهدت الأزمة السورية مزيدًا من الانحدار وفائضًا من الاحتقان، وخصوصًا بعد أن تطورت إلى صراع إسلامي يحمل بين طياته طابعًا مذهبيًّا، وهو ما أدى إلى تدفق الآلاف من المقاتلين الأجانب على سورية بذريعة الجهاد والدفاع عن المقدسات الإسلامية لتصبح سورية ملاذاً لكافة الجماعات الجهادية، مثلما كانت أفغانستان في صراعها مع السوفيات في سبعينيات القرن الماضي.

كل ذلك كان سببًا في سفك المزيد من الدماء وتشريد الأبرياء، وما زالت تُرتكب المجازر حتى اليوم، ويستباح القتل، بصورة يومية ضد المدنيين، وترتكب أفظع الانتهاكات

بحق الأطفال والنساء، ومازال التشريد والاغتصاب والسبي والتعذيب مستمرًا، إضافة الى استخدام البراميل المتفجرة، والقصف العشوائي للمناطق المدنية، التي لا تفرق بين الحجر والبشر من مختلف أطراف الأزمة، فكل يوم هجمات دموية تُمارس فيها أفظع عمليات القتل والإبادة الجماعية، ومشاهد متبادلة من الذبح والحرق وقطع الرؤوس والتمثيل بالجثث، وهو ما يتناقض مع مبادئ الأديان والمذاهب كافة.

وفي ذات السياق هناك أسباب متمثلة في أطراف إقليمية، لها مصالح متناقضة مع أطراف إقليمية أخرى. فتركيا ومعها معظم العواصم العربية ترى في سقوط نظام الأسد حلاً لهذه الأزمة، وقد عملت هذه الدول على تحقيق هذا المطلب بإمداد ودعم فصائل المعارضة بالسلاح والمال.وعلى صعيد آخر، هناك إيران وحزب الله يجدون في سقوط الأسد خطراً كبيراً على مصالحهم الإستراتيجية في منطقة الشرق الأوسط وتوازن القوى.

أما الأسباب الدولية فهي لا تقل أهمية في تأزم الحالة السورية عن الأسباب الاقليمية و الداخلية. فروسيا والصين كانتا عقبة أمام أي حل سياسي سلمي، باستعمالهما المفرط في استخدام حق النقض الفيتو ضد أي قرار يتخذه المجتمع الدولي بمجلس الأمن، كما أن الموقف المرتبك وغير الفعال للولايات المتحدة والدول الأوروبية أدى إلى مزيد من تشابك الأزمة أكثر من أي وقت.

إشكالية تداول السلطة في سوريا:

لم يقترب الرئيس بشار الأسد من المؤسسات البيروقراطية ذاتها، التي ورثها عن والده في الجبهة الوطنية التقدمية التي قامت أساساً على ترسيخ أسس النظام التسلطي الذي أرساه الرئيس حافظ الأسد، وتوسيع قاعدة دعمه السياسي خارج إطار حزب البعث[1].

([1]) رضوان زيادة، السلطة والاستخبارات في سورية، (بيروت، رياض الريس،2013) ، ص 122.

وبرغم انتشار الفساد في كل مفاصل الدولة السورية، بقيت الهوة بين الفقراء والأغنياء مقبولة حتى هذا اليوم وخصوصًا بالمقارنة مع الدول المجاورة حيث تشكل أحياء الفقر جزءاً من الحياة اليومية، فالاشتراكية المتبقية في سورية لم تخفق في ترك أثر اجتماعي[1].

بدأت قصة ولادة مفهوم المجتمع المدني كمدخل لفكرة التحول الديمقراطي من خلال اجتماعات دورية لعدد من المثقفين ذوي الاتجاه اليساري، وذلك قبل وفاة الرئيس حافظ الأسد، لقد كان النقاش يتمحور حول ضرورة استعاده المجتمع لدوره بعد استبعاده من قبل السلطة على مدى سنوات طويلة [2].

ازداد نشاط حركة "ربيع دمشق" الذي تمثل في المشاركة في عدد من المنتديات السياسية والسماح بالتعبير عن الرأي والنقد دون محاسبة أو مراقبة وبدأت الأصوات تتعالى داخل هذه المنتديات للمطالبة بإصلاحات سياسية شاملة تبدأ بوقف العمل بقانون الطوارئ المعمول به منذ عام 1963 وإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين والسماح بتشكيل أحزاب سياسية وإصدار قانون عصري للإعلام يسمح بإصدار صحف ومجلات خاصة، وهذا يقتضي قبل كل ذلك إدخال تعديلات جوهرية على الدستور السوري [3].

بدأ النمو المتسارع في عدد من منظمات المجتمع المدني، والمجموعات المؤيدة للديمقراطية وارتفع مستوى الانتقاد الموجه إلى الحكومة، فاعترضت مراكز القوى في الحرس القديم على ذلك وتقدموا أساساً من بشار وحذروه من التأثيرات المؤذية لخطوته الانفتاحيه في المجتمع [4].

([1]) كارستين ويلاند، حازم نهار(مترجم): سورية الاقتراع أم الرصاص؟،بيروت رياض الريس،2011،ص 95.

([2]) رضوان زيادة، مصدر سابق، ص 145.

([3]) رضوان زيادة، حزب البعث العربي الاشتراكي في سورية من الفكرة القومية إلى ترسيخ السلطوية، مرجع سابق

([4]) دايفيد دبليو ليش، وأنطوان باسيل (مترجم)، سورية سقوط مملكة الأسد، (بيروت، شركة المطبوعات الحديثة، ط1، 2014)، ص22.

وفجأة انقلبت القيادة السياسية السورية بقوة ضد "ربيع دمشق" وألصقت بحق الناشطين فيه عددا كبيرا من الاتهامات وانتهت بشن حملة من الاعتقالات شملت عددا من الفاعلين المؤثرين داخل حراكه، وهذا ما سبب خيبة أمل واسعة بالرئيس الجديد كإصلاحي محتمل للحياة السياسية في سورية، إذ بدأ يتحدث بعدها عن تبني النموذج الصيني في الإصلاح حيث تكون الأسبقية للتحديث الاقتصادي على الإصلاح السياسي [1].

وشأن غالبية الدول العربية، استجاب النظام السوري ظاهرياً للمطالب الشعبية والضغوط الدولية بتحقيق مزيد من الاصلاح السياسي، وخلال مؤتمر حزب البعث عام 2005 تقرر رفع حالة الطوارئ وإقرار التعددية السياسية، غير أنّ أيًّا من هذه البنود لم يتحقق على أرض الواقع .

الصعوبات البيروقراطية الضخمة، والتي تواكبت مع ارتفاع مؤشرات الفساد أدت إلى عجز، وترهل داخل مؤسسات الدولة السورية مما أنشأ نمطًا من التحالفات الأمنية الاقتصادية التي احتكرت الصفقات التجارية، والاستثمارات الخارجية التي جرت لحساب مصلحة المستفيدين من النظام، وغابت عنها المنافسة والشفافية اللازمة لتطوير أي قطاع اقتصادي [2].

ارتفعت أصوات المعارضة السورية عقب اغتيال الرئيس الحريري في فبراير 2005، وما تبعها من انسحاب للقوات السورية من لبنان في أبريل ومن ضغط دولي هائل على

([1]) Makovsky, Alan: Syria under Bashar Al–Asad: The Domestic scene and the "Chinese Model "of reform, policy watch, Washington Institute for Near East Policy, Number 512, January 2001.

([2]) Haddad, Bassam: The Formation and Development of Economic Networks in Syria: Implication for Economic and fiscal Reforms, 1986-2000, in Networks of Privilege in the Middle East: The Politics of Economic reform revisited, edited by Steven Heydemann (New York: Palgrave macmilan, 2004) P. 37-75.

سورية مارسته الولايات المتحدة وفرنسا والسعودية. وبحلول خريف 2005 اعتقد كثيرون أن أيام بشار الأسد في السلطة باتت معدودة وبخاصة مع إشارة التقرير الأولى للجنة التحقيق الدولية في اغتيال الحريري إلى مسؤولية النظام السوري وإلى التورط المباشر لماهر الأسد شقيق الرئيس ولآصف شوكت رئيس الاستخبارات وصهره[1].

وفي العام نفسه، وبعد انسحاب الجيش السوري من لبنان، قام معارضون سوريون بإطلاق «إعلان دمشق للتغيير الوطني الديمقراطي» وهي الفترة ذاتها التي شهدت غياب عدد من أركان النظام على مدى العقود السابقة كعبد الحليم خدام، وغازي كنعان، ومصطفى طلاس، وقد شكلت هذه الأمور أرضا خصبة لإنبات بذور الثورة في سوريا، وتواكب مع تلك الظروف السياسية، حالة التردي الاقتصادي التي شعر بها المواطن السوري، ومجموعة من العوامل الأخرى التي سيتم توضيحها لاحقاً.

تداعيات الأزمة السورية

بعد تطور الأزمة السورية، حدثت العديد من الافرازات والتداعيات ليس على المستوى الداخلي فقط وانما أيضا على الصعيد الاقليمي والدولي، وليس بمبالغة اذا تحدثنا عن فشل الكثير من الجهود على كافة المستويات، في التصدي لهذه الأزمة وردود الفعل ازاءها. سيتناول هذا المبحث تداعيات الأزمة السورية، وذلك من خلال ثلاثة مطالب رئيسية، أولها يتناول التداعيات الداخلية للأزمة، وذلك من خلال التأثيرات السياسية والاقتصادية و الاجتماعية والأمنية، وثانيها يتطرق للتداعيات الإقليمية للأزمة من خلال تداعيات الأزمة السلبية والإيجابية على القوى الإقليمية الرئيسية في الشرق الوسط وهي (تركيا وإيران وإسرائيل) ودورهم في تطوير الازمة، أما المطلب الثالث فيتطرق إلى التداعيات الدولية للأزمة السورية وذلك بتناول دور الاتحاد الأوروبي وما هي ممارساته تجاه أزمة اللاجئين السوريين، إضافة إلى الدور الصيني ورفضه أي مساس بالنظام السوري وانعكاس ذلك على استخدامه الفيتو في مجلس الأمن.

([1]) دايفيد دبليو ليش، المرجع السابق، ص 121.

التداعيات الداخلية للأزمة السورية

اقتربت الأزمة السورية من اثني عشرعاماً في ظل غياب أي رؤية سياسية أو استراتيجية تحقن دماء السوريين، وتعتبر تلك الأزمة من أكبر الأزمات الإنسانية وأكثرها تعقيداً في العصر الحديث، فقد ازدادت وحشية المعارك وازدادت معها التداعيات السلبية والأزمات الإنسانية التي يتعرض لها المواطن السوري، وأصبح الملايين يعيشون في العراء بلا مأوى وبحاجة ملحة للمساعدة العاجلة بعد ان تم تدمير منازلهم وربما يهرب السكان من آلة القتل و ينزحون إلى أماكن أكثر أمنا، مما يؤثر على الخارطة الديمغرافية للمجتمع السوري، ولم تتوانَ كافة أطراف الأزمة عن استخدام ما يمكن وصفه بـ "حصار الحروب"، أو حصار المدن وهو مخالف لكل الأعراف الدولية حيث يحاول كل طرف إجبار الطرف الآخر على الاستسلام بتجويعه ومنع وصول الأغذية والدواء عنه، ثم فرض إملاءات مجحفة عليه، وقد خلفت الأزمة الكثير من التداعيات السياسية، والاقتصادية، والأمنية والاجتماعية، وهو ما سنتطرق اليه في هذا المطلب، حقاَ إنها فترات تاريخية مخيفة وذات اثار وخيمة ربما تدوم عدة سنوات أخرى وربما تدوم معها مأساة الشعب السوري وربما تستمر عواقبها وتداعياتها قرونا طويلة لإزالة تلك الأثار السيئة والمريرة.

أوّلاً: التداعيات السياسية.

لا توجد حياة سياسية في سورية بالمعنى الحقيقي منذ مجيء حزب البعث عام 1963 إلى الحكم، فلم يكن هناك رأي سياسي للمواطن أو حق الاعتراض على الأوضاع السياسية للبلاد، فلا توجد مشاركة من مختلف طوائف الشعب في قيادة البلاد، فليس هناك انتخابات حقيقة أو تداول للسلطة، فبداية اختزل حزب البعث الحياة السياسية في مداره، ثم أصبحت أسرة الأسد هي المتحكم في الحياة السياسية.[1]

([1]) غازي التوبة،" الثورة السورية: الأسباب والتطورات"، (اسطنبول، دراسة مقدمة لمؤتمر الأمة الإسلامية، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية لندن، 1يوليو 2012). تمت زيارة الموقع الساعة 7:00 م، 15 مارس 2017.

http://www.asharqalarabi.org.uk/markaz/m_abhath-10-07-12.htm

وقد "تم تبعيث مؤسسات الدولة المركزية والفرعية، من الوزراء والمديرين العامين، وفتحت أبواب التوظيف والتشغيل في الإدارة المدنية والإنتاجية والخدمية، وفق علاقات القرابة والنسب والصداقة والمحسوبية والولاء، وبإشراف الأجهزة الأمنية"[1].

كما تم تهميش الطبقة الوسطى وأخضعوا مفكريها ومبدعيها للأجهزة الأمنية. بل تضخم دور الأجهزة الأمنية وأصبحت هي التي تصوغ الحياة السياسية، الانتخابات والنقابات واتحادات الطلبة ومجلس الشعب والوزارات كلها أدوات في أيدي الأجهزة الأمنية.

تمكن النظام السوري من بناء علاقات محورية ببعض الدول الاقليمية خلال العقود السابقة لبنان وفلسطين، ثم التحالف الاستراتيجي مع إيران، فضلاً عن تداعيات الاحتلال الاسرائيلي للجولان السوري، وانغلاق الداخل السياسي وبطء النمو الاقتصادي، كل ذلك عكس حال سورية اليوم في عدم القدرة على التوازن [2].

بعد تطور الأزمة السورية أصبح نظام الأسد معزولاً إقليمياً ودولياً، أما داخلياً فقد نجح الأسد في اختزال قرار الطائفة العلوية وأسرها رهينة، حيث ربط مصيرها بمصيره، وقد فعل ذلك على نحو متعمد كي يضمن ولاء الأجهزة الأمنية ويضمن بقاءه في السلطة، واستمر النظام على نفس تصريحاته منذ البداية والتي يعتبر فيها أن سورية تتعرض لمؤامرة كونية تقوم بها تنظيمات إرهابية مدعومة من دول الخليج، ورفض الاعتراف بالثورة السورية، وتزامن ذلك مع فشل النظام في حسم الصراع عسكرياً وإنهاء معاناة السوريين، أما عملية المفاوضات فهي لكسب الوقت واستدراك المعارضة ومنع أي تسوية من شأنها تقديم تنازلات سياسية لتحقيق الأمن والاستقرار.

([1]) جاد الكريم الجباعي، "البنية التسلطية للنظام السوري والنشأة والتطور والمآل"، (بيروت، خلفيات الثورة دراسات سورية، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، أغسطس 2013)، ص229.

([2]) رضوان زيادة، السلطة والاستخبارات في سورية، مصدر سابق، ص 266.

ثانيًا: التداعيات الاقتصادية

منذ الثمانينيات كانت سورية تعاني من مقاطعة غربية ومن حظر اقتصادي فرضته الولايات المتحدة لإضعافها خدمة لإسرائيل، وكرست واشنطن هذه العقوبات عام 2004 كجزء من "قانون معاقبة سورية" وباتت تجددها كل عام، ومنذ بداية الأزمة عام 2011 تضاعفت سياسات العقاب الاقتصادي ليس من الولايات المتحدة ومعظم دول الاتحاد الأوروبي فقط بل من عواصم عربية أيضاً، وبدأت تظهر مفاعيل تلك العقوبات في أواخر عام 2011. وإضافة إلى ذلك فإن تجارة سورية الخارجية تدهورت والسياحة العربية والأجنبية انهارت تقريباً، وانقطع التواصل التجاري والسكاني بين كل من سورية وتركيا [1].

بعد عشر سنوات من بداية الأزمة إزداد التدهور الاقتصادي والذي ترافق مع تضخم العملة الوطنية وغياب المواد الأساسية للمتطلبات الحياتية إضافة إلى نقص حاد في المواد البترولية وهو ما أصبحت معه الحياة شاقة على كافة الأراضي السورية. وأخيرا، فرضت واشنطن قانون قيصر ليزيد من صعوبة الحياة الإقتصادية على السوريين وترافق ذلك مع استفحال جائحة كورونا.

وترتب على الحالة الاقتصادية المتردية، عدم توفر البضائع في المتاجر، ولم يعد ممكنا استخدام بطاقات الائتمان، وتراجعت حركة التجارة، وتوقفت المعامل والحركة الاقتصادية في البلاد، كما تدهور سعر صرف الليرة السورية، وارتفعت اسعار المواد الغذائية واختل القطاع الزراعي، واقفلت المدارس [2].

وقد ارتفع مؤشر التضخم إلى 50 بالمئة، ثم إلى درجات أعلى في الأعوام التالية، حيث تضاعفت أسعار بعض السلع الأساسية كالمازوت والخبز. وتراجعت الزراعة فهبط محصول القمح والشعير عام 2012 إلى النصف (من 4 أو 5 ملايين طن عام 2011 إلى مليوني طن) وفق تقرير منظمة الأغذية الدولية، ما دفع الحكومة إلى استيراد المزيد

([1]) كمال ديب، أزمة في سورية، (بيروت: دار النهار، ط1، 2013)، ص 286.

([2]) دايفيد دبليو ليش(مؤلف)، مرجع سابق، ص 276.

من المواد الغذائية، وقد عمدت كل أطراف الأزمة إلى استهداف الاقتصاد بشكل متعمّد بتدمير المرافق العامة والمؤسسات والأبنية الحكومية والمصانع وتجهيزات البنية التحتية من طرق وجسور وسكك حديد وأنابيب النفط والغاز والمدارس والمستشفيات [1].

وفي نفس السياق عجزت الحكومة السورية عن دفع الرواتب ودعم المتطلبات الحياتية الأساسية لذلك لجأت للاحتياط النقدي وقد وصل عجز الموازنة الى أرقام فلكية قاربت عشرة مليارات دولار في كل عام منذ بداية الأزمة، وإضافة إلى ذلك هبطت واردات الدولة من مبيعات النفط بعد الانخفاض العالمي لأسعار البترول وهو ما أدى الى تضخم هائل ترافق مع هبوط القيمة الشرائية لليرة السورية وهو ما اضطر النظام السوري الى اللجوء للقروض الخارجية لتغطية العجز الهائل في الموازنة العامة للدولة .

ثالثا: التداعيات الاجتماعية

أسفرت الأزمة السورية عن تداعيات اجتماعية جمة، أبرزها ازمة الاندماج الوطني، وتفكيك النسيج الاجتماعي فقد أصبح المجتمع السوري منقسماً على ذاته، معظم الطائفة العلوية وأغلب الأكراد والمسيحيين يؤيدون النظام، بينما باقي الشرائح وعلى رأسها معظم الطائفة السنية تدعم المعارضة، وبمرور الوقت ومع تطور الأزمة، يبدو أن الانقسامات الاجتماعية ازدادت حدة وازداد معها الانقسام العمودي داخل المجتمع السوري .

ناهيك عما أفرزته الأزمة من دمار هائل في الممتلكات ومن خراب شامل للبنية التحتية حيث استمر طرفا الأزمة بقصف المدن والأحياء والقرى وأماكن السكن المكتظة مما أجبر المدنيين على مغادرة منازلهم وترك ممتلكاتهم والنزوح بحثاً عن ملجأ آمن، مما أدى إلى تزايد عدد النازحين الهاربين من آلة القتل التي لا تميز بين الفئات المقاتلة والفئات غير المشاركة، وقد باءت كل الجهود الدولية لتحييد المدنيين السوريين عن أعمال القتال بالفشل، ومن لم يتمكن من الهروب لاقى حتفة تحت الأنقاض، ومن المعروف أن

([1]) كمال ديب، مرجع سابق، ص 286.

العدد الأكبر من الضحايا يتألف من المدنيين العزل، وبنسبة كبيرة من النساء والأطفال والعجز على وجه الخصوص .

وقد تجبر الصراعات الداخلية قطاعات واسعة من السكان على ترك مناطق إقامتهم الأصلية والنزوح منها إلى مناطق أخرى إما داخل الدولة [1]، أو اللجوء إلى دول أخرى[2].

وذلك خوفاً على حياتهم وممتلكاتهم من أن تتعرض للخطر بسبب الحرب، حيث يتعرض اللاجئون والنازحون لمخاطر جمة ربما تصل إلى حد تهديد حياتهم، حتى أن أعداد الوفيات بينهم كثيرا ما تصل إلى أرقام كبيرة، خاصة بين الأشخاص الضعفاء بدنياً مثل الأطفال والمسنين والنساء الحوامل، ويزداد الأمر تعقيدا بسبب المشقات التي يعانيها من تخلفوا عن النزوح أو التي تعانيها المجتمعات المضيفة [3].

([1]) النازحون داخلياً People Internally Displaced (مثلما تطلق عليهم الأمم المتحدة) هم: " الأشخاص أو المجموعات الذين يضطرون إلى الهرب أو إلى ترك أماكن إقامتهم العادية دون أن يعبروا حدًا دوليا معترفا به من حدود دولة، سواء أكان ذلك نتيجة لـ أو رغبة في تفادي منازعات أو حالات عنف سائد أو انتهاكات لحقوق الإنسان أو كوارث طبيعية أو بشرية. والتعريف المذكور هو أكثر التعريفات انتشاراً داخل المجتمع الدولي. وقد وضعه ممثل الأمين العام فرانسيس دينج, حيث ورد في وثيقة بعنوان: " مبادئ توجيهية بشأن النازحين داخليا"، انظر: اللجنة الدولية للصليب الأحمر، النازحون بسبب الحرب، 2003/04/23.

([2]) https://www.icrc.org/ara/resources/documents/misc/5lvjwc.htm اللاجئ طبقاً لاتفاقية جنيف بشأن اللاجئين للعام 1951 هو شخص يوجد خارج بلد جنسيته، بسبب خوف له ما يبرره من التعرض للاضطهاد بسبب العنصر، أو الدين، أو القومية، أو الانتماء إلى طائفة اجتماعية معينة، أو إلى رأى سياسي، ولا يستطيع بسبب ذلك الخوف أو لا يريد أن يستظل بحماية ذلك البلد". وترى المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين أن الأشخاص المدنيين الذين يفرون من جراء الصراعات والحروب الأهلية، والذين تكون دولتهم غير المستعدة لحمايتهم أو العاجزة عن ذلك، ينبغى اعتبارهم لاجئين. ولمزيد من التفصيلات حول مفهوم اللاجئ وحقوقه أنظر: الأمم المتحدة، اتفاقية جنيف الخاصة بوضع اللاجئين.

([3]) اللجنة الدولية للصليب الأحمر، النازحون بسبب الحرب،23-04-2003. تمت زيارة الموقع الساعة 5:00 م، 25 مارس 2017.

والنازحون داخل الأراضي السورية هم من المجموعات المستضعفة التي فشلت في الهروب الى خارج حدود الدولة وهم في حاجة ماسة للمساعدة والحماية من منظمات الاغاثة الدولية لما يواجهونه من نقص في الطعام والدواء وبخاصة الأطفال الذي يتعرضون للموت نتيجة النقص الحاد في متطلبات الحياة الأساسية.

أضف الى كل ذلك ازدياد الوضع المأساوي للعائلات بسبب عدم وجود فرص عمل لهؤلاء النازحين الذين هجروا وظائفهم وأعمالهم، ولا يستطيعون تأمين مصدر رزق للعائلة التي نزحت إلى مناطق جديدة، ناهيك عن التفكك الاجتماعي بعد ان يتوزع أفراد العائلة الواحدة في مناطق متفرقة ومتباعدة بعد فشل النزوح المشترك، أو حجم الضغوط التي يتعرض لها النازحون من سكان المناطق الجديدة وبخاصة وسائل التعنيف الجسدي والمعنوي أو الاستغلال الاجتماعي إما عن طريق زواج القاصرات أو حالات الاغتصاب وهو ما يزيد من مأساة العائلات التي تئن تحت ضغط النزوح .

سقط في الأزمة السورية عدة آلاف من القتلى، وتهجّر ملايين السوريين إلى خارج البلاد، ونزح عدة ملايين إلى مناطق أكثر أمناً داخل سوريا نفسها، هذا فضلاً عن دمار كبير لحق بكل مؤسسات الدولة، وبعدد ضخم من المباني السكنية والمصانع والمحال التجارية، الأمر الذي ترك آثاراً مدمرة على الاقتصاد السوري، وعلى العملة الوطنية، وفرّ المستثمرون من سورية في حين جمّد كثيرون أنشطتهم في انتظار عودة الاستقرار [1].

وبعد مرور خمس سنوات على اندلاع الأزمة، تصدرت سوريا دول العالم من حيث النزوح القسري، حيث تعرض ما يزيد على تسعة ملايين شخص للنزوح من منازلهم.

---

http://www.unhcr.org/ar/4d11b3026.html7https://www.icrc.org/ara/resources/documents

(1) كمال ديب، مصدر سابق، ص 279.

ترافق ذلك مع عجز المجتمع الدولي عن وقف تدهور الأوضاع داخل الأراضي السورية، وهو ما أدى لتفاقم الأزمة الإنسانية، وارتفاع مستمر لنسبة النازحين داخليا، وهو مشهد مؤلم يجسد صورة النازحين السوريين في العراء، أو المشردين داخل المناطق المختلفة، وقد عكست التركيبة الديمغرافية للمجتمع السوري عدم المساواة بين هؤلاء النازحين وبين باقي فئات المجتمع، وهي مسؤولية الدولة السورية التي فشلت في توفير الحماية لهم كما فشلت في توفير العدالة الاجتماعية بين النازحين وباقي شرائح المجتمع في المناطق الآمنة .

وبالنسبة لضحايا الأزمة فإن نصف قتلى الأزمة السورية سواء كانوا من القوى النظامية، أو من الجماعات المسلحة، والباقي من المدنيين، وتراوحت التقديرات حول قتلى القوى النظامية بين عشرات الآلاف ما يعني أن عدد جرحى الجانب الحكومي قد يكون أضعاف هذا الرقم، وهي نسبة مرتفعة جداً في الجيش السوري الذي لم يخسر هذا القدر في كل حروبه ضد إسرائيل [1].

وفي ظلّ غياب أي تقدم ملموس نحو إيجاد حل سياسي، تتوقع المفوضية السامية لشؤون اللاجئين ارتفاع عدد اللاجئين في المنطقة ليصبح أكثر أعدد اللاجئين بالعالم [2].

لقد كفل القانون الدولي للاجئين حقوقاً ومبادئ أساسية وهي وجوب عدم طرد اللاجئ أو إعادته إلى أوضاع تهدد حياته وحريته، وذلك لحمايتهم من الإعادة إلى المخاطر التي فروا منها؛ واستفادتهم من إجراءات اللجوء العادلة والفعالة؛ والتدابير التي

([1]) كمال ديب، مرجع سابق، ص 280.

([2]) سلامة كيلة، الثورة السورية واقعها، صيرورتها وآفاقها، (بيروت: أطلس للنشر والإنتاج الثقافي، ط1، 2013)، ص 14.

تضمن احترام حقوقهم الأساسية للسماح لهم بالعيش بكرامة وإيجاد حلول طويلة الأمد، وتتحمل الدول بشكل أساسي مسؤولية تأمين هذه الحماية [1].

وبعد الانتهاء من الأزمة تتم العودة الطوعية للنازحين، وتعرف عودة النازحين على أنها إعادة غرس لتلك الفئات من السكان في مجتمعاتهم التي كانوا يعيشون فيها قبل أن يضطروا إلى هجرها [2].

رابعا: التداعيات الأمنية

لقد انهارت شبكة الأمن في عدد كبير من مدن وبلدات سورية وخيّم الارهاب المسلح الذي جلب الجرائم والفوضى، وأقفلت مراكز الشرطة بعدما استهدف المسلحون قوى الأمن في مكاتبهم وفي بيوتهم. ووصل السلب والنهب إلى مستويات غير مسبوقة، إضافة إلى عمليات الخطف لقاء الفدية واغتصاب الفتيات والنساء، وقطع الرؤوس بالسيوف والاعدامات الميدانية وأحياناً القتل الجماعي، ما يوحي أن معظم مرتكبي هذه الجرائم المروعة ليسوا من أهل البلاد ولا علاقة لهم بأي هدف سوى قتل السوريين وتدمير سورية [3].

([1]) لاجيء أم مهاجر ؟ وجهة نظر المفوضية تمت زيارة الموقع الساعة 10:00 م، 7 مارس 2017.

http://www.unhcr.org/ar/news/latest/2016/7/55e57e0f6.html

([2]) خالد محمد دفع الله، ما بعد نيفاشا: الفرص غير التقليدية للوقاية من النزاعات الأثنية، أوراق سودانية (الخرطوم: مركز دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا، ط2، أغسطس 2006)، ص110.

([3]) كمال ديب، مرجع سابق، ص 283.

لا شك أن بيئة الصراع التي تعرضت لها سوريا جعلتها أرضا خصبة للإرهاب، وبروز ما سمي بتنظيم الدولة الاسلامية (داعش)، وجبهة النصرة الموالية لتنظيم القاعدة، وغيرهم من التنظيمات الجهادية في سوريا [1].

لقد أباح المسلحون لأنفسهم نهب ما تصل إليه أيديهم في المنازل والمتاجر وإحراق أبنية وتفجير مدارس ومرافق عامة، وفرض المسلحون نظاماً أصولياً صارماً على المناطق التي سيطروا عليها فمنعوا النساء من قيادة السيارات وتحرّشوا بالنساء اللواتي لا يرتدين زياً إسلامياً واعتقلوا عشوائياً أي شخص لا يروق لهم. وأحدثت الحرب دماراً هائلاً في مدن سورية وألحقت الأذى بالتراث التاريخي حيث تدمّر أو احترق أكثر من معلم أثري من متاحف وقصور وأسواق قديمة ومعالم أثرية وكنائس ومساجد [2].

وبموازاة استباحة الأراضي السورية من قبل الجماعات الأصولية، تمت أيضا استباحة المجال الجوي السوري من دول عديدة، سواء التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة تحت ذريعة محاربة تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، أو سلاح الجو الروسي،أو الطائرات التركيةالتي تقذف منطقة الشمال أو الطيران الاسرائيلي الذي يستهدف مواقع الحرس الثوري، و حزب الله وازدادت المخاوف من حصول حوادث أو صدامات من نيران صديقة، وبخاصة بعد إسقاط تركيا لطائرة روسية على حدودها، أعقبها اختراق الطائرات الروسية الأجواء التركية عدة مرات، تلك الحوادث كانت كفيلة بزيادة التوتر في العلاقات بين البلدين .

([1]) العنف في سوريا حرب متعددة الجبهات، (القاهرة: مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ديسمبر 2015)، مجلة السياسة الدولية، العدد 98.

([2]) كمال ديب، مرجع سابق، ص 283.

لذلك ساهمت بيئة الصراعات المتشابكة داخل الاراضي السورية، في زيادة معدلات انتشار الجريمة، وزيادة السلبية في أي مفاوضات، مما يوحي أن التوصل الى حل دبلوماسي للأزمة أمل بعيد المنال [1] .

التداعيات الاقليمية للأزمة السورية

لقد نتج من الأزمة السورية الراهنة مجموعة من القضايا الشائكة والتي أفرزت العديد من التداعيات بسبب تأثير الداخل السوري على دول الجوار من ناحية، وتأثير الداخل السوري في المحيط الداخلي للقوى الإقليمية الرئيسية من ناحية أخرى، ووفقا لأولويات هذه الأنظمة، تتحدد توجهات القوى الإقليمية الكبرى تجاه الأزمة السورية، والتي تمثل فيها الأهداف والمصالح المحدد الاستراتيجي لموقف هذه الأطراف من هذه الأزمة ، وسنكتفي في هذا المطلب بالتركيز على تداعيات الأزمة السورية على الدول المحورية الفاعلة في إقليم الشرق الأوسط وهي تركيا وإيران وإسرائيل وهي الدول التي لديها مصالح استراتيجية وأطماع داخل حدود الدولة السورية، ثم نتطرق إلى دور كل من هذه الدول في الأزمة السورية .

الدور التركي

تغيرالدور التركي في الأزمة السورية طبقا للوقائع الميدانية لفصائل المعارضة، حيث أن الأزمة السورية هي الأكثر تعقيداً من مثيلاتها في العالم العربي، فقد بدأت ارهاصاتها داخلية ثمّ سرعان ما تحوّلت إلى صراع إراداتٍ إقليمي ودولي، طغت فيه الحسابات الجيوسياسية على كل القوانين و الأعراف الدولية، ومع دخول الأزمة عامها السادس تدخلت العديد من القوى الإقليمية سواء بإرسال قوات مباشرة مثل إيران وتركيا أو من خلال دعم الفصائل المسلحة لوجستياً وعسكرياً، ونظراً لحالة الانقسام العمودي داخل المجتمع

([1]) تشارلز ليستر، الأزمة المستمرة – تحليل المشهد العسكري في سوريا، (الدوحة: مركز بروكنجز، مايو 2014)، ص 11.

السوري بين مؤيد ومعارض للنظام ، وشدة الاستقطاب الإقليمي والدولي، تشهد الازمة كل يوم مزيدا من الانحدار ومزيدا من الاحتقان. وشكل الحراك مدخلاً لإعادة رسم تحالفات المنطقة وتوازناتها، وهو ما أدى إلى تشابك الازمة، وزيادة تعقيدها، بسبب تكالب القوى الإقليمية والدولية على الموقع الجيوبولتيكي للدولة السورية ومحاولة استقطابها، لما في ذلك **من عامل** مرجح في التوازنات الإقليمية لمنطقة الشرق الأوسط. لقد نتج عن الأزمة السورية مجموعة من القضايا الشائكة التي أفرزت العديد من التداعيات بسبب تأثيرالداخل السوري على الدول العربية من ناحية، وتأثيره في المحيط الداخلي للقوى الإقليمية الرئيسية من ناحية أخرى، ووفقا لأولويات هذه الأنظمة، تتحدد توجهات القوى الإقليمية الكبرى تجاه الأزمة التي تمثل فيها الأهداف والمصالح المحدد الرئيسي لموقف هذه الأطراف منها، وسنكتفي في هذه المقالة بالتركيز على الدور التركي الذي يتضح من خلاله عودة الأطماع العثمانية في الأراضي العربية، وبخاصة العراقية والسورية، وذلك لتحقيق مجموعة من المصالح الاستراتيجية.

أولاً : وصول حزب العدالة إلى سدة الحكم بعد تولي حزب العدالة والتنمية مقاليد السلطة في نهاية العام 2002 حدث تحول شامل في سياسة تركيا الخارجية، كانت أهم أهدافه تصفير النزاعات، انعكس بطبيعة الحال على سياساتها إزاء المنطقة العربية، وكانت سورية جزءا من هذا التحول، نظراً لأهميتها الاستراتيجية، الأمر الذي أعطى زخماً قوياً للمشروع التركي على الصعيد الإقليمي. ومع بداية الأزمة ازداد عدد اللاجئين المتدفقين عبر الحدود التركية، فبادرت أنقرة إلى إنشاء مخيمات لاستيعاب القادمين من سورية. ومع ارتفاع حدة المعارك، وازدياد معدلات الهروب من آلة القتل، توسعت المخيمات وتضخمت أعداد اللاجئين، وأصبحت أنقرة مطالبة بتوفير مستلزمات إنسانية واقتصادية هائلة، ترافق ذلك مع أعباء في الوضع الاغاثي، والوضع التعليمي، والوضع الصحي، وازدادت حدة التوتر بين انقرة والأكراد بعد معركة كوباني (عين العرب)، واشتد القلق الأمني لتركيا بعد تفجيرات عدة ضربت و مازالت تضرب العاصمة التركية وأسفرت عن عشرات القتلى والجرحى، ولم تتوانَ المؤسسة الأمنية التركية عن توجيه الاتهامات المباشرة لحزب العمال الكردستاني والنظام السوري. ومع تطور الأحداث دعمت إسطنبول فصائل المعارضة

السورية في مواجهة نظام الأسد وذلك من خلال استضافة أبرز رموزها أو عبر دعمها ماديا وعسكريا أو سياسياً أو من خلال التحرك على الساحة الإقليمية والدولية لعزل نظام دمشق، والدعوة إلى إقامة منطقة حظر جوي في شمال سورية، لكن تلك الممارسات كان لها العديد من التداعيات السلبية على الداخل التركي وأدخلت إسطنبول في صراع مع جيرانها) سورية والعراق وإيران (، كما جاءت بارتدادات سلبية على الأمن التركي ذاته، إضافة لتوجيه الاتهامات إلى أنقرة من قبل حلفاء النظام السوري بدعم تنظيم » داعش« أبرز حركات التطرف السني لوجستياً وعسكرياً، ومع اشتعال وتيرة الأحداث، ألقت الأزمة بظلالها على علاقات القوى الاقليمية، وبرزت تناقضات الرؤى والسياسات، وترسيم الحدود بين المشروعين الإقليميين الإيراني والعثماني، ليصبح هناك سياستان ، واحدة داعمة للنظام ، والثانية داعمة للمعارضة السورية ، وعيناهما على موقع سورية الجيوستراتيجي ،. وبموازاة استباحة الأراضي السورية من قبل الجماعات الأصولية ، تمت أيضا استباحة المجال الجوي من قبل الدولة التركية ناهيك عن دول عديدة ، سواء التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة تحت ذريعة محاربة تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، أو سلاح الجو الروسي، أو الطيران الاسرائيلي وازدادت المخاوف من حصول حوادث أو صدامات من نيران صديقة، وبخاصة بعد إسقاط تركيا طائرة روسية على حدودها، أعقبها اختراق الطائرات الروسية الأجواء التركية مرات عدة، تلك الحوادث كانت كفيلة بزيادة التوتر في العلاقات بين البلدين سرعان ما تدارك أردوغان **هذا التدهور في العلاقات بعد وقف الحرب الإعلامية بين الدولتين وبخاصة بعد الانقلاب العسكري الأخير، وهنا يطرح السؤال: لماذا تتورط أنقرة في الأزمة السورية وما هي أهم المحددات الرئيسية للعلاقات السورية التركية؟**

ثانياً: محددات العلاقات التركية السورية

-1شكلت قضية المياه إحدى إشكاليات العلاقات السورية- التركية، وبخاصة بعد أن عارضت دمشق إنشاء مشروع الغاب لتخزين المياه وتوليد الطاقة الكهربائية على مجرى نهر الفرات وهو بمثابة أكبر السدود في العالم والذي ستكون تداعياته خفض منسوب المياه

داخل الأراضي السورية. وقد طرحت مسألة المياه في فترات معينة بوصفها عنصر ضغط ديبلوماسي، غير أن التوتر القائم حالياً يمكن أن يشهد مزيداً من التصعيد لأسباب أخرى، ربما لا علاقة لها بالطرفين؛ وقد يكون مرهوناً بعنصرٍ ثالث هو إسرائيل التي توظف مشكلة المياه في العلاقات بين أنقرة وتل أبيب، وخاصة عندما يتراجع الاهتمام التركي بدول البلقان والقوقاز.

2- في ما يتعلق بالمسألة الكردية فهي محدد رئيسي لا يمكن تجاوزه حيث حرصت أنقرة ومنذ بداية الأزمة على التعامل مع الملف الكردي بحذر تجنبا لحدوث تفتيت أو تقسيم للدولة السورية على أسس إثنية أو دينية أي دولة سنية وعلوية وكردية، لذلك كان أهم أهداف تركيا هو تفادي الآثار التي قد تنجم عن تأزم المسألة الكردية، في حال تحولت المنطقة الكردية ملاذا امنا لحزب العمال الكردستاني، لذلك يعتبر الملف الكردي، الأكثر إيلاماً والحاحاً لتركيا، والتي سترفض أي مشروع يتم من خلاله نمو كيان كردي يتمتع بخصائص دولة مستقلة تهدد وحدة وسلامة الأراضي التركية.

3- إضافة الى ذلك يعتبر لواء الاسكندرون من المحددات الشائكة للعلاقات السورية، التركية حيث تطالب دمشق منذ فترة بإعادة الأراضي التي احتلتها إسطنبول والذي لا يسمح ميزان القوى باستعادته عسكرياً، وربما يرى البعض أن السياسات الإسرائيلية تجاه تركيا، والسياسات اليونانية تجاه سورية، هما المعيار الذي تتحدد من خلاله الممارسات التركية من الأزمة السورية، حيث رأينا في الحالات التي يظهر فيها التوتر الموجود في العلاقات التركية السورية ، تكون إسرائيل هي الطرف الذي يوظف تلك العلاقة، وهو ما حدث في طرح إسرائيل خلال مباحثاتها مع سورية فكرة أن تغطي سورية احتياجاتها من المياه من تركيا، في مقابل ترك مصادر المياه في مرتفعات الجولان تحت الإشراف الإسرائيلي. ومن خلال تلك المحددات السابقة يمكننا استنتاج طبيعة الدور التركي من الأزمة السورية وإدراك تطلعات الرئيس اردوغان لاستعادة أمجاد السلطنة العثمانية على حساب جيرانها العرب حتى لو كانت هناك متغيرات وتداعيات سلبية تلقي بظلالها على الداخل التركي وأبرزها أزمة اللاجئين والتي يستخدمها النظام التركي كورقة ضغط لابتزاز الدول الاوروبية وتهديدها من آن لآخر بإغراق الحدود الاوروبية بموجات من اللاجئين

السوريين، مع العلم أن القانون الدولي يكفل للاجئين حقوقاً ومبادئ أساسية، وهي وجوب عدم طرد اللاجئ أو إعادته إلى أوضاع تهدد حياته وحريته، وذلك لحمايته من الإعادة إلى المخاطر التي فر منها. أخيراً رغم الجهود العديدة التي يبذلها المجتمع الدولي، للبحث عن حل سياسي للأزمة السورية، فإن ثمة إشكاليات محتملة ربما تحول دون الوصول إلى بلورة أي حل سياسي، يتمثل أولها في إصرار إيران وروسيا على بقاء الأسد كصيغة رئيسية لأي حل سياسي في المرحلة الانتقالية. ويتعلق ثانيها بغياب أي بديل لنظام دمشق، قادر على ملء الفراغ الذي سوف يتركه بعد رحيله، في ظل الصراعات المتنامية بين فصائل المعارضة المختلفة، وعدم امتلاك الجيش السوري الحر أي سلطة فعلية لحسم المعركة على الأرض.

بعد وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم نهاية العام 2002 حدث تحول شامل في سياسة تركيا الخارجية كانت أهم أهدافه هي تصفير النزاعات، انعكس بطبيعة الحال على سياساتها إزاء المنطقة العربية، وكانت سورية جزءا من هذا التحول، نظراً لأهميتها الاستراتيجية، الأمر الذي أعطى زخماً قوياً للمشروع التركي على الصعيد الإقليمي [1].

ومع بداية الأزمة السورية ازدادت أعداد اللاجئين عبر الحدود التركية، فبادرت أنقرة إلى إنشاء مخيمات لاستيعاب القادمين من الأراضي السورية. ومع ارتفاع حدة المعارك، وازدياد معدلات الهروب من آلة القتل، توسعت المخيمات وتضخمت أعداد اللاجئين، وأصبحت أنقرة مطالبة بتوفير مستلزمات إنسانية واقتصادية هائلة، ترافق ذلك مع أعباء في الوضع الاغاثي، والوضع التعليمي، والوضع الصحي، وازدادت حدة التوتر بين انقرة والأكراد بعد معركة كوليبالي أو(عين العرب)، واشتد القلق الأمني لتركيا بعد عدة تفجيرات ضربت العاصمة التركية وأسفرت عن عشرات القتلى والجرحى، ولم تتوانَ المؤسسة الأمنية التركية عن توجيه الاتهامات المباشرة لحزب العمال الكردستاني والنظام السوري.

([1]) مجموعة مؤلفين، مصدر سابق، 512.

ومع تطور الأحداث دعمت تركيا فصائل المعارضة في مواجهة نظام الأسد وذلك من خلال استضافة أبرز رموزها أو عبر دعمها ماديا وعسكريا أو سياسياً أو من خلال التحرك على الساحة الإقليمية والدولية لعزل نظام بشار الأسد، والدعوة إلى إقامة منطقة حظر جوي في شمال سوريا، لكن تلك الممارسات كان لها العديد من التداعيات السلبية على الداخل التركي وأدخلت إسطنبول في صراع مع جيرانها (سوريا والعراق وإيران)، كما جاءت بارتدادات سلبية على الأمن التركي ذاته، إضافة لتوجيه الاتهامات إلى تركيا من قبل حلفاء النظام السوري بدعم تنظيم داعش أبرز حركات التطرف السني لوجستياً وعسكرياً وهنا يطرح السؤال نفسه لماذا تتورط إسطنبول في الأزمة السورية وما هي أهم المحددات الرئيسية للعلاقات السورية التركية .

شملت علاقات تركيا بجيرانها في الجنوب أهمية خاصة، حيث كانت محاور القوة التاريخية في الشرق الأوسط تتشكل من أضلاع المثلث الخارجي: إقليم الأناضول (تركيا، مصر)، وإقليم جنوب البلاد (إيران)، أما أضلاع المثلث الداخلي (سوريا – العراق – السعودية)، فتتوقف على توازنات المثلث الخارجي، أما قدرة إسرائيل رغم كونها غريبة عن المنطقة، فهو في مهارتها بمتابعة هذه التوازنات وتوجيهها توجيهاً مؤثراً [1].

ومع بداية الأزمة السورية، كان اندلاعها مفترقا حاسما لهذا المشترك الثلاثي، وبرزت تناقضات الرؤى والسياسات، وترسيم الحدود بين المشروعين الإقليميين الإيراني والعثماني، ليصبح هناك سياستان، واحدة داعمة للنظام، والثانية داعمة للمعارضة السورية، وعيناهما على موقع سورية الجيوستراتيجي [2].

وفي الحقبة الأخيرة شكلت قضية المياه إحدى إشكاليات العلاقات السورية التركية، وبخاصة بعد ان عارضت دمشق إنشاء مشروع الغاب لتخزين المياه وتوليد الطاقة

([1]) أحمد داود أوغلو، محمد جابرثلجي وطارقعبد الجليل(مترجم)، العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ط2، 2011)، ص 440.

([2]) مجموعة مؤلفين، خلفيات الثورة، مرجع سابق، ص 503.

الكهربائية على مجرى نهر الفرات وهو بمثابة أكبر السدود في العالم والذي ستكون تداعياته خفض منسوب المياه داخل الأراضي السورية.

وقد طرحت مسألة المياه في فترات عدة بوصفها عنصر ضغط دبلوماسي، غير أن التوتر القائم الآن يمكن أن يشهد مزيداً من التصعيد لأسباب أخرى، ربما لا علاقة لها بالطرفين؛ وقد يكون مرهوناً بعنصرٍ ثالث يوظف مشكلة المياه، ففي حال ازدياد اهتمام تركيا بدول البلقان والقوقاز تتقلص التهديدات في الجنوب، ويتصاعد التوتر عندما تتراجع تركيا عن اهتمامها الدبلوماسي والعسكري بدول البلقان والقوقاز [1].

أما المسالة الكردية فهي محدد رئيسي لا يمكن تجاوزه حيث حرصت أنقرة ومنذ بداية الأزمة بالتعامل مع الملف الكردي بحذر تجنبا لحدوث أي تقسيم للدولة السورية على أسس إثنية أو دينية أي دولة سنية وعلوية وكردية، وكانت قيادة هذا الحزب بقيادة عبد الله أوجلان، موجودة في دمشق منذ فترة طويلة [2].

لذلك كان أهم أهداف تركيا هو تفادي الآثار التي قد تنجم عن تأزم المسألة الكردية، في حال تحولت المنطقة الكردية إلى ملاذ آمن لحزب العمال الكردستاني، لذلك يعتبر الملف الكردي، هو الملف الأكثر إيلاماً والحاحاً لتركيا، والتي سترفض أي مشروع يتم من خلاله نمو كيان كردي يتمتع بخصائص دولة مستقلة تهدد وحدة وسلامة الأراضي التركية. وفي ذات السياق كثف الطيران التركي من ضرباته الجوية لجبهة سوريا الديمقراطية المدعومة من الولايات المتحدة بسبب دورها الايجابي في محاربة داعش.

إضافة الى ذلك يعتبر لواء الاسكندرون من المحددات الشائكة للعلاقات السورية التركية حيث تطالب دمشق منذ فترة بإعادة الأراضي التي احتلتها إسطنبول والذي لا يسمح ميزان القوى باستعادته عسكرياً، وربما يرى البعض أن السياسات الإسرائيلية تجاه

([1]) أحمد داود أوغلو، مرجع سابق، ص 439.

([2]) أف ستيفن لارابي، محمود أحمد عزت (مترجم)، سياسة تركيا الخارجية في عصر الشك والغموض، (بغداد: بيت الحكمة، 2010)، ص 221.

تركيا، والسياسات اليونانية تجاه سوريا، هما المعيار الذي تتحدد من خلاله الممارسات التركية من الأزمة السورية، حيث رأينا في الحالات التي يظهر فيها التوتر الموجود في العلاقات التركية السورية ، تكون إسرائيل هي الطرف الذي يوظف تلك العلاقة، وهو ما حدث في طرح إسرائيل خلال مباحثاتها مع سوريا فكرة أن تغطي سوريا احتياجاتها من المياه من تركيا، في مقابل ترك مصادر المياه في مرتفعات الجولان تحت الإشراف الإسرائيلي [1].

ومن خلال تلك المحددات السابقة يمكننا استنتاج طبيعة الدور التركي من الأزمة السورية وإدراك تطلعات الرئيس أردوجان لاستعادة أمجاد السلطنة العثمانية حتى لو كانت هناك متغيرات وتداعيات سلبية مازالت تخلفها الأزمة وبخاصة أزمة اللاجئين والتي ترافق معها أعباء اقتصادية ومشاكل اجتماعية وتدهور أمني.

ثانياً دور إيران وحزب الله في تطور الأزمة السورية

بداية يجب النظر إلى محور "إيران، سورية، حزب الله"، هو مثلث محوري متماسك بالأساس، تأسس لمواجهة التحديات الدولية والإقليمية التي يتعرض لها أطراف هذا المحور، في سياق سياسة الهيمنة والتحالفات التي تنظم العلاقة بين دول المنطقة والقوى الكبرى، والذي تطور في إطار تنافس القوى الإقليمية على مد النفوذ والسيطرة الإقليمية، وتمخض لتقسيم المنطقة إلى معسكرين، معسكر الممانعة وضم إيران، وسورية، وحزب الله اللبناني وحلفائه داخل لبنان وفصائل المقاومة الفلسطينية، ومعسكر الاعتدال الذي يضم تركيا والسعودية وبعض دول الخليج العربي ومصر والأردن.

ينطلق محور الممانعة في هذا السياق من اعتبار ما يحدث في سورية "مؤامرة" خارجية بالتعاون مع عناصر داخل سورية ليس فقط لإسقاط النظام ولكن لتغيير المعادلات والتوازنات السياسية والأمنية في المنطقة لصالح الولايات المتحدة وحلفائها،

([1]) أحمد داود أوغلو، المصدر نفسه، ص 843.

ويعتبر حزب الله أن أهم أهداف هذه المؤامرة هو تفكيك وإجهاض قوى المقاومة في المنطقة [1].

مع بداية الأزمة تعامل حزب الله معها بالمساندة الإعلامية، وبعد الهزائم المتتالية لقوات النظام أعلن الحزب عن المشاركة في 2013، وذلك بعد تداول كثير من التقارير عن دفن مقاتلين من عناصر حزب الله، فقاتل بجانب قوات النظام السوري وبدأت قوات النظام بالتقدم على قوات المعارضة بسبب تفوق حلفائه خاصة حزب الله وإيران وذلك في أواخر 2013 إلى منتصف 2014.

ثم تراجع النظام وحزب الله مرة أخرى بسبب استنزاف الجيش السوري وزيادة معدلات الانشقاقات والهروب من صفوفه، كما تم استنزاف حزب الله أيضاً بسبب انتشار المعارضة في كل أرجاء سورية بالمقارنة مع أعداد عناصر الحزب، وأيضاً بسبب التغييرات الفعالة في خطط المعارضة، كما كان لعملية عاصفة الحزم في اليمن أثرها في هذا التراجع حيث تم تشتيت دعم إيران فبدلاً من التركيز على جبهة واحد وهي سورية وتمويل حزب الله، انطلقت جبهة اليمن وتمويل الحوثيين أيضاً، مما شكل عبئاً على الاقتصاد الإيراني الذي يعاني منذ سنوات بسبب العقوبات الدولية [2].

ولكن إيران بمساندتها لنظام الأسد سواء عن طريق تمويل وتسليح حزب الله، أو إرسال مجموعات من الحرس الثوري الإيراني للأراضي السورية لتنفيذ مهام قتالية كانت أو تدريبية، فإنها ترسل رسالة مفاداها أن أي مبادرة لحل الأزمة السورية لا بد وأن تمر بطريق طهران، وأن أي تجاهل لها سيؤدي لفشل تلك المبادرات، وأي عمل عسكري غربي أو

([1]) أحمد عبد العزيز، التفاعلات الإقليمية حول الأزمة السورية، (مركز دراسات الربيع العربي، سبتمبر 2013). http://arabspring.code95.info/2013/09 تمت زيارة الموقع الساعة 7:00 م، 8 يناير 2017 .

([2]) إبراهيم محمد منيب نوري عبد ربه، الأبعاد السياسية لموقف حزب الله من الصراع على السلطة في سورية، (القدس، دار الجندي للنشر والتوزيع، 2016)، ص 68-71.

إقليمي ضد النظام بدمشق سيواجه برد فعل عنيف من إيران، ذلك لأن سورية هي جسر التمدد الإقليمي لإيران [1].

وعلى الرغم من أن الشراكة بين دمشق وطهران هي شراكة استراتيجية أكثر من تعاون متبادل بين دولتين لكن هناك تناقض إيديولوجي كبير فإيران جمهورية إسلامية حكمها تيوقراطي، والحكم السوري هو نظام بعثي علماني إلا أن العداء المشترك لصدام حسين في الثمانينيات، والخوف من الولايات المتحدة وإسرائيل كلها أسباب ساعدت على توثيق العلاقة بينهم.

ومما لا شك فيه أن إيران تشعر بقلق بالغ إزاء الآثار الجيوسياسية في حال تغيير النظام في سورية فالأغلبية الساحقة من السكان السوريين هم من العرب السنة، فالتخوف من سقوط الأسد ووصول نظام سني طائفي معادي لإيران الشيعية ومنحاز للقوى الإقليمية المعادية وخاصة المملكة العربية السعودية، كل هذه العوامل دفعت إيران لدعم الأسد بقوة[2].

فقد دعمت إيران النظام السوري مادياً، حيث ضخت عشرات المليارات من الدولارات، من أجل دعم وحماية النظام من السقوط، كما ضمنت استمرار النفط إلى سورية وبكميات كبيرة، ودعمته سياسياً فقد سخرت إيران كل علاقاتها الدبلوماسية وإمكانياتها الإعلامية للدفاع عن النظام السوري، لاعتقادها أن ما يحدث هو مؤامرة تستهدف النظام

---

(1) What Is Iran Doing in Syria?، (Foreign Policy، Sept 21، 2012).

http://foreignpolicy.com/2012/09/21/what-is-iran-doing-in-syria/

تمت زيارة الموقع الساعة 9:00 م، 2 فبراير 2017.

(2) إسلام أحمد حسن، هل نشهد عصراً إيرانياً في المنطقة العربية؟ الدور الإيرانى في سورية: ضرورة استراتيجية، (القاهرة: سلسلة تحليلات، 31مارس2015). تمت زيارة الموقع الساعة 11:00 م، 2 فبراير 2017.

http://www.masralarabia.com

الذي يتعرض لهجمات من جماعات إرهابية وتكفيرية، فيقول وزير الخارجية الإيراني: "لولا دعمنا للنظام السوري لوجدنا داعش يحكم دمشق"، علاوة على دعمها عسكرياً من خلال إمداد النظام السوري بجميع أنواع الأسلحة، ناهيك عن تواجد عناصر قيادات الحرس الثوري بدمشق، فوفقاً للتقارير فإيران هي من تقود المعارك وتوجه الجيش النظامي السوري[1].

وقد نتج عن التدخل العسكري لحزب الله وإيران، مجازر وجرائم ضد الإنسانية حسب تقرير لجنة التحقيق الدولية في سورية وخاصة في القصير، إضافة لسياسة التهجير القسري للمدنيين التي اتبعت في كثير من القرى وتحدث التقرير عن استخدام حزب الله صواريخ محمولة شديدة الانفجار تؤدي إلى خسائر بشرية كبيرة وتحدث دماراً هائلاً في المباني.

تلك الممارسات أدت لازدياد وتيرة الهجرة بسبب اعتماد النظام السوري وحلفاؤه (إيران وحزب الله)، على سياسة العقاب الجماعي دون التفرقة بين المسلحين والمدنيين [2].

- من أهم تداعيات تدخل حزب الله في الأزمة السورية هو تحوله من حركة مقاومة مشروعة ضد الاحتلال الإسرائيلي إلى ميلشيا مرتزقة تقاتل في أرض الغير.
- وسقطت المظلة السياسية العربية التي كانت ترافق الحزب في كل حروبه السابقة مع إسرائيل وأصبحت عناصر حزب الله مكشوفة أمام الضربات الجوية الإسرائيلية داخل الأراضي السورية.
- فقدان الحزب للحاضنة الشعبية من بعض الطوائف اللبنانية، والتي كانت متعاطفة وداعمة للحزب في صراعه مع إسرائيل.

([1]) محمد بن صقر السلمي، إيران وحزب الله والموقف من الصراع في سورية، (مستقبل الشرق للدراسات والبحوث، نقلاً عن صحيفة أراء حول الخليج، 5 أغسطس 2015)، موقع المركز. تمت زيارة الموقع الساعة 6:0 م، 4 فبراير 2017. http://falsharq.com

([2]) إبراهيم محمد منيب نوري عبد ربه، مرجع سابق، ص ص 100-102.

كما أدى هذا التدخل إلى تعثر العملية التفاوضية والتسوية السياسية برمتها، حيث استمرار العنف والعنف المضاد فكان أهم أسباب فشل جهود التسويات، كما كان سبباً في انتشار التطرف على الحدود؛ بسبب نزوح المهاجرين، وتزايد نفوذ الجماعات الجهادية على الحدود، ونظراً لعدم قدرة النظام السيطرة على حدوده انتقل العنف الطائفي والفكر الجهادي إلى دول الجوار السوري، وتحولت الأزمة السورية إلى أزمة إقليمية معقدة.

بعد نجاح الثورة الإيرانية عام 1979 ارتبطت طهران ودمشق بعلاقات استراتيجية على مدار أربعة عقود مثّل نظام الأسد خلالها الجسر الذي تعبر منه إيران إلى العواصم العربية متل بيروت وبغداد وفلسطين، وتدعم بعض الفصائل الموالية لها لتحقيق أهدافها في تصدير الثورة الإسلامية وقيادة العالم الإسلامي، وبالتالي شكل الحفاظ على نظام الأسد أهم ركائز طهران، في تحقيق استراتيجيتها والتمدد داخل العالم العربي واعتبرت إيران محاولة إسقاطه مؤامرة أمريكية – خليجية هدفها الأساسي إضعاف دور طهران الإقليمي، وهو ما سيمنع تحقيق حلم الإمبراطورية الفارسية، لذلك تواصل الدعم الإيراني على مدار خمس سنوات برغم الخسائر الفادحة وبرغم ما تتكبده طهران من تداعيات سلبية بسبب التمسك بنظام الأسد، وما يترافق مع ذلك من دعم مالي، وتزويد بالسلاح، ثم تطور هذا الدعم بإشراك عناصر الحرس الثوري الإيراني في عمليات القتال.

ومع حلول 2013 أصبح من الواضح أن الجيش السوري غير قادر على حسم هذه الحرب من دون مساعدة خارجية، فصحيح أن لدى نظام الأسد جيشاً كبيراً ومسلحاً جيداً، إلا أنه مدرب لخوض الحروب التقليدية، وأثبتت الأحداث قلة فعاليته في قتال الشوارع الذي تتطلبه حروب مكافحة العصيان [1].

وخلال قرابة عدة سنوات قدمت طهران دعماً هائلا لدمشق، مما كان له تداعيات سلبية، وتسبب في أزمة اقتصادية حادة، ناهيك عن ازدياد أعداد القتلى من الحرس الثوري وعناصر حزب الله وهو ما يتطلب دفع تعويضات باهظة لأسر القتلى من الخزينة

([1]) ريز إرليخ، رامي طوقان(مترجم)، مصدر سابق، ص 201.

الإيرانية، وترافق ذلك مع العقوبات الدولية المشددة التي تعرضت لها طهران نتيجة الإصرار على البرنامج النووي والتي زادت من التدهور الاقتصادي والاجتماعي وبخاصة بعد إيقاف الصادرات النفطية وتجميد أموال طهران في الخارج، وعلى الرغم ان الاستثمار في مشروع بقاء الأسد هو استثمار خاسر، ومرهق اقتصادياً وعسكرياً الا أنه مربح سياسياً لأن سقوطه سيشكل تداعيات سلبية على التمدد الإيراني في لبنان والعراق والمنطقة، باعتبار دمشق هي البوابة الجيوسياسية، ولا ننسى أن الازمة السورية كانت أهم أوراق طهران في ابتزاز الغرب مقابل البرنامج النووي الإيراني .

وفي نفس السياق لعبت طهران على كل التناقضات فهي لم تتخلَّ عن شعورها القومي المحلي، بل حاولت أن تنشر الثورة الشيعية في عالم عربي معظمه من السنة، إضافة لذلك اشترت السلاح من إسرائيل في الثمانينيات، وفتحت قنوات على إدارة ريجان، وتواطأت على الاحتلال الأمريكي لأفغانستان عام 2001، وكذلك سقوط العراق عام 2003 ولم تحفز حلفاءها داخل بغداد على الثورة ضد الأمريكيين [1].

ولم تقتصر علاقة إيران بسورية ببسط نفوذها فقط إلى قلب الشرق الأوسط، بل التأثير في الصراع العربي الاسرائيلي من خلال دعمها الواسع للمجموعتين الاسلاميتين المناوئتين لإسرائيل، وهما حزب الله في لبنان وحماس في الأراضي الفلسطينية [2].

ومع اشتداد وطأة المعارك داخل سوريا وازدياد حالات الانشقاق في صفوف الجيش النظامي، والتفوق النسبي لبعض فصائل المعارضة، اضطرت طهران للضغط على حزب الله اللبناني للمشاركة في القتال وإنقاذ نظام الأسد الذي يتهاوى سريعاً، ورضخ الحزب للضغوط الإيرانية برغم أن مشاركته تتعارض مع ميول التركيبة الديمغرافية اللبنانية، كما انها ستؤدي لتحويل استراتيجية الحزب من حركة مقاومة مشروعة ضد الاحتلال

([1]) كمال ديب، مرجع سابق، ص 124.

([2]) دايفيد دبليو ليش، أنطوان باسيل (مترجم)، مصدر سابق، ص 169.

الإسرائيلي، إلى ميلشيا مرتزقة تحارب خارج أراضيها بغية احتلال أراض سورية، وهو ما أسقط المظلة السياسية العربية التي كانت ترافق الحزب في صراعه السابق مع إسرائيل .

وفي البداية، برر كل من إيران وحزب الله دعمهما للأسد بحجة حماية المقامات الشيعية، وهو شأن يتعاطف معه الشيعة في أنحاء العالم كافة [1].

سيستمر الدعم الإيراني لنظام الأسد برغم الخسائر الفادحة لأن طهران تعتبر أن الأزمة هي صراع إرادات بينها وبين دول الخليج إضافة لذلك حرص طهران أن يكون لها دور في عملية الانتقال السياسي ومنع أي نظام معارض لطهران من أن يتولى مقاليد الحكم مستقبلاً في سوريا .

الدور الإسرائيلي في تطور الأزمة السورية

سحب موسكو منظومات صواريخ الدفاع الجوي (إس–300) و (إس 400) من الساحل السوري يؤكد أن القصف الجوي الإسرائيلي على الأراضي السورية يتم بالتواطؤ الروسي وإلا ما فائدة وجود منظومات (إس 300) و(إس 400) على الساحل السوري. إن تنصيب هذه المنظومات الدفاعية على الساحل السوري اوجد حالة من الترقب والحذر داخل الدوائر الإسرائيلية والأميركية، وذلك بعد سقوط طائرة (إيل–20) في الأجواء السورية، ومقتل خمسة عشر جنديا روسيا وقد أعلنت موسكو المسؤولية الإسرائيلية التامة عن اسقاطها بعد عملية الخداع التي تعرض لها الروس.

ورغم التطمينات الروسية لإسرائيل بعدم توجيه منظومة الصواريخ ضدها، إلا أن التقارير الإعلامية تؤكد عكس ذلك، وكان من بين التقارير التي تؤكد ذلك ما نقلته وكالة أنباء (نوفوستي) الروسية عن الخبير العسكري، "إيغور كوروتشينكو"، قوله أن قرار توريد هذه المنظومات لسورية "يمثل ردًا مناسبًا تمامًا" على تصرفات إسرائيل غير المسؤولة و التي تتحمل مسؤولية تحطم طائرة(إيل–20)الروسية.

أبدت إسرائيل اهتماماً كبيراً بالأزمة السورية منذ بدء حركة التظاهرات في مارس 2011،

([1]) ريز إرليخ، رامي طوقان(مترجم)، مرجع سابق، ص 199.

والتي سرعان ما تحوّلت إلى ثورة شعبيّة، وذلك من خلال تقارير استخبارتية يومية لتطوّرات أحداثها واحتمالية نجاحها، فدمشق تحتل مكانة مركزيةّ في حسابات تل أبيب، إذ خاضت إسرائيل حروبا عدّة ضدّها في خضم الصراع العربي الاسرائيلي، وهي تحتلّ جزءاً من أراضيها (هضبة الجولان) ما انفكّت سورية تطالب باستعادتها، علاوةً على ذلك فإنّ سورية دولة محوريّة مركزية في المشرق العربيّ، وترتبط بعلاقات تاريخية وثيقة مع إيران، وتمتلك القدرة على التّأثير في تطوّر الأحداث، من خلال ضبط إيقاع حركات المقاومة التي تواجه إسرائيل، سواء "حزب الله "في جنوب لبنان أو حركتي "حماس" و"الجهاد" داخل قطاع غزة، لذلك حرصت تل أبيب على الاستفادة من تداعيات هذه الأزمة الإيجابية عليها وتفادي سلبيات ومخاطر أي سيناريوهات مستقبلية.

وقد اعتمدت ستراتيجية إسرائيل في التعامل مع إرهاصات الأزمة السورية على اتجاهين:

الأول: سقوط نظام الأسد، وإذا تم دعم هذا الخيار من قبل إسرائيل، يترتب عليه مجموعة من النتائج التي تصب لمصلحة تل أبيب، منها إبعاد إيران عن سورية من دون مواجهة عسكرية أو سياسية أو اقتصادية، وبالتالي إعادة ترتيب أوراق المنطقة بإضعاف الدور الاقليمي لطهران، كما أن سقوط الأسد يقطع المد العسكري لحزب الله بلبنان، ما سيؤثر على قوة المقاومة والأوضاع الأمنية بجنوب لبنان، ولا سيما أن تغيير النظام في دمشق لن يغير في الموقف السوري من القضية الفلسطينية من وجهة النظر الإسرائيلية حتى لو تغير النظام السوري نفسه، فأي سلطة جديدة ستستمد شرعيتها من خلال معاداة إسرائيل ودعم الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

الثاني: بقاء الأسد، وإذا تم دعم هذا الخيار من قبل إسرائيل سيكون بسبب التخوف من وصول نظام ثيوقراطي متشدد يخلف النظام السوري يطالب باستعادة هضبة الجولان المحتلة، ويكون بداية لانطلاق عمليات مقاومة عسكرية ضد الوجود الإسرائيلي.

ومن المعروف أن نظام بشار الأسد وقبله الأسد الأب قد حافظا على أمن إسرائيل، على مدار أربعة عقود برغم الحملات الدعائية لجبهة الصمود والمقاومة، ورغم عدم وجود أي اتفاقية سلام بينهم، ظلت الحدود هادئة دائماً لم تشهد أي مواجهات بين الطرفين.

وأثبتت التّجربة عبر العقود الماضية أنّ بإمكان إسرائيل التّوصّل إلى تفاهمات مع النظام

السوريّ على أرضيّة المصالح المشتركة بشأن القضايا العربيّة الأكثر حساسيّة،حتّى وإن كانت المواقف العلنيّة والرسميّة للنّظام السوريّ عكس ذلك تماماً. فعلى سبيل المثال: في الحرب الأولى الإسرائيلية على لبنان ضد منظمة التحرير الفلسطينية عام 1982، تم التفاهم الشفهي بين إسرائيل وسورية على التزام الحياد السوري.

ومنذ بداية الأزمة رسمت إسرائيل أهم المحددات والتي يجب تحقيقها قبل أي وقف لإطلاق النار والبدء في محادثات السلام وإعادة البناء،وأهم بنود هذه الستراتجية:

1- القضاء على الجيش السوري وإخراجه من معادلة الصراع العربي الإسرائيلي، فالجيش السوري جيش نظامي مقاتل شارك في عدّة حروب عدّة ضد إسرائيل، لذلك فإن مستقبل الجيش السوري ودوره وحجمه وتسليحه من أهم المحددات التي تركز عليها إسرائيل.

2- العمل على تفكيك علاقات النظام السوري الستراتيجية، وتحالفاته الإقليمية، وبخاصة مع"حزب الله" اللبناني و"حماس" و"الجهاد" في فلسطين، وغيرها من حركات المقاومة التي تناهض المشروع الصهيوني.

3- استنزاف طهران اقتصاديا وعسكريا من خلال المحافظة على التوازن العسكري لكل الأطراف، فلا يستطيع النظام الذي تدعمه إيران القضاء على المعارضة،ولا تتمكن المعارضة المدعومة عربياً من إسقاط النظام، وبالتالي فإن إطالة أمد الصراع من المحددات التي تحكم رؤية إسرائيل للأزمة السورية.

-4إنهاك "حزب الله" اللبناني في معارك مستمرة ومتشعبة داخل البلدات السورية لإلحاق أكبر عدد من الخسائر بعناصره التي تهدد شمال إسرائيل، وقطع خطوط الامداد عن الحزب ومنعه من تهريب السلاح إلى جنوب لبنان، والقضاء على كل حركات التطرف السني من خلال تغذية صراعات بينية أو صراعات مذهبية.

-5الحفاظ على الهدوء النسبي للجبهة الشمالية، وتقليص عدد القوات البرية، نظراً لغياب احتمالية أي حرب بعد سحب عناصر "حزب الله" إلى المستنقع السوري.

وفي سبيل تحقيق هذه الستراتجية التي تحاكي في مسارها فوائد جمة اتبعت تل أبيب الخطوات التالية:

أ- الحرص الإسرائيلي على عدم الانخراط علناً فيما يحدث في سورية، وترقب الأوضاع

الميدانية من بعيد، وإبداء القلق بشأن ما يجري من أحداث، وأبسط مثال تصريحات رئيس الوزراء الإسرائيلي، بعد ضرب بلدة خان شيخون بصواريخ محملة بغاز السارين راح ضحيتها المئات من الأطفال والنساء.

وبخاصة أن مواقف السياسيين والرأي العام منقسم داخل إسرائيل: فقسم مع سقوط النظام لما في ذلك من مزايا كما ذكرنا،أهمها تقويض الدور الإيراني و"حزب الله" في المنطقة، والقسم الآخر مع بقائه، بعد تقييم الموقف العسكري في متابعة استخباراتية يومية لما يحدث ميدانياً، ومراقبة ومنع انتقال الأسلحة غير التقليدية إلى يد "حزب الله" بلبنان، والذي يشكل خطراً على أمن إسرائيل.

ب- استخدمت إسرائيل أدوات عدة، كالأداة الإنسانية وتقديم المساعدات الطبية والإنسانية التي تمنحها لبعض فصائل المعارضة السورية القريبة من الجولان متل "جبهة النصرةط وأيضاً الأداة الدبلوماسية، فقد اتفقت ضمنياً مع القوى الغربية على إطالة أمد الصراع، والتخلص من الأسلحة الكيميائية، وأيضاً عرقلة تسليح المعارضة، كما حاولت التواصل مع روسيا حول عدم تزويد سورية بصواريخ مضادة للسفن.

ت- كما تعاونت استخباراتياً مع الأجهزة الأمنية، الإقليمية والدولية لتبادل المعلومات، وأقامت جدارا معززا بأجهزة إلكترونية يمتد بطول الحدود بمنطقة الجولان، وتم زرع ألغام بالمنطقة وتعزيزها بطائرات عسكرية وقناصة، وأرسلت جنوداً يتدربون طوال الوقت بجانب الجولان لمنع أي زعزعة للأمن من قبل الجماعات الاصولية.

ث- استخدمت الضربات العسكرية، حيث اعتمدت إسرائيل على مبدأ الردع في الستراتيجية الإسرائيلية، للتأثير على قرارات الأطراف السورية المعادية لها، ومنعهم من المبادرة بمهاجمة إسرائيل، فشنت عمليات عدة على الحدود وفي العمق السوري، ناهيك بضرب مخازن الذخيرة داخل العاصمة دمشق.

مما سبق يتضح أن إسرائيل تهدف الى فشل الدولة السورية سواء بمد أمد الصراع في الداخل السوري وإنهاك القوى المتصارعة، ليبقى لها التفوق العسكري بما لا يشكل خطراً عليها، أو عن طريق تفكيك سورية إلى دويلات صغيرة علوية، وكردية، وسنية، لضمان التفوق الإسرائيلي على تلك الدويلات.

وقد استفادت إسرائيل من الازمة السورية إقليمياً، وذلك من خلال لعب دور يحافظ على مصالحها السياسية والاقتصادية والامنية في منطقة الشرق الأوسط، فاستغلت تلك الأزمة للضغط على فاعلين إقليميين كإيران من خلال العمل ديبلوماسياً على تقويض دورها في سورية، ومراقبة تزويد الأسلحة لحزب الله كما دعمت الحركات الانفصالية للأكراد كورقة ضغط وإضعاف لمركز تركيا الاستراتيجي في المنطقة، وبخاصة أن الملف الكردي هو أكثر الملفات إيلاماً لنظام أردوغان بعد تحركه العسكري في بلدة عفرين وإدلب شمال سورية.

ولا يمكن أن نتجاهل المنافع الاقتصادية التي تصب في مصلحة تل أبيب من الأزمة السورية،وأهمها الاستيلاء على غاز الدول العربية المطلة على البحر المتوسط، والبدء في تصديره الى دول أوروبا بعد أن كانت مصر هي من تصدر الغاز لإسرائيل على مدار عشر سنوات. وأخيراً أعلنت الدول الأوربية التزامها بالمضي في تنفيذ مشروع خط أنابيب بالبحر المتوسط بطول 2200 كلم لنقل الغاز الطبيعي من إسرائيل لعواصم أوروبا، وذلك من خلال حقول الغاز البحرية التي اكتشفتها إسرائيل وقبرص في شرق المتوسط وصولا إلى اليونان.

وقد استخدمت إسرائيل اليد الطولى (سلاح الطيران) للتأثير في تطور الأزمة في كل أنحاء سورية، سواء بطريقة مباشرة بضرب أهداف داخل العمق السوري، أو من وراء الكواليس، أو حتى من خلال توجيه الإعلام والعمل اللوجستي وتجنيد فلسطينيين وإسرائيليين يجيدون العربية ولا يلفتون الأنظار للمشاركة في المعارك. وكان أبرز تلك التدخلات استهداف اسرائيل للمخيمات الفلسطينية داخل سورية،وأكبرها مخيم اليرموك على طرف دمشق حيث يقيم نصف فلسطينيي سورية 250 ألفاً من أصل نصف مليون، أما الهدف فهو القضاء على حلفاء النظام داخل المخيم لصالح تنظيمات أصولية.

ختاماً: تعتبر إسرائيل المستفيد الأكبر من تداعيات الأزمة السورية، فقد استخدمت الورقة الروسية في المحافظة على بقاء النظام السوري، في وقت تزداد الضغوط الإقليمية والدوليّة عليه، فاستمرار الأسد جريحاً في سدة الحكم سيبقيه رئيساً صورياً ولا يشكل أي خطر على أمن إسرائيل، وهذا يفسر حرص تل أبيب الدائم منذ اجتياح لبنان عام 1982 على عدم

توجيه أية ضربة قاصمة إلى الجيش السوري، الذي يمثل العمود الفقري في الحفاظ على بقاء النظام.

كما أنها تراقب عن كثب نتائج المعارك المسلحة بين الجيش النظامي، وبين فصائل المعارضة، وربما تتدخل في بعض الأحيان لقصف أي طرف يتفوق عسكرياً، للمحافظة على التوازن العسكري وإطالة أمد الصراع لاستنزاف كل الأطراف. وهو ما سيؤدي الى تصاعد الإرهاب في المنطقة وتدمير البنى التحتية واستنزاف الاقتصادات العربية.

ومنذ بداية الأزمة كانت هناك بعض المحددات التي تحكم استراتيجية إسرائيل تجاه الازمة السورية ويمكن تناول أهم تلك المحددات على النحو التالي :

1- القضاء على الجيش السوري وإخراجه من معادلة الصراع العربي الإسرائيلي، فالجيش السوري هو جيش نظامي مقاتل شارك في عدة حروب ضد إسرائيل، لذلك فإن مستقبل الجيش السوري ودوره وحجمه وتسليحه من أهم المحددات التي تركز عليها إسرائيل.

2- العمل على تفكيك علاقات النظام السوري الاستراتيجية، وتحالفاته الإقليمية، وبخاصة مع حزب الله اللبناني وحماس والجهاد في فلسطين وغيرها من حركات المقاومة التي تناهض المشروع الصهيوني.

3- استنزاف طهران اقتصاديا وعسكريا من خلال المحافظة على التوازن العسكري لكافة الأطراف فلا يستطيع النظام الذي تدعمه إيران القضاء على المعارضة ولا تتمكن المعارضة المدعومة عربياً من إسقاط النظام، وبالتالي فإن إطالة أمد الصراع من المحددات التي تحكم رؤية إسرائيل للأزمة السورية.

4- إنهاك حزب الله اللبناني في معارك مستمرة ومتشعبة لإلحاق أكبر عدد من الخسائر بعناصره التي تهدد شمال إسرائيل، وقطع خطوط الامداد عن حزب الله ومنعه من تهريب السلاح إلى جنوب لبنان، والقضاء على كل حركات التطرف السني من خلال تغذية صراعات بينية أو صراعات مذهبية.

5- الحفاظ على الهدوء النسبي للجبهة الشمالية، وتقليص عدد القوات البرية، نظراً لغياب احتمالية أي حرب بعد سحب عناصر حزب الله إلى المستنقع السوري .

تعتبر إسرائيل المستفيد الأكبر من تداعيات الأزمة السورية، فهي تراقب عن كثب نتائج المعارك المسلحة بين الجيش النظامي، وبين فصائل المعارضة، وربما تتدخل في بعض الأحيان لقصف أي طرف يتفوق عسكرياً، ولذلك فإن اسرائيل تشعر بالسعادة لما تشاهده من تصاعد الإرهاب في المنطقة وتدمير البنى التحتية واستنزاف الاقتصادات والجيوش العربية، وخاصة في سوريا والعراق ومصر [1].

لكن ربما يرى البعض أن ذلك لا يمنع حرص إسرائيل من المحافظة على بقاء النظام السوري في وقت تزداد الضغوط الإقليمية والدوليّة عليه، فباستمرار بشار الأسد جريحاً في سدة الحكم سيبقيه صورياً ولا يشكل أي خطر على أمن إسرائيل وهذا يفسر حرص تل أبيب الدائم منذ اجتياح لبنان عام 1982 على عدم توجيه أية ضربة قاصمة إلى الجيش السوري، الذي بمثل العمود الفقري لنظام الأسد.

ومع تطور الأوضاع وبروز قوى الأصولية الإسلامية في ساحات المعارك التي صمدت أكثر مما توقّعه القادة والخبراء والمحللون الإسرائيليون، سعت إسرائيل إلى دعم بعض تلك القوى، لوجستياً وأمنياً وانسانياً (استقبال جرحى مسلحيها في المستشفيات الإسرائيلية)، فضلاً عن إظهار التعاطف المعنوي مع تلك القوى، ولم يرتقِ ذلك إلى حد الدعم العلني لها بمواجهة النظام، لاعتبارات إسرائيلية وإقليمية ودولية معينة [2].

فالمطلوب هو استنزاف كافة أطراف الأزمة، ولا يمنع ذلك من وجود تعاون استخباراتي في بعض المناطق المحيطة بهضبة الجولان، بين تل أبيب وجبهة النصرة،

([1]) حسن محمد صعب، الانتهاك الأمريكي للسيادة السورية بين القانون والسيادة، (بيروت: باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية، ط1، 2016)، ص 142.

([2]) حسن محمد صعب، المرجع السابق، ص 14 .

كما أنشات تل أبيب مستشفيات ميدانية على الحدود المشتركة واستقبلت العديد من الجرحى من عناصر جبهة النصرة في المستشفيات الإسرائيلية.

موقف المعارضة:

ظلت المعارضة منذ بداية الأزمة في عام 2011 مشرذمة في العديد من الدول، ومشتتة عبر عدة فصائل، يتبع كل منها قوى إقليمية ودولية، ولم تبذل جهودا لمحاولات التنسيق فيما بينها وعجزت عن تغيير هذه الحقيقة، وكانت النتيجة وجود معارضة نادرا ما تتحدث بصوت واحد، وليست لديها أي استراتيجية لحل مشكلات الشعب السوري الذي يعيش أكثر من نصفه في دول الجوار بينما يعيش النصف الأخر تحت خط الفقر مع نفص حاد للمواد الغذائية الأولية ومن ثم فإنها لا تضع جدول أعمال مشتركا ولا تلتزم على نحو موثوق بوقف إطلاق النار على نطاق واسع، وتشير البحوث أن الصراعات الداخلية من هذا النوع غالبا ما تعاني من مشاكل غياب المسؤولية، فالجهات الفاعلة المتوارية لا ترى أي فائدة في السلام وتوظف العنف لإفشال المفاوضات، وقد أدى زيادة نفوذ القوى الخارجية إلى تفاقم الصعوبات وعرقلة المفاوضات[1].

وفي ذات السياق انقسمت المعارضة حول مبادرة دي مستورا بين رفض قاطع عبر عنه بعض أعضاء الائتلاف الوطني لقوى الثورة، والحكومة المؤقتة، وفصائل من المعارضة المسلحة، حيث اعتبر رئيس الائتلاف الوطني لقوى الثورة أن المبادرة غير

---

[1])**Magnus Lundgren ,Peacemaking in Syria: Barriers and Opportunities, The Swedish institute of international affairs, At:**

https://www.ui.se/globalassets/butiken/ui-brief/2015/peacemaking-in-syria-barriers-and-opportunities.pdf تمت زيارة الموقع الساعة 4:00 م، 15 مايو 2017

واضحة وأن الحل لابد أن يكون شاملًا، وبين قبول مشروط عبر عنه العميد زهير الساكت، رئيس المجلس العسكري في حلب [1].

كما اعترض الائتلاف السوري المعارض على خطة دي مستورا، وقدم ثلاثة تحفظات عليها، تمثلت في؛ المدة الزمنية الطويلة للخطة، وأنه لا يمكن الموافقة عليها في إطار الوضع الميداني المتأزم، بالإضافة إلى تعارض البيان الرئاسي مع الهدف المنشود من بيان جنيف1 وقرار مجلس الأمن الدولي 2118 الخاص بتشكيل هيئة الحكم الانتقالية كاملة الصلاحيات، علاوة على الانتقائية في اختيار ممثلي الشعب السوري [2].

كما شهدت المبادرة انقسامًا داخليًا في المجتمع السوري بين رافضين للمبادرة من قبل بعض الشرائح الشعبية المناهضة للنظام باعتبارها حلول مجتزأة تمثل انقلابًا على الثورة واستسلامًا للنظام وتفريطًا فيما تم تقديمه من تضحيات، في حين يرى البعض الآخر المبادرة بمثابة تجميد مؤقت للحرب في سوريا.

وختاماً

انطوت هذه الدراسة على ثلاثة مباحث تحدثت عن إرهاصات الأزمة السورية وجذورها، من المنشأ ومروراً بتطورها وختاماً بالاستحقاق الرئاسي السوري وانعكاسه على الداخل السوري، وعلى دول الجوار وكذا على المحيط الدولي، وقد خرج الباحث من هذه الدراسة بعدد من النتائج، أهمها أن هناك عددا من الأسباب التي أدت إلى اندلاع الثورة السورية، منها استمرار حكم حزب البعث لسنوات طوال من الركود السياسي، وعدم تداول السلطة، وغياب المشاركة السياسية، اضافة الى تعاظم دور أجهزة الأمن والاستخبارات وتدخلها في كل مفاصل الحياة السورية، بما فيها صنع السياسة الخارجية السورية، ناهيك عن سيطرة رجال الأعمال المستفيدين من هامش الانفتاح السياسي الذي جاء بعد تولي

---

[1] مقترحات دي مستورا في سورية، مرجع سبق ذكره.

[2] خطة دي ميستورا والعقدة السورية، مرجع سبق ذكره.

بشار الأسد للسلطة في سوريا، وازدياد معدلات البطالة والفقر بين طبقات المجتمع السوري وخاصة بين الشباب تحت سن الثلاثين والذين كان لهم دور فاعل في بداية الأحدث فهم ركيزة الثورة وأساس قيامها .

كل هذه الأسباب أضيف اليها موقع سوريا الجيوسياسي الذي جعلها بالضرورة محورا لأطماع القوى الاقليمية والدولية لاستقطابها واستغلال دورها في التوازنات الاقليمية وفق مصلحة كل قوة على حدة، وعلى راس هذه القوى إيران وتركيا وإسرائيل إضافة للقوى الدولية روسيا والصين والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة .

وقد نتج من تطور الأزمة واستمرار الصراع المسلح، زيادة تشابك الأزمة وتعقيدها، وانتشار الجماعات المسلحة التي جاءت من كل أرجاء المعمورة إلى الداخل السوري، فجعلته أهم بؤر الإرهاب في العالم والتي تشكل خطرا كبيرا على الوجود السوري من ناحية، وعلى الأمن والاستقرار الاقليمي في منطقة الشرق الأوسط من ناحية أخرى .

أظهرت المأساة فشل المعارضة السورية في بلورة أي استراتيجية لمواجهة التحديات الكبيرة التي تواجه الشعب السوري،و أهمها أزمة الأمن الغذائي أو تقديم رؤى وحلول تحقن دماء السوريين وتشبثت منذ بداية الأزمة بمطلب أساسي، وهو تنحي الأسد عن السلطة كمدخل وحيد لأي مفاوضات، كما شككت في مقومات كل القيادات السياسية، وبالتالي افتقدت لأي قيادة أو زعامة تحظى بإجماع الشعب السوري وسيطر على ائتلاف المعارضة التفتت والتشرذم ومناخ مشحون بالتنافس والتناحر .

ومن ناحية أخرى لم تنجح في توحيد الجهود بينها وبين الفصائل المسلحة على الارض من خلال رئاسة أركان مشتركة ترسم الخطط العسكرية، وتعمل على إعادة تنظيم القوات وتؤمن الدعم اللوجيستي، لذلك التجأ كل فصيل مسلح إلى الارتباط بأجندة إقليمية، وكان هذا التشرذم من أهم اسباب فشل المعارضة في إدارة الصراع الميداني أو حسم المعركة عسكرياً.

ورغم الجهود العديدة التي يبذلها المجتمع الدولي، للبحث عن حل سياسي للأزمة السورية، فإن ثمة إشكاليات محتملة ربما تحول دون الوصول إلى بلورة أي حل سياسي، يتمثل أولها في إصرار إيران وروسيا على بقاء الأسد كصيغة رئيسية لأي حل سياسي في المرحلة الانتقالية، خصوصًا أن إيران أنفقت الكثير من مواردها الاقتصادية وقدراتها العسكرية من أجل الحفاظ على حليفها الرئيسي في الشرق الأوسط.

ويتعلق ثانيها بغياب أي بديل لنظام الأسد، قادر على ملء الفراغ الذي سوف يتركه بعد رحيله، في ظل الصراعات المتنامية بين فصائل المعارضة المختلفة، وعدم امتلاك الجيش السوري الحر أي سلطة فعلية لحسم المعركة على الأرض، وينصرف ثالثها إلى رفض بعض القوى الإقليمية أي حل سياسي يتضمن وجود الأسد في المرحلة الانتقالية، باعتبار أنه جزء من المشكلة وليس جزءًا من الحل .

مما سبق يتضح تقلص فرص السلام في سوريا يومًا بعد يوم بزيادة عدد اللاعبين وتأثير الحرب المدمر على المجتمع والدولة، ورغم صدور قرار من مجلس الأمن الدولي يلبي مبدئيًا العديد من شروط وقف القتال والشروع في عملية سياسية، ومع أنه يمكن أن تفضي التحركات الدولية القادمة بخصوص الأزمة السورية في جنيف وغيرها، وقد يتحقق بعض التقدم في القضايا الإنسانية الملحّة كالإفراج عن عدد من المعتقلين في سجون النظام والجماعات المسلحة، وفك الحصار عن بعض المناطق، وتبريد جزئي للصراع في مناطق متفرقة من البلاد وهذا أمر محمود بالطبع في الشروط السورية الكارثية؛ إلاّ أنه نظرًا لخصوصية الأزمة السورية من حيث تعنّت النظام ورفضه لتقدم تنازلات جدية وذات معنى أولًا. وارتهان قرار النظام والمعارضة المسلحة معًا للعديد من القوى الخارجية ثانيًا، وكذلك تعدد الفاعلين واللاعبين الإقليميين والدوليين والمحليين في الشأن السوري في المقام الثالث، فضلًا عن تشرذم قوى المعارضة والجماعات المسلحة وتباين الأهداف والبرامج وأخيرًا إطالة أمد الأزمة السورية مع ما أفرز ذلك من انقسامات اجتماعية ومآسٍ وفظائع بين مكونات وشرائح المجتمع السوري بسبب العنف والعنف المضاد.

لكل هذه الأسباب وأخرى ثانوية نرجح أن يظل الطريق طويلًا من أجل إنجاز أسس أولية لعملية سلام مستدامة تضع حدًا للحرب السورية.

وفي ظل المعطيات المتاحة، ربما يكون أفق الحل السياسي بعيدًا إلا أن العملية السياسية على وشك أن تبدأ على غرار عملية جنيف لحل الصراع العربي الإسرائيلي التي بدأت في سبعينيات القرن الماضي. وربما تفرز هذه العملية السياسية المجال لمقترحات جديدة تهدف في ظاهرها إلى حلحلة الوضع، ومثال ذلك خطة مؤسسة راند الأمريكية التي دعت إلى الإقرار بحقيقة أن أجزاء مختلفة من البلاد تسيطر عليها جماعات عرقية مختلفة تساندها قوى خارجية مختلفة [1].

وهذه القوى قد تتفق على تحديد ثلاث مناطق آمنة إحداها يسيطر عليها نظام الأسد في الغرب، وإحداها يسيطر عليها الأكراد بشكل أساسي في المنطقة الشمالية الشرقية، وأخرى تكون غير متصلة في الشمال والجنوب تسيطر عليها المعارضة السورية التي توصف بالمعتدلة، في حين تكون المنطقة الرابعة في وسط وشرق سوريا التي يسيطر عليها تنظيم داعش هدفًا لجميع الأطراف.

---

[1] خطة سلام من أجل سوريا، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، 14 فبراير 2016: تمت زيارة الموقع الساعة :00 7م، 28 يونية 2017

http://idraksy.net/a-peace-plan-for-syria/

قائمة المراجع:

1. رضوان زيادة، السلطة والاستخبارات في سورية، (بيروت، رياض الريس،2013).
2. كارستين ويلاند، حازم نهار(مترجم): سورية الاقتراع أم الرصاص؟،بيروت رياض الريس،2011،
3. دايفيد دبليو ليش، وأنطوان باسيل (مترجم)، سورية سقوط مملكة الأسد، (بيروت، شركة المطبوعات الحديثة، ط1، 2014).
4. غازي التوبة،" الثورة السورية: الأسباب والتطورات"، (اسطنبول، دراسة مقدمة لمؤتمر الأمة الإسلامية، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية لندن، 1يوليو 2012). تمت زيارة الموقع الساعة 7:00 م، 15 مارس 2017.

http://www.asharqalarabi.org.uk/markaz/m_abhath-10-07-12.htm

5. جاد الكريم الجباعي، "البنية التسلطية للنظام السوري والنشأة والتطور والمآل"، (بيروت، خلفيات الثورة دراسات سورية، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، أغسطس 2013).
6. كمال ديب، أزمة في سورية، (بيروت: دار النهار، ط1، 2013)،
7. اللجنة الدولية للصليب الأحمر، النازحون بسبب الحرب،23-04-2003. تمت زيارة الموقع الساعة 5:00 م، 25 مارس 2017.

http://www.unhcr.org/ar/4d11b3026.html7https://www.icrc.org/ara/resources/documents

8. سلامة كيلة، الثورة السورية واقعها، صيرورتها وآفاقها، (بيروت: أطلس للنشر والإنتاج الثقافي، ط1، 2013)
9. لاجيء أم مهاجر ؟ وجهة نظر المفوضية تمت زيارة الموقع الساعة 10:00 م، 7 مارس 2017.

http://www.unhcr.org/ar/news/latest/2016/7/55e57e0f6.html

10. خالد محمد دفع الله، ما بعد نيفاشا: الفرص غير التقليدية للوقاية من النزاعات الأثنية، أوراق سودانية (الخرطوم: مركز دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا، ط2، أغسطس 2006)

11. العنف في سوريا حرب متعددة الجبهات، (القاهرة: مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ديسمبر 2015)، مجلة السياسة الدولية.

12. تشارلز ليستر، الأزمة المستمرة – تحليل المشهد العسكري في سوريا، (الدوحة: مركز بروكنجز، مايو 2014)،

13. أحمد داود أوغلو، محمد جابرثلجي وطارقعبد الجليل(مترجم)، العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ط2، 2011).

14. أف ستيفن لارابي، محمود أحمد عزت (مترجم)، سياسة تركيا الخارجية في عصر الشك والغموض، (بغداد: بيت الحكمة، 2010) .

15. أحمد عبد العزيز، التفاعلات الإقليمية حول الأزمة السورية، (مركز دراسات الربيع العربي، سبتمبر 2013).

http://arabspring.code95.info/2013/09

تمت زيارة الموقع الساعة 7:00 م، 8 يناير 2017 .

16. إبراهيم محمد منيب نوري عبد ربه، الأبعاد السياسية لموقف حزب الله من الصراع على السلطة في سورية، (القدس، دار الجندي للنشر والتوزيع، 2016)،

([1]) What Is Iran Doing in Syria? ،(Foreign Policy ،Sept 21 ،2012).

http://foreignpolicy.com/2012/09/21/what-is-iran-doing-in-syria/

تمت زيارة الموقع الساعة 9:00 م، 2 فبراير 2017.

17. إسلام أحمد حسن، هل نشهد عصراً إيرانياً في المنطقة العربية؟ الدور الإيرانى في سورية: ضرورة استراتيجية، (القاهرة: سلسلة تحليلات، 31مارس2015). تمت زيارة الموقع الساعة 11:00 م، 2 فبراير 2017.

http://www.masralarabia.com

18. محمد بن صقر السلمي، إيران وحزب الله والموقف من الصراع في سورية، (مستقبل الشرق للدراسات والبحوث، نقلاً عن صحيفة أراء حول الخليج، 5 أغسطس 2015)، موقع المركز. تمت زيارة الموقع الساعة 6:0 م، 4 فبراير 2017.http://falsharq.com

19. حسن محمد صعب، الانتهاك الأمريكي للسيادة السورية بين القانون والسيادة، (بيروت: باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية، ط1، 2016).

20. Makovsky, Alan: Syria under Bashar Al–Asad: The Domestic scene and the "Chinese Model "of reform, policy watch, Washington Institute for Near East Policy, Number 512, January 2001.

21. Haddad, Bassam: The Formation and Development of Economic Networks in Syria: Implication for Economic and fiscal Reforms, 1986-2000, in Networks of Privilege in the Middle East: The Politics of Economic reform revisited, edited by Steven Heydemann (New York: Palgrave macmilan, 2004) .

22. Magnus Lundgren ,Peacemaking in Syria: Barriers and Opportunities, The Swedish institute of international affairs, At:

https://www.ui.se/globalassets/butiken/ui-brief/2015/peacemaking-in-syria-barriers-and-opportunities.pdf

المحددات الإقليمية للسياسة الخارجية التركية فترة تولي حزب العدالة والتنمية

إعداد/ د.عبدالسلام بشير الصغير
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية العجيلات- جامعة الزاوية

ملخص

مع وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة في تركيا في نوفمبر2002 حرصت قياداته على تأكيد تبنيهم رؤية مختلفة نوعياً لسياسة تركيا وعلاقاتها الخارجية في الدوائر المختلفة، وبخاصة في الدائرة الشرق الأوسطية، حيث عزز من هذا الاهتمام ما شهدته عناصر القوة التركية من تطورات إيجابية خلال هذه الفترة، ولاسيما في أبعادها الاقتصادية؛ حيث نجحت تركيا في احتلال المرتبة الأولى بين اقتصادات المنطقة، والسادسة عشرة على المستوى العالمي من حيث حجم الناتج المحلي الإجمالي، وصاحب ذلك زيادة حضور الدور التركي ونشاطه في العديد من القضايا المحورية في المنطقة، سواء فيما يتعلق بالقضية العراقية، أو الصراع العربي- الإسرائيلي بمساراته المتعددة، أو أزمة البرنامج النووي الإيراني، أو طرح تركيا كنموذج في قضايا الإصلاح في المنطقة بأبعاده المختلفة، وغيرها من القضايا؛ ومن خلال تسليط الضوء بالدراسة، والتحليل لما تضمنته الورقة البحثية من محددات إقليمية للسياسة الخارجية التركية فترة تولي حزب العدالة والتنمية؛ فقد تم التوصل لمجموعة من النتائج على النحو التالي:

1- تبدوا السياسة الخارجية التركية فترة تولي حزب العدالة والتنمية الحكم تجسيداً لرؤية أحمد داوود أغلوا الذي يعتبر مهندس السياسة الخارجية التركية الجديدة.

2-إعتماد سياسة خارجية متعددة الأبعاد؛ تفيد بأن علاقة تركيا مع اللاعبين الدوليين هي علاقة تكاملية، وليست تنافسية.

3-إتباع مبدأ الدبلوماسية النشطة، والتي من شأنها إعطاء تركيا دوراً أكبر في العلاقات الدولية، والانخراط بالمنظمات، والمؤسسات الدولية، والتعاطي مع كل المواضيع ذات البعد الإقليمي، والدولي.

4-بالرغم من إتباع تركيا لسياسة خارجية جديدة تجاه محيطها الإقليمي؛ إلا ان هذا لا يعني تنازلها عن حلمها في الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، والاحتفاظ بعلاقات مميزة مع الولايات الأمريكية، والفوز بدور مهم، وفعال في حلف الناتو.

Abstract

It is obvious that with the arrival of the Justice and Development Party to power in Turkey in November 2002, its leaders were keen to confirm their adoption of a qualitatively different vision of Turkey's policy and its foreign relations in various circles, especially in the Middle East. This interest was reinforced by the positive developments witnessed by the elements of Turkish power during this period, Especially in its economic dimensions; Where Turkey succeeded in occupying the first place among the economies of the region and the sixteenth at the global level in terms of the volume of GDP. This was accompanied by an increase in the presence and activity of the Turkish role in many pivotal issues in the region, whether with regard to the Iraqi issue, the Arab-Israeli conflict with its multiple paths, the crisis of the Iranian nuclear program, or the proposition of Turkey as a model for reform issues in the region in its various dimensions, and other issues. Therefore, by shedding light on the study, and analyzing what was included in the research paper among the regional determinants of Turkish foreign policy is the AKP's tenure; A set of results were reached as follows:

1- The findings showed that the Turkish foreign policy during the ruling Justice and Development Party (AKP) period seems to be an embodiment of the vision of Ahmed Daoud Ogloa, who is considered the architect of the new Turkish foreign policy.
2- Moreover, it revealed that adopting a multidimensional foreign policy. It states that Turkey's relationship with international players is complementary, not competitive.

3- The study also showed that following the principle of active diplomacy, which would give Turkey a greater role in international relations, engage with international organizations and institutions, and deal with all issues of a regional and international dimension.
4- Finally, this study found that despite Turkey's adoption of a new foreign policy towards its regional environment; however, this does not mean that it has given up its dream of joining the European Union, maintaining distinguished relations with the American states, and winning an important and effective role in NATO.

مقدمة

مع وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة حصل تغير جذري ليس فقط في التوجهات التكتيكية، بل حتى في أصول السياسات المتبعة، ولأول مرة يصل حزب لسدة الحكم، ويحمل مسبقاً رؤية مختلفة لمكانة تركيا، وموقعها، ودورها في الساحتين الإقليمية، والدولية.

لقد قامت تركيا بإعادة تحديد أهداف سياستها الخارجية بحيث تصبح من الدول المعدودة، والمؤثرة في صياغة السياسات العالمية في قضايا الأمن، ونزع التسلح، والتعاون الاقتصادي، ووضعت لتحقيق هذا الهدف **خطتان:**

الأولى: ينتهي تنفيذها في عام 2007 وتصبح تركيا بمقتضاها إحدى أهم خمس عشرة دولة مؤثرة في صياغة السياسات العالمة.

الثانية: ينتهي العمل فيها في عام 2017 وتنتقل فيها تركيا من المرتبة الخامسة عشر إلى المرتبة التاسعة بين الدول المؤثرة في النظام العالمي، وتوظف تركيا في سبيل إنجاز هاتين الخطتين العامل الجيواستراتيجي لموقعها في تفاعلات القوى العالمية بالإضافة إلى ثقافة الدولة التي تشترك بميراث ثقافي ضخم مع دول الشرق الأوسط، وأسيا الوسطى، والقوقاز، وروسيا، وأوروبا؛ لذا فقد اقترحت عدة مشروعات للتعاون الإقليمي مع هذه المناطق في مجالات الطاقة، والنقل، والبترول، والغاز، وشرعت في تنفيذ كثير من هذه المشروعات بالاتفاق مع روسيا، وإيران، وجمهوريات أسيا الوسطى، ودول الشرق الأوسط؛ والملاحظ أن تبني تركيا لهذه المشروعات كان بالأساس نابعاً من إعادة تركيا تحديد دورها في السياسة العالمية قبل أن يكون بدعوة من غيرها سواء أكانت دولاً ممثلة في الصين أو أفراداً، ومؤسسات مثل ليندون لاروش للمشاركة في إنشاء طريق الحرير الجديد[1].

[1]- Sahin, Melimct. "Iran: 'Realistic' Foreign Policy of a 'Theocratic: and Idealistic' State." USAK Yearbook (Ankara: USAK, 2012).

لقد شهدت السنوات الأخيرة تزايد ظهور الدور التركي، والاهتمام به في غالبية القضايا المحورية في الشرق الأوسط، ولاسيما بعد وصول حزب العدالة والتنمية للحكم في 2002، وإعلانه تدشين سياسة تركية جديدة تجاه المنطقة قوامها تأكيد حضور تركيا، ومكانتها كقوة مركزية للاستقرار، وطرف فاعل في معالجة مختلف القضايا، والصراعات في المنطقة.

إن المتغيرات الإقليمية، والدولية التي شهدتها المنطقة، وشهدها العالم ساهمت في وضع تركيا أمام خيارات استراتيجية تتأرجح ما بين غياب، وعزلة عن عالم عربي إسلامي يرتبط بها جغرافياً، وتاريخياً، وبين تعنت، ورفض أوروبي لا يقبل بها أو بمشاركتها، ولكنه يخشى تركها وانفلاتها؛ فما كان من تركيا إلا أن اختارت عمقها الاستراتيجي مع الإبقاء على حبل الود موصولاً مع غربها الأوروبي[1]؛ حيث تؤدي السياسة الإقليمية التركية دورها وسط موازنات معقدة، وقد كان عامل الاستقرار في هذه السياسة خلال الحرب الباردة يعود إلى ارتباط تركيا بعضوية حلف شمال الأطلسي، ولكن مع نهاية الحرب الباردة خشى الأتراك على ضياع دورهم الإقليمي وما يترتب على ذلك من مخاطر على سياستهم الإقليمية؛ وفي ظل التوجه الإقليمي الجديد حدد (سليمان ديمريل) الرئيس التركي الأسبق خمسة دوائر إقليمية للسياسة الخارجية التركية، **وهي:**

- دائرة البلقان التي كان مسرح الحروب الصربية الدموية آنذاك.
- دائرة القوقاز، وأواسط أسيا وكانت مسرح صراع على النفوذ بين تركيا وإيران
- دائرة شرق البحر المتوسط، والتي أسفرت لاحقاً عن تعاون عسكري إسرائيلي– تركي.
- دائرة الشرق الأوسط التي تتمثل بالصراع العربي– الإسرائيلي.
- الدائرة الإسلامية، والتي اعتبرت تركيا نفسها بمثابة الجسر بينها وبين العالم العربي.[2]

---

[1]- OpCit,77

[2] - نبيل شبيب، تركيا ما بين الولاء الأطلسي الأمريكي والمكاسب الإقليمية، 20 سبتمبر 2008، شبكة المعلومات Islam on line.com

سنقوم من خلال هذه الورقة البحثية بتسليط الضو بالدراسة، والتحليل للمحددات الإقليمية للسياسة الخارجية الدولية، وذلك بهدف الإجابة على تساؤل مفاده؛ **ماهي محددات السياسة الخارجية التركية في محيطها الإقليمي أثناء تولي حزب العدالة والتنمية الحكم؟**

وللإجابة على هذا التساؤل فقد اعتمدنا منهج التحليل الوصفي لوصف، وتحليل السياسة الخارجية التركية في محيطها الإقليمي، واستخلاص نتائج يمكن الاستفادة منها.

لقد ساهمت ثلاثة أحداث مهمة في التأثير بشكل مباشر في صياغة السياسة الإقليمية التركية الجديدة مع مطلع القرن الحادي والعشرين؛ وهي وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة في نوفمبر 2002 وأحداث 11 سبتمبر، واحتلال العراق 2003.([1])

أولاً: أحداث 11 سبتمبر:

وضعت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، تركيا أمام تحدي سياسات الإرهاب الذي طالها في عام 2004، وبعده، وقد زاد ذلك من احتقان، وتشديد الموقف الأمريكي والغرب لحزب العدالة والتنمية كونه مثالاً تطبيقياً لما تقوله أمريكا عن الإسلام السياسي ([2])؛ حيث المزيد من الإقليمية في التوجه، وبشكل يخدم التحالف مع الولايات المتحدة بالإضافة إلى زيادة الاهتمام النسبي بالديمقراطية كأحد نتائج انتهاء الحرب الباردة حيث انعكس ذلك في تزايد تأثير الرأي العام، والإعلام على السياسة الخارجية التركية، وقد تقدر عملية الديمقراطية هذه للسياسة الخارجية التركية إلى أحد احتمالية كلاهما يقوضان بعضاً من مبادئ الميراث الأتاتوركي؛ وهنا يجدر الإشارة الى وجود توجهين على النحو **التالي:**

الأول: التوجه القومي الداعم للروابط مع الدول الأخرى التي تقطن بها أجزاء من الأمة التركية.

الثاني: التوجه الإسلامي الداعي لتقوية العلاقات مع العالم الإسلامي.

---

[1] - محمد نور الدين "تركيا والعالم العربي: علاقات محسوبة " **السياسة الدولية دار الأهرام** العدد 169 يوليو 2007، ص183-184.

[2] - Taspinar, Omer. "Turkey and Saudi Arabia: Strange Bedfellows in Syria." Today 'x Zaman, December 3, 2012; (http://ww\v. todays xanian.com/columnisl-299995-turkey-iind-saudi-arabia-strangebeclfellows-in-syria.hlrnl)

بالإضافة إلى التغير الداخلي المتمثل في تنامي اقتصاد السوق الذي جعل من مجتمع رجال الأعمال في تركيا عنصراً جديداً هاماً في الفكر القومي فسادت توقعات باتجاه تركيا نحو صياغة سياسة خارجية أكثر توازناً، وأكثر تداخلاً تجاه ماضيها الثقافي الذي يضم تقاليد إسلامية عربية؛ ولكن هذا لا يعني أن تركيا تحول وجهها عن الغرب، أو أن سياستها تعتبر " إسلامية"، كما يقول بعض النقاد؛ وبدلاً من ذلك يهدف نشاط السياسة الخارجية التركية الحالية الى التغلب على شذوذ الحرب الباردة، ويمثل محاولة لتوسيع، وتنويع السياسة الخارجية التركية؛ ولكن ليس بتغيير توجهها الأساسي. ([1])

لم يتحدد مدى السياسة الخارجية الجديدة لتركيا على الشرق الأوسط فقط ؛ فقد شمل أيضا عملاً جاداً لتحسين الروابط مع الدول الجديدة المستقلة في وسط أسيا، والقوقاز؛ فقد بدأ انفتاح تركيا على وسط أسيا، والقوقاز قبل حصول حزب العدالة والتنمية على السلطة في عام 2002؛ وفي البضع سنوات الأولى قبل انهيار الاتحاد السوفييتي، أطلقت تركيا، تحت القيادة الديناميكية للرئيس تورجوت جوزال، حملة محكمة لبسط العلاقات مع الدول حديثة الاستقلال في وسط أسيا ([2])، وقاد بادرت أنقرة بفتح مراكز ثقافية في جمهوريات وسط أسيا، وتأسيس برامج منح دراسية ممددة للسماح للطلبة من تلك الدول بالدراسة في تركيا، وتوسيع نطاق الإذاعات التليفزيونية لمد تأثيرها الثقافي في المنطقة. ([3])

على نحو مشابه، كان للتحسن المهم في العلاقات التركية مع روسيا في العقد الأخير القليل لعمل لحزب العدالة والتنمية؛ وكما في وسط أسيا؛ فقد تم توجيه الترابط مع موسكو على نحو أولي عن طريق الاقتصاديات، وبخاصة موضوعات الطاقة، فروسيا هي أكبر شريك تجاري لتركيا، وأكبر مورد للغاز الطبيعي لها حيث تمد موسكو ما يقرب من 65 % من واردات الغاز الطبيعي التركي و25% من واردات النفط الخام. ([4])

---

[1] -- OpCit,79
[2]- - OpCit,87
[3]- Muhittin Ataman, "Leadership Change: Ozal Leadership and Restructuring in Turkish Foreign Policy," Alternatives: Turkish Journal of International Relations, Vol. 1, No. 1. (2002) For more information about this issue. See Hakan Yavuz, "Turkish Identity and Foreign Policy in Flux: The Rise of Neo-Ottomanism," Critique Vol.7, No: 12 (1998), pp.19-41
[4]- Op. Cit. 76

يمكن القول إن الموقع الجيوستراتيجي الذي تتمتع به تركيا يؤهلها، ويفرض عليها الاهتمام بالاعتبارات الإقليمية، ويبعد عنها أي شكل من أشكال التهديد الأمني لأراضيها من ناحية، ويعود عليها بمنافع اقتصادية عديدة سواء في إطار علاقاتها التجارية، أو من خلال عبور موارد الطاقة عبر أراضيها من ناحية ثانية، ويمنحها موقعها هذا مجالًا أوسع للحركة والبحث عن النفوذ الإقليمي والدولي من ناحية ثالثة ([1])، وقد بدا ذلك واضحًا جدًّا بالنسبة إلى الدور التركي في محيطه الإقليمي إبان سنوات التوتر في العلاقة بين تركيا والولايات المتحدة الأمريكية، خصوصًا خلال سنوات إدارة الرئيس بوش الابن في كل ما يتعلق بقضايا الشرق الأوسط

لقد تخوفت تركيا من اتساع شقة الخلاف بينها، وبين الولايات المتحدة الأمريكية بسبب التناقض الواضح بين المصالح التركية، وبين أهداف الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط، وتزايدت مخاوف تركيا من فقدانها السيادة نتيجة تأثير الإجراءات السياسية، والاقتصادية، والعسكرية الأمريكية في المنطقة، والتي تقع خارج نطاق السيطرة التركية، وقلقها العميق من إهمال الولايات المتحدة الأمريكية الملحوظ للكرامة، والشرف القومي التركي، ومحاولة دفعها إلى صراعات إقليمية غير مرغوب فيها، وخسارتها لخياراتها السياسية الخارجية نتيجة التزاماتها تجاه الحليف الأمريكي، فضلًا عن تشككها في موثوقية الالتزامات الأمنية الأمريكية خصوصًا عندما تتناقض تلك الالتزامات مع المصالح الأمريكية في لحظة معينة؛([2]) وبالرغم من هيمنة الولايات المتحدة الاقتصادية والعسكرية، إلا أن قدرتها على المناورة، والتحرك في هذه البيئة المتغيرة تصطدم بعدد من العراقيل **منها:**

1- الضرر الذي تسببت فيه حرب إدارة بوش المتهورة، والقاتلة في العراق، والتي خلقت استياء عميقًا عبر العالم العربي، ولطخت صورة الولايات المتحدة، وقوَّت إيران وزادتها جرأة.

[1]- Op. Cit. 77

[2] - غراهام فولر، الجمهورية التركية الجديدة: تركيا كدولة محورية في العالم الإسلامي، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية،2009، ص208.

2- فشل إدارة بوش في التحرك لوقف حروب إسرائيل الدموية الأربع ضد لبنان (2006)، والفلسطينيين (الضفة الغربية في 2002، وغزة في 2006 و2009)، والتي لم تؤد إلا إلى تعميق الغضب العربي من الولايات المتحدة، وأخيرًا، ورغم نية أوباما تغيير الاتجاه، فإن التصلب الإسرائيلي والانقسام الحزبي العميق في واشنطن كانا يحبطان جهوده مرارًا، وتكرارًا.

3- أن علاقات الولايات المتحدة الوثيقة مع إسرائيل قد قلصت من قدرتها على لعب دور مهم في المنطقة العربية، وفي إثر اندلاع الثورات العربية، وتساقط حلفاء الولايات المتحدة واحدًا تلو الآخر، ورغم حديث الولايات المتحدة عن دعم الانتفاضات الشعبية إلا أنها ارتأت أنه إذا ما كُتب لهذه الانتفاضات النجاح، فإن التحول الذي سينتج عن ذلك لن يؤدي إلا إلى تعقيد وضع الولايات المتحدة الصعب أصلًا في الشرق الأوسط أكثر، فلم تجد واشنطن سوى تركيا كحليف مهم في المنطقة.([1])

ثانياً: وصول حزب العدالة والتنمية إلى سدة الحكم في نوفمبر 2002:

هيمن حزب العدالة والتنمية على الحكومة والبرلمان اثر الانتخابات التي جرت في تركيا بحصوله على الأغلبية لوحده للمرة الأولى منذ بداية التسعينات، وقد غيرت ممارسات هذا الحزب من صورة تركيا لدى دول الإقليم، والعالم؛ فقد انتهجت الحكومة التركية الجديدة بقيادة حزب العدالة والتنمية سياسة تعدد البعد، والتي كان لها تأثير واضح على علاقات تركيا الإقليمية، والدولية لاسيما مع العالمين العربي والإسلامي؛ إذ نجحت هذه السياسة في الانفتاح على كل الدول العربية، والإسلامية من دون استثناء لاسيما مع سوريا وإيران ومع المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي.([2])

لقد استطاعت تركيا منذ زمن أن توجد لنفسها دوراً إقليمياً بديلاً عما كانت عليه في حقبة الحرب الباردة، ومن ذلك العمل على تحقيق الوفاق مع روسيا الاتحادية وتوثيق

[1] - جيمس زغبي، الدور التركي والمتغيرات الإقليمية، الحياة 2011/5/12

[2] - محمد نور الدين، مصدر سبق ذكره، ص 183.

العلاقات مع دول الجوار مثل جورجيا (عوامل اقتصادية أنابيب نفط)، وإيران (عوامل أمنية قضية الأكراد) ثم بعد ذلك توصلت إلى فتح المفاوضات غير المباشرة والمجمدة بين إسرائيل، وسوريا، والسعي إلى إتباع سياسة التهدئة في النزاع مع اليونان بشأن قبرص، وحتى مع أرمينيا في فتح صفحة جديدة من اللقاءات.([1])

لقد انتقلت تركيا بموجب سياسة تعدد البعد إلى موقع المبادر في مواجهة قضايا متعددة مثل فكرة الجوار الجغرافي للعراق، والتوسط في الأزمة اللبنانية، والمشاركة مع قوات اليونيفيل مع حفاظها على علاقات إيجابية مع حماس؛ فإن تركيا حافظت على علاقاتها مع إسرائيل انطلاقاً من إقامة علاقات متوازنة بين الفلسطينيين، والإسرائيليين.([2])

لقد ظهر الحرص على إنجاز، وتحقيق الدور الإقليمي من خلال ثلاثة محاور **أساسية:**

1- محور تهدئة قضية قبرص والتوجه بها نحو حل مقبول عند الأطراف المعنية في الجزيرة وأوروبا وهو ما انعكس فيما، وصلت إليه الجولة الحالية من المفاوضات حول مستقبل الجزيرة.([3])

2- محور التأثير على الأحداث الساخنة على الخط الممتد من إيران عبر العراق إلى سورية، وفلسطين، وحتى السودان، والصومال، وكان من انعكاساته الدور التركي في المفاوضات السورية- الإسرائيلية غير المباشرة.

3- محور منطقة القوقاز ووسط أسيا وكان من أبرز الخطوات الجديدة على صعيدها الزيارة التاريخية التي قام بها الرئيس التركي عبد الله غول إلى أرمينيا.([4])

فيما يتعلق بالأزمة الجورجية أكدت تركيا على وحدة الأراضي الجورجية كما تريد الدول الغربية، والامتناع عن إدانة التحرك العسكري الروسي من جهة أخرى مما يمكن أن

[1] - جيمس زغبي، الدور التركي والمتغيرات الإقليمية، الحياة 2011/5/12

[2] - نبيل شبيب، مصدر سب ذكره.

[3]- Taspinar, Omer. "Turkey and Saudi Arabia: Strange Bedfellows in Syria." Today's Zaman, December 3, 2012; (http://www.todays zaman.com/columnist-299995-turkey-and-saudi-arabia-strangebedfellows-in-syria.html).

[4] - Soner Cagaptay, "Secularism and Foreign Policy in Turkey: New Elections, Troubling Trends," Washington Institute for Near Eastern 'Policy Policy Focus, No.67 (2007} and Zeyno Baran, "Turkey: Partnership on the Brink," The Journal of International Security Affairs, No, 15 (Fall 2008).

ينسجم مع الموقف الأوروبي الذي أحال عملية تحديد مسئولية الصدام العسكري على لجنة تحقيق تابعة لمنظمة الأمن والتعاون في أوربا؛ وبدون شك أن علاقات تركيا الإقليمية لن تكون على حساب علاقتها مع سوريا الاتحادية المتنامية اقتصادياً كما إن الوضع الداخلي في تركيا لا يسمح بالمخاطرة أكثر مما ينبغي بعلاقاتها مع الغرب.

بالرغم من حداثة إقليمية التوجه في السياسة الإقليمية، إلا أن أحداث 11 سبتمبر لم تعده إلى ردته بل استمر ليخدم التوجه الرئيسي، وهو الغربي بالأساس، فلقد صرح وزير الخارجية إسماعيل كيم محاضرة عن الهوية متعددة الأبعاد أن العمل على الاندماج في الاتحاد الأوروبي، وتكريس الوضع المحوري في أوراسيا لا يتناقضان بل يتكاملان "فالهوية التركية هي أوربية وبحر متوسطية، وقوقازية، وبلقانية، وشرق أوسطية، وتمتد جغرافيتها التاريخية، والثقافية العريقة من البلقان لأسيا الوسطى، وأن الهوية التركية نتناج لعدة حضارات، فقد أعيد تعريف السياسة الخارجية التركية بناءاً على خمس **نقاط:**

الأولى: التركيز على هدفين خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين وهما الانضمام للاتحاد الأوروبي، ومن ناحية أخرى أن تلعب دوراً حاسماً في أوراسيا.

الثانية: التأكيد على الأبعاد الثقافية والتاريخية في السياسة الخارجية التركية.

الثالثة: تطوير علاقات تركيا مع جغرافيتها التاريخية، والثقافية.

الرابعة: مخاطبة سوء التفاهم الموروث من الماضي وإعادة تعريف مفهوم (الغرب).

الخامسة: العمل من خلال إدراك أن تركيا المعاصرة تمثل في وقت واحد سبع قرون من العثمانية مع الثورة، والجمهورية([1]).

ثالثاً: حرب العراق 2003:

سعت تركيا لمنع اندلاع الحرب على العراق، وبالتالي منع تغير الوضع الراهن آنذاك، والذي كان ينسجم مع المصالح التركية؛ حيث كان البرلمان التركي قد رفض فِي الأول من مارس 2003، لمذكرة الحكومة التركية الموافقة على فتح الأراضي التركية للقوات الأمريكية؛ ولكن الرهان التركي على منع اندلاع الحرب لم ينجح؛ وأصيبت

[1] - نبيل شبيب، مصدر سبق ذكره.

العلاقات بين البلدين بضربة كبيرة بسبب الموقف التركي الرافض للحرب، ويرجع رفض المجلس الوطني التركي الكبير المشاركة في الحرب إلى الأسباب **الآتية:** ([1])

1 –سعت حكومة (عبد الله غول) إلى حشد موقف عربي، وإقليمي يمنع خيار الحرب من خلال معارضة الرأي العام التركي إشراك تركيا في الحرب ضد العراق.

2–خشية تركيا من أن تؤدي نتيجة الحرب إلى استقلال أكراد العراق وإعلانهم دولة كردية في شمال العراق مما يؤثر على أكراد تركيا في جنوب شرق الأناضول.

3–خشية تركيا من أن تؤدي الحرب ضد العراق إلى حدوث هجرة كبيرة من أكراد العراق إلى تركيا، وأن الحرب ستؤدي إلى تفاقم الأزمة الاقتصادية في تركيا بعد الخسائر التي تكبدتها أنقرة جراء الحصار على العراق منذ عام 1991 والتي قدرت بما يقارب 44 مليار دولار. (19)

كان الموقف الذي اتخذته تركيا الرافض للحرب ضد العراق منسجماً مع الموقف الأوربي الذي قادته كل من فرنسا، وألمانيا خصوصاً عندما أصبح لتركيا الرغبة في ظل حكومة العدالة والتنمية في الانضمام إلى الاتحاد الأوربي مما يعبر عن الاتفاق التام لتوجهات المجموعة الأوربية في المواقف حيال العراق؛ وبعد الاحتلال ظهرت بعض المتغيرات التي كان لها أبرز تأثير على السياسة الإقليمية التركية والمتمثلة **في:**

1- انتقال العراق من الصيغة المركزية إلى الصيغة الفدرالية.

2- ظهور كيان كردي بكل ما تعنيه الكلمة؛ كذلك تمركز مسلحي حزب العالم الكردستاني في شمال العراق.

3- تسجيل الأكراد نقاط تقدم مهمة في مسألة كركوك، وأخيراً ارتفاع مستوى التضامن، والأخوة بين أكراد تركيا، وأكراد العراق.([2])

[1] - أحمد نوري النعيمي "العلاقات العراقية" – التركية: الواقع والمستقبل" دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009،ص، 441- 442.

[2] - Hukan Yavuz (ucls). The Emergence of a New Turkey: Democracy and the Ak Parti (Utah: University of Utiih Press, 2006): and Omit Cizre (cds). Secular and Islamic Politics in Turkey: The Making of the Justice and Development Party (London: Roulltfdge. 2007).

خرجت تركيا من التأثير في المعادلة العراقية من الداخل؛ إذ افتقدت أوراق التأثير المباشر كما افتقدت القدرة على القيام بتحريك قواتها عبر الحدود في ظل الرفض الأمريكي.([1])

إن من أبرز سمات السياسة الإقليمية التركية الجديدة كما يرى د. أحمد داوود أوغلو هو أن تركيا ليست دولة طرف بل هي دولة مركز؛ فهي ليست دولة منزوية جغرافياً بل تجمع بين عدة أقاليم؛ فهي ليست دولة أوربية فحسب بسبب موقعها المركزي بل دولة أسيوية أيضاً، وهي ليست دولة متوسطية، وحسب بل هي دولة واقعة على البحر الأسود أيضاً كما يوجد أجزاء من تركيا في البلقان، والقوقاز والشرق الأوسط فتركيا في هذه الحالة تمتلك القدرة على التأثير، والتأثر بالدول المحيطة بها، وإذا ما ألقينا نظرة تاريخية نجد أن تركيا تقع وسط المكان الذي تشكل فيه تاريخ الحضارات الموجودة في المنطقة، وعندما نلقي نظرة إلى حضارة ما بين النهرين والحضارات المصرية، واليونانية، والإسلامية، والرومانية، والعثمانية نجد إن تركيا ليست دولة طرفية بل هي تؤثر في حضارات عدة، وتتأثر بها في الوقت نفسه؛ فهي دولة مركز من الناحيتين التاريخية، والثقافية كذلك تمر من تركيا خطوط النفط، والغاز مثل خط نفط باكو– تبليس– جيهان وخط نفط كركوك– يمورتاليك.([2])

يرى د. أحمد داوود أوغلو أنه عندما يتم النظر إلى تركيا من الشرق فإنها تظهر دولة عربية، وعندما يتم النظر إلى تركيا من الغرب فإنها تظهر دولة غربية وعندما يتم النظر إليها من الشمال أي من ناحية الدول المتطورة اقتصادياً نجد أنه ينظر إليها على أنها دولة جنوبية من حيث الكثافة السكانية، والوضع الاقتصادي المتردي، وانخفاض دخل الفرد، وإذا ما نظر إليها من الجنوب فيمكن اعتبارها جزء من دول الشمال؛ فهي جزء من الاتحاد الأوربي، وعضو في منظمة المؤتمر الإسلامي، وعضو في منظمة (G20)، (وهي مجموعة الدول التي تضم 20 دولة جنوبية)، وهي عضو في منظمة التنمية،

[1]- Hakan Yavuz (eds), The Emergence of a New Turkey: Democracy and the Ak Parti (Utah: University of Utah Press, 2006); and Omit Cizre (eds), Secular and Islamic Politics in Turkey: The Making of the Justice and Development Party (London: Routledge, 2007).

[2] - محمد نور الدين مصدر سبق ذكره، ص 184.

والتعاون الاقتصادي؛ فتركيا دولة تجمع بين الحضارة الإسلامية، وعقلانية الغرب مع خصوبة اقتصاد الشمال مع البحث عن العدالة في الجنوب كما تمتلك المؤهلات التي تمكنها من أن تصبح دولة نموذجية للمعطيات الثقافية للعولمة، واللامركزية؛ إنها تمتلك قوة تستطيع من خلالها التدفق نحو محيطها، والمقصود بدولة المركز هو أن تكون تركيا موجودة في لب التطورات في الشرق الأوسط بشكل سلمي، وبأدوات اقتصادية، وثقافية، ولكي تكون تركيا دولة مركز فإنها تعمل على خفض المشاكل مع دول الجوار إلى نقطة الصفر، وهذا لا يعني خفضها فقط بل القضاء عليها نهائياً أي القضاء على كل المشكلات مع دول الجوار.

إذا ما نظرنا إلى تركيا قبل عقد من الزمن فإنها كانت متصارعة مع سوريا، واليونان، ولديها علاقات سيئة مع إيران، وكان من الصعب، وقتئذ بناء علاقات مع العراق، وبعد وصول حزب العدالة والتنمية أصبح الوضع مختلفاً إذ وصلت العلاقات مع دول الجوار إلى درجة ممتازة، ووصل تبادل الزيارات بين المسئولين الأتراك، والدول المجاورة لاسيما سورية، وإيران، واليونان، وبلغاريا، والعراق.

عقدت تركيا لأول مرة اجتماعاً ثلاثياً مع أرمينيا، وأذربيجان على هامش قمة حلف شمال الأطلسي من أجل تحقيق الاستقرار في منطقة جنوب القوقاز، وفي الوقت الذي تتابع فيه تركيا على خفض المشاكل مع دول الجوار إلى مرتبه الصفر فإنها تعمل على المساهمة في حل المشكلة الفلسطينية أيضاً.([1])

كذلك تنظر تركيا إلى التوزيع المتوازن للعلاقات مع الدول المجاورة الأخرى وتسعى إلى تطوير علاقاتها مع الدول الأخرى مثل اليابان، والصين، وماليزيا، وروسيا؛ وتتبنى دبلوماسية فعالة إذ أن علاقاتها تمتد من أسيا إلى أوربا فلا يمكن لتركيا أن تصبح دولة مركز بتهميشها لعلاقاتها مع دول الاتحاد الأوروبي؛ وتتطلب دولة المركز خصوصية من نوع ما فهناك بعض الدول تابعة لمنطقة واحدة، والوضع لتركيا مختلف فلا يمكن تعريفها من خلال انتمائها لقارة واحدة أو منظمة واحدة، وبالتالي فهي تبني علاقات متوازنة، ومتكاملة مع كل القارات، والمناطق في كل مكان، وليس في مكان واحد؛ كذلك تعمل على

[1]- - William Hale. '/iwA't'.)'. ""•' US and Iraq (London: SAQI Books. 2007).

خلق روح وزمام المبادرة في حل المشاكل الإقليمية فقد عملت على جمع الدول المجاورة للعراق سعياً منها للحفاظ على وحدة الأراضي العراقية، وكانت مبادرة ضد من يريد تقسيم العراق؛ كذلك تعني الدولة المركزية الاعتدال في الإسلام انطلاقاً من أن الإسلام دين يحتضن الإنسانية جمعاء من خلال الحضارة التي أنشأها.([1])

إن هذه التطورات في السياسة الإقليمية التركية الجديدة إنما هي انعكاس لتطورات داخلية جديدة فقد حدث تحول في العلمانية، وهو نمط العلمانية الليبرالية التي تؤكد على حرية الدين وهي النموذج الليبرالي الأصيل حيث تحترم الدولة المجالين الخاص، والعام تماماً بضابطين فالدولة لا تشرع باسم دين أو مذهب على حساب غيرهما، ولا تسمح الدولة بأن يُكره المجال العام شخصياً على الشعور بالحرج من التعبير عن رموزه الدينية أو تتبنى دين دون أخر، وهنا على الحكومة التركية أن تبدد المخاوف من خطر أن تزعم أي طائفة أو فئة حقاً لها في أن تشرع لكل المجتمع باسم الدين في حدود تفسيرها الضيق لبعض نصوصه غير عابئة بحقوق الأفراد من الديانات الأخرى أو من داخل الدين نفسه في أن يكون لهم مجالهم الخاص، ومجالهم العام المدني الذي يتحركون فيه، ولكن السياسة، والحكم، والتشريع أيضاً؛ ومن هنا تأتي أهمية الليبرالية سواء في وجود العلمانية أو في وجود القراءة المستنيرة للدين حيث إنها تضع قيوداً على الاستبداد باسم الدين، والاتجار به؛ وهنا يحاول حزب العدالة والتنمية أن يثبت أنهم ليبراليون متصالحون مع الدين يحترمونه ويضعونه في مكانه اللائق به سواء على المستوى الفردي أو كإطار عام لحياة الناس في مجتمعهم دون أن يسمح للسلطة بالتعسف في استخدامه، وأن يقضي على حقوق الأفراد وحرياتهم التي نص عليها الدستور التركي فالدولة الليبرالية تتدخل بالتشريع لحماية حقوق الأفراد ولا ترى أن عليها مسئولية إجبار أحد على التخلي عن رموزه ومعتقداته ولكنها تهدف إلى التعايش مع الجميع.([2])

لو تأملنا في تطور السياسة التركية حيال العالم العربي لوجدنا أنها اتسمت بالسلبية، وذلك لعدة أسباب **منها:**

[1] - أحمد داوود أغلو "الاستراتيجية التركية الجديدة" شئون الأوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد 116 خريف 2004، ص 142- 145.
[2] - المصدر نفسه، ص 147- 150.

- الاعتراف بإسرائيل حال تأسيسها عام 1984 .
- الدخول في عضوية حلف الأطلسي، وحلف بغداد لخدمة المصالح الغربية.(26)
- في منتصف الستينات، وعقد السبعينات ازدادت السياسة التركية سلبية حيال الدول العربية من خلال مشروعات المياه التي قررت تنفيذها في منابع نهري دجلة والفرات بأراضيها وهي مشروعات من شأنها أن تلحق الضرر بكل من سورية، والعراق.
- الاجتياح المتكرر لشمال العراق لمطاردة حزب العمال الكردستاني.
- المشاركة في التحالف الدولي ضد العراق في حرب الخليج الثانية في مطلع التسعينيات .
- تطورت السياسة التركية إلى مرحلة حرجة في العلاقات مع العرب حينما تحالفت تركيا مع إسرائيل في العام 1996 من خلال معاهدات عسكرية واقتصادية.
- تدهور العلاقات السورية- التركية في العام 1998، بسبب اتهام تركيا سورية بإيواء عناصر من حزب العمال الكردستاني.

مع وصول حزب العدالة والتنمية في تشرين الثاني 2002 حصل تطور مهم في الأوساط السياسية حيث ظهرت طبقة جديدة من المثقفين الشباب الذين يمتلكون رؤية متطورة للمتغيرات الدولية، ويدركون أهمية الروابط التاريخية، والحضارية، والمصلحية التي تربط تركيا بعمقها العربي- الإسلامي، ويؤمنون كذلك بقدرتها على القيام بدور فاعل ليس على المسرح السياسي الإقليمي فقط؛ وإنما على مسرح السياسة العالمية أيضاً، وأسرعت حكومة العدالة والتنمية بتصفية تلك العلاقات المتوترة مع دول الجوار، وفي مقدمتها سورية، والعراق في حين أبعدت الطبقة السياسية القديمة ذات التوجهات العلمانية المتطرفة في عدائها للعرب.([1])

منذ انتهاء الحرب الباردة، واحتلال العراق عام 2003، وما حصل من تغيير فيه لاسيما إضعاف قدرته العسكرية، والسياسية، والاقتصادية فقد شكل هذا الحدث واقعاً متغيراً

[1] - معتز بالله عبد الفتاح، "تركيا والبحث عن علمانية متزنة" السياسة الدولية العدد 169، يوليو 2007، ص180.

رئيساً في جيو- سياسية المنطقة، الأمر الذي أتاح للقوى الإقليمية الساعية إلى تحقيق دور إقليمي معترف به.

رابعاً: **التنافس التركي الإيراني**

في ظل غياب أي قوى عربية على الساحة الإقليمية فإن فراغ القوى الإقليمية قد أغرى الدول غير العربية كإيران وتركيا على ملئه، وبسبب طبيعة الخطاب الإيراني، وعلاقة إيران المتوترة مع الغرب كان لتركيا حظاً أوفر في دورها الإقليمي لاسيما أنها تسعى إلى منافسة إيران بخلق قاعدة مصالح مشتركة معها .([1])

وفيما يخص التنافس التركي- الإيراني الإقليمي في المنطقة لابد أن تشير إلى بعض الخواص التي تمتلكها تركيا وهي ما **يلي:** ([2])

- إمكانية القبول التركي لدى جميع دول المنطقة حيث لا توجد حساسيات للسيطرة السياسية أو العقدية كما هو الحال مع إيران.
- قدرة تركيا وهي الدولة الوحيدة التي يوسعها أن تمنع إيران من التوسع حيال الدول العربية سياسياً، وعسكرياً، وعقائدياً، ولديها إمكانات لا تتوفر لدى غيرها من الدول العربية.
- عدم منافسة تركيا النظام العربي، ولا أية دولة عربية أخرى، وليست لديها حسابات خلافية مع بعض الدول العربية.
- تناغم الأداء التركي الإقليمي في العلاقات مع الدول العربية مع القضايا العربية المركزية ذات الاهتمام المشترك.

تحاول تركيا أن تقوم بدور الوسيط بين إيران، والغرب فيما يخص برنامجها النووي؛ ومن الملاحظ أن طبيعة العلاقات التركية الإيرانية، والقوقاز، والعلاقات مع الولايات المتحد، و(إسرائيل)، والقلق حول مستقبل العراق بشكل عام، وشمال العراق على وجه الخصوص ؛ زد على ذلك هناك استثمارات الشركات التركية في

[1]- ihsan Dagi. "The Liberal Turn in Turkish Foreign Policy." Today '.v Zanmn. 23 Februiirs'. 2009

[2] - إبراهيم البيومي غانم "الرؤية العربية لتركيا الجديدة" السياسة الدولية العدد169، يوليو 2007، ص 186- 187.

إيران، واتفاقيات بشأن شراء الغاز الطبيعي قد أضافت بعداً للعلاقات التركية الإيرانية في السنوات الأخيرة.([1])

تعتمد تركيا سياسة عائمة مماثلة لاستيعاب خط الاتحاد الأوروبي عندما يتعلق الأمر بإيران، لذا تحرص تركيا على الموازنة في سياق العلاقات الناشئة في مثلث الولايات المتحدة، وإسرائيل، والأسلحة النووية؛ وتتلخص السياسة التركية حيال إيران بأنها ضد امتلاك إيران الأسلحة النووية، ولكنها ترفض استخدام الخيار العسكري ضد إيران، وتدعوا إلى اعتماد سياسة الحوار بين إيران، وأمريكا، والغرب لإيجاد حلول عملية لمسألة برنامج إيران النووي منها أن تكون تركيا مكاناً مناسباً لتخصيب اليورانيوم الإيراني.

وبناءاً على كل ما تقدم فإن الفراغ الإقليمي الناشئ عن غياب قوى إقليمية فاعلة قد فسح المجال للسياسة التركية لمزيد من التحرك الإقليم الفعال للمحافظة على الاستقرار من خلال إدامة التواصل مع جميع الأطراف الإقليمية وبشكل متوازن.([2])

خامساً: المشكلة الكردية

تعد المشكلة الكردية واحدة من المشكلات المتشعبة، والمعقدة في الشرق الأوسط، لأسباب جغرافية تتعلق بتوزع الأكراد بين ثلاثة مناطق كبيرة في العراق، وإيران، وتركيا مع وجود أعداد منهم في سورية، ولبنان، وأرمينيا، وأذربيجان، وكذلك لأسباب أمنية، فالمشكلة الكردية لا تخص الأكراد وحدهم بل تخص الدول، والشعوب التي يعيش الأكراد بينهم تاريخياً، وقد تحولت المشكلة الكردية من مشكلة محلية إلى مشكلة إقليمية تهم العراق، وسورية، وإيران، وتركيا، كما أضحت لها أبعاد غربية، كأولوية أمنية غربية (أمريكية) في منطقة الشرق الأوسط خاصة بعد رعاية واشنطن لاتفاق المصالحة الأخير بين مسعود البارزاني زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني، وجلال الطالباني زعيم الاتحاد الوطني الكردستاني، وقد تحفظت أنقرة تجاه الاتفاق المذكور، ورأت فيه نواة لقيام دولة كردية في كردستان العراق؛ ورغم أنه لا توجد إحصائيات دقيقة حول عدد السكان الأكراد، إلا أن

[1] - أنقرة: د. باكينام الشرقاوي، الانطلاقة الإقليمية التركية، لماذا، وكيف؟
.Oh, http://www.islam linihet/servlet/satellitec

[2] - انظر: إبراهيم عالي- محمود عبده علي، انتفاضة أردوغان الشرق الأوسطية، رؤى تركية.

الإحصائيات على تباينها تشير إلى أن عددهم يبلغ نحو 20 إلى 30 مليون نسمة، وبذلك يشكلون أكبر أقلية قومية محرومة من كيان خاص بهم وأكبر نسبة للأكراد هي في تركيا، وتشير المحايدة الكردية إلى أن عددهم في تركيا يتراوح بين 16 و18 مليون نسمة في حين تشير المصادر المحايدة إلى أن عددهم يتراوح بين 10 و12 مليوناً، فيما تقول المصادر التركية الرسمية أن عددهم لا يتجاوز ستة ملايين([1])، وتبلغ نسبة مساحة كردستان تركيا نحو ربع المساحة الإجمالية لتركيا ومعظم الأكراد في تركيا يسكنون ثلاثة عشرة ولاية في جنوب شرق الأناضول، ويعيش نحو مليون كردي في غرب الأناضول إما هاجروا قسراً أو هاجروا طلباً للعمل، والرزق.([2])

رغم أن مشكلة تقرير مصير الشعب الكردي في تركيا أثيرت في اتفاقية سيفر 1920 بين تركيا، والحلفاء المنتصرين في الحرب العالمية الأولى، حيث نصت البنود 62 و 63 و 64 من الاتفاقية المذكورة على إقامة كيان قومي كردي في جنوب شرق تركيا، يحصل الشعب الكردي– حسب الاتفاقية– بعد خمس سنوات من قيام هذا الكيان على استقلاله، بموجب استفتاء تشرف عليه عصبة الأمم، إلا أن الزعيم التركي أتاتورك نجح في إبدال بنود اتفاقية سيفر المذكور بمعاهدة لوزان عام 1923 التي تجاهلت الحقوق القومية الكردية المنصوصة في اتفاقية سيفر (34)؛ ومنذ ذلك الوقت حاولت تركيا، وما زالت إنكار الهوية القومية للشعب الكردي في تركيا بشتى الوسائل السياسية، والقانونية، والأمنية، وقد سمتهم بـ "أتراك الجبال" إلا أنه وعقب حرب الخليج، وانحسار السلطة المركزية العراقية عن شمال العراق وجدت تركيا نفسها متورطة في المسألة الكردية بعد أن قفزت هذه المسألة إلى واجهة الأحداث التركية في الداخل، والخارج، وأضحت مدرجة في جدول أعمال السياسة الداخلية، والخارجية التركية؛ ففي الداخل تصاعدت حدة نشاط حزب العمال الكردستاني الذي يخوض حرباً دموية ضد الدولة (Pkk) منذ آب عام 1984م، وقد وصلت ضحايا هذه الحرب من الجانبين إلى نحو ثلاثين ألف قتيل؛ وفي الخارج

[1]- http://www.islam online.net/servett/satellite?pinr-Turkish- Iranian- Syrian relation:= article limits of regiohal

[2] - انظر: report Id=276. http://www.pinncon/report-php,ac=view-printable

أسفرت التطورات اللاحقة لحرب الخليج عن ظهور نواة دولية كردية في شمال العراق حيث تخشى تركيا من انسحاب آثار هذه الدويلة مستقبلاً على أكراد تركيا.([1])

رغم أن تركيا شاركت في "قوات الحماية الدولية" التي تركزت في قاعدة انجرليك التركية في عام 1991، بهدف حماية أكراد العراق من هجمات محتملة ضدهم من قبل نظام صدام حسين، وحرصت تركيا على تبني سياسة أكثر مرونة، وانفتاحاً من قبل إزاء الأكراد في مناطقها الجنوبية– الشرقية؛ فقد أقر البرلمان التركي 1991 مشروع قانون "مكافحة الإرهاب" الذي نص على إلغاء القانون رقم 2932 الصادر عام 1982 بشأن حظر الحديث باللغة الكردية، 163 من القانون الجنائي المتعلق بالجرائم– 142– وإلغاء المواد 141 الأيديولوجية، والمقصود بذلك إنشاء أو الانتماء إلى عضوية أحزاب دينية أو يسارية ([2])، إلا أن هذه السياسة لم تؤد إلى نتائج مرضية فقد تفاقمت المشكلة الكردية في الداخل التركي أكثر فأكثر، ووسعت المشكلة دائرة الانقسام بين الأحزاب التركية والجيش، وأرخت بظلالها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وباتت الحرب ضد حزب العمال الكردستاني تكلف الخزينة التركية سنوياً نحو/ 10/ مليارات دولار.([3])

خارجياً أدت هذه المشكلة إلى مزيد من التوتر في العلاقات مع سوريا، وإيران حيث تتهم تركيا هاتين الدولتين بدعم حزب العمال الكردستاني في حربه ضد الدولة التركية، كما أن الاحتياجات العسكرية التركية المتكررة لشمال العراق بهدف ضرب مواقع الحزب المذكور، وتوجه أنقره إلى إقامة منطقة أمنية في شمال العراق على امتداد الحدود العراقية– التركية أدى إلى التوتر في العلاقات التركية مع سورية بالدرجة الأولى، والعراق، وإيران بالدرجة الثانية خاصة بعد أن ربطت أنقرة بين مشكلة الأمن "الإرهاب"، والتوصل إلى اتفاقية مع سورية، والعراق بشأن مياه نهري دجلة، والفرات، وكذلك توطيد علاقاتها العسكرية مع إسرائيل من خلال عقد سلسلة اتفاقيات عسكرية معها؛ وجاءت الأزمة التركية السورية الأخيرة في تشرين الأول عام 1998 والتي انتهت بتوقيع اتفاقية أضنة بين البلدين

[1] - أدوغان محمد خلف، الدور التركي الإقليمي، كلية القانون قسم العلوم السياسية. www.195.net195,q434y=au

[2] - راجع منذر الموصلي عرب وأكراد، رؤية للقضية الكردية، دمشق، دار العلم- الطبعة الثانية 1991، ص67-81، كذلك جوناثان راندال، أمة في شقاق دروب كردستان كما سلكتها- ترجمة، فادي حمود، بيروت، دار الزهار، 1997، ص22.

[3] - حامد محمود عيسى، المشكلة الكردية في الشرق الأوسط، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1992، ص372-373.

في التاسع والعشرين من الشهر نفسه، ومن ثم اختطاف تركيا لزعيم حزب العمال الكردستاني عبد الله أوجلان في منتصف شباط 1999، من العاصمة الكينية نيروبي، وما تبع ذلك من رادات فعل كردية غاضبة داخل تركيا، وكذلك في العواصم الأوروبية، والأسيوية ضد المصالح التركية إضافة إلى مطالبة دولية واسعة بإيجاد حل سلمي للمشكلة الكردية في تركيا، هذه الأمور، وغيرها أظهرت عمق المشكلة الكردية في تركيا، وارتباطها بالسياسة الخارجية لتركيا، وعلاقاتها الإقليمية والدولية.

في الواقع أضحت هذه المشكلة ملفاً دائم التوتر في العلاقات التركية الخارجية ليس مع سورية، والعراق، وإيران فحسب بل مع أرمينيا، وروسيا، واليونان، وقبرص، وألمانيا، وهولندا إضافة إلى عدد من الدول الأوروبية الأخرى، حيث تصر أنقرة على القول إن المشكلة هي من صنع الخارج، وإنها مشكلة "إرهاب" في حين أنها في جوهرها مشكلة تركية داخلية مزمنة يعود تاريخها لأكثر من ثلاثة قرون عندما كانت ولايات كردستان داخل الدولة العثمانية تتمتع بأشكال الحكم المحلي، والذاتي فيما تنكر الحكومات التركية المتتالية منذ 1923، وحتى الآن هذه المشكلة.([1])

تبدو السياسة التركية اتجاه المشكلة الكردية متناقضة؛ ففي الوقت الذي لا تعترف فيه تركيا بوجود مشكلة كردية في تركيا، وتتبع ضدهم أشد الأساليب العسكرية في الداخل، تقوم بدور الحماية لأكراد العراق؛ وتقيم مع الفصائل الكردية في شمال العراق أشكالاً من التعاون الأمني، والسياسي، وترعى جهود الوساطة السلمية بين الفصيلين الكرديين المتحاربين الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة مسعود البارزاني، وحزب الاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة جلال الطالباني، وتهدف تركيا من وراء هذه السياسة **إلى:**

أولاً: تحييد أكراد العراق إزاء المشكلة الكردية في تركيا، بل، وتجيير هؤلاء ضد حزب العمال الكردستاني خاصة في ضوء الخلافات العميقة بين هذا الحزب والحزب الديمقراطي الكردستاني .

[1] - خورشيد دلي، القضية الكردية، مجلة العلوم الاجتماعية مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، المجلد الثاني والعشرون، العدد1-2 ربيع/ صيف ص202- 210.

ثانياً: استخدام الورقة الكردية كعامل ضغط ضد جيرانها الجنوبيين للقيام بدور إقليمي؛ ولكن الثابت في السياسة الخارجية التركية أن أنقرة ترفض قيام دولة كردية مستقلة في العراق وتلتقي توجهاتها هذه مع توجهات إيران، والعراق، وسورية في رفض قيام دولة مستقلة للأكراد، ومن هنا تكرر تركيا مبادئ سياستها تجاه العراق القائمة على تمسك تركيا بوحدة أراضي العراق وسيادته، ومعارضتها أية محاولة لإقامة دولة كردية في شمال العراق.([1])

إن الأبعاد الكردية في السياسة التركية تجاه سورية، والعراق أضحت قوية، وبسببها تتعرض العلاقات التركية السورية إلى توتر مستمر، فتركيا تتهم سورية بدعم حزب العمال الكردستاني حيث يطلق مسئولوها في العديد من السياسات التهديدات ضد سورية؛ في حين تنفي سورية الاتهامات التركية، وتبدي المرونة، والهدوء تجاه التهديدات، والتصريحات الاستفزازية للعديد من المسئولين الأتراك.

رغم المحاولات المتبادلة من الجانبين لتسوية الخلافات، وتصحيح الأجواء، وبدء مرحلة جديدة في العلاقات بين البلدين؛ كان أخرها زيارة معاون وزير الخارجية السوري عدنان عمران إلى أنقرة في تموز 1998؛ إلا أن هذه المحاولة، وغيرها من المحاولات السابقة لم تنجح في تصحيح الأجواء السلبية بين البلدين خاصة في ظل إصرار تركيا على ربط موضوع المياه بمشكلة "الإرهاب"، وتوطيد تحالفها العسكري مع إسرائيل، وكانت سورية وتركيا وقعتا اتفاقات في عامي 1992– 1993 بشأن أمن الحدود بين البلدين.([2])

في الواقع ستظل المشكلة الكردية حاضرة في السياسة التركية تجاه دول الجوار العربي (سورية والعراق) ما بقيت هذه المشكلة دون حل، وبتقديري مهما ذهبت تركيا في إنكار هذه المشكلة الداخلية فإن ذلك لن يكون حلاً لها على المدى المنظور، وما لم تتجه تركيا إلى التعاطي الإيجابي مع مشكلتها الكردية، وعدم الاستمرار في محاولة تصديرها إلى الخارج فإن هذه المشكلة سوف تسبب المزيد من التدهور في علاقات تركيا مع دول

[1] -- جلال عبد الله معوض، تركيا والأمن القومي العربي، السياسة المائية والأقليات المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت ، العدد 160/ 1994/ ص 92- 124.

[2] - راجع، محمد أمين زكي، تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي، تعريب، محمد علي عوني، 1945، مكان ودار النشر غير موجودين، ص 276- 436.

الجوار الجغرافي فضلاً عن أنها ستظل عقبة كبيرة تمنعها من القيام بدور إقليمي سواء تجاه الشرق الأوسط أو باتجاه آسيا الوسطى، وحتى أوربا.

النتائج

من خلال ما تضمنته الورقة البحثية من دراسة، وتحليل للسياسة الخارجية التركية اثناء تولي حزب العدالة والتنمية الحكم؛ فقد تم التوصل إلى مجموعو من النتائج على النحو

التالي:

1- يبدوا جلياً للمهتمين بالسياسة الخارجية التركية التغير الواضح في سياسة تركيا الخارجية، والمتمثل في امتلاك الرؤية بدلاً من الاعتماد على سياسة رد الفعل في معالجة الأزمات، والتعامل مع القضايا الشائكة في محيطها الإقليمي.
2- حرص الخارجية التركية على اعتماد أسلوب جديد يقوم على نشر سياسة القوة الناعمة؛ وذلك بالاعتماد على قدرات تركيا الاقتصادية بدلاُ من القدرات العسكرية.
3- اعتماد مبدأ الموازنة بين الأمن، والديمقراطية خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر؛ حيث أصبح العالم يتجه نحو الحد من الحريات، والحقوق المدنية لحفظ الأمن، والسلام.
4- اعتماد مبدأ تصفير المشكلات تجاه الجيران لتعزيز الروابط الاقتصادية مع مختلف الدول، والوصول إلى أعلى مستوى من التعاون.
5- تبوا السياسة الخارجية التركية فترة تولي حزب العدالة والتنمية الحكم تجسيداً لرؤية أحمد داوود أغلوا الذي يعتبر مهندس السياسة الخارجية التركية الجديدة.
6- اعتماد سياسة خارجية متعددة الأبعاد؛ تفيد بأن علاقة تركيا مع اللاعبين الدوليين هي علاقة تكاملية، وليست تنافسية.

7- إتباع مبدأ الدبلوماسية النشطة، والتي من شأنها إعطاء تركيا دوراً أكبر في العلاقات الدولية، والانخراط بالمنظمات، والمؤسسات الدولية، والتعاطي مع كل المواضيع ذات البعد الإقليمي، والدولي.

8- بالرغم من إتباع تركيا لسياسة خارجية جديدة تجاه محيطها الإقليمي؛ إلا ان هذا لا يعني تنازلها عن حلمها في الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، والاحتفاظ بعلاقات مميزة مع الولايات الأمريكية، والفوز بدور مهم، وفعال في حلف الناتو.

9- ان تركيا من خلال سياستها الجديدة تهدف إلى استيفاء الشروط لغرض الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي.

10-السعي لتحقيق التكامل الإقليمي عبر تعزيز التعاون الأمني، والاقتصادي، والإقليمي في المنطقة.

11-تسعى تركيا إلى لعب دور حاسم في المؤسسات الدولية، والوصول إلى واحدة من أقوى عشر اقتصادات في العالم.

المراجع

1- نبيل شبيب، تركيا ما بين الولاء الأطلسي الأمريكي والمكاسب الإقليمية، 20 سبتمبر 2008، شبكة المعلومات Islam on line.com.
2- محمد نور الدين "تركيا والعالم العربي: علاقات محسوبة " السياسة الدولية دار الأهرام العدد 169 يوليو 2007،
3- غراهام فولر، الجمهورية التركية الجديدة: تركيا كدولة محورية في العالم الإسلامي، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية،2009،
4- جيمس زغبي، الدور التركي والمتغيرات الإقليمية، الحياة 2011/5/12
5- أحمد نوري النعيمي "العلاقات العراقية" – التركية: الواقع والمستقبل" دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009،
6- أحمد داوود أغلو "الاستراتيجية التركية الجديدة" شئون الأوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد 116 خريف 2004،
7- معتز بالله عبد الفتاح، "تركيا والبحث عن علمانية متزنة" السياسة الدولية العدد 169، يوليو 2007،
8- راجع منذر الموصلي عرب وأكراد، رؤية للقضية الكردية، دمشق، دار العلم- الطبعة الثانية 1991، ص67-81، كذلك جوناثان راندال، أمة في شقاق دروب كردستان كما سلكتها- ترجمة، فادي حمود، بيروت، دار الزهار، 1997.
9- حامد محمود عيسى، المشكلة الكردية في الشرق الأوسط، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1992.

10- خورشيد دلي، القضية الكردية، مجلة العلوم الاجتماعية مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، المجلد الثاني والعشرون، العدد1-2 ربيع/ صيف2020.

11- جلال عبد الله معوض، تركيا والأمن القومي العربي، السياسة المائية والأقليات المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت ، العدد 160/ 1994.

12- راجع، محمد أمين زكي، تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي، تعريب، محمد علي عوني، 1945، مكان ودار النشر.

13- Sahin, Melimct. “Iran: ‘Realistic’ Foreign Policy of a ‘Theocratic: and Idealistic’ State.” USAK Yearbook (Ankara: USAK, 2012)

14- Taspinar, Omer. “Turkey and Saudi Arabia: Strange Bedfellows in Syria.” Today ‘x Zaman, December 3, 2012; (http://ww\v. todays xanian.com/columnisl-299995-turkey-iind-saudi-arabia-strangebeclfellows-in-syria.hlrnl)

15- Muhittin Ataman, “Leadership Change: Ozal Leadership and Restructuring in Turkish Foreign Policy,” Alternatives: Turkish Journal of International Relations, Vol. l , No. 1. (2002) For more information about this issue. See Hakan Yavuz, “Turkish Identity and Foreign Policy in Flux: The Rise of Neo-Ottomanism,” Critique Vol.7, No: 12 (1998),

16- Taspinar, Omer. "Turkey and Saudi Arabia: Strange Bedfellows in Syria." Today's Zaman, December 3, 2012;(http://www.todays zaman.com/columnist-299995-turkey-and-saudi-arabia-strangebedfellows-in-syria.html).

17- Soner Cagaptay, "Secularism and Foreign Policy in Turkey: New Elections, Troubling Trends," Washington Institute for Near Eastern 'Policy Policy Focus, No.67 (2007} and Zeyno Baran, "Turkey: Partnership on the Brink," The Journal of International Security Affairs, No, 15 (Fall 2008).

18- Hukan Yavuz (ucls). The Emergence of a New Turkey: Democracy and the Ak Parti (Utah: University of Utiih Press, 2006): and Omit Cizre (cds). Secular and Islamic Politics in Turkey: The Making of the Justice and Development Party (London: Roulltfdge. 7.007)

19- Hakan Yavuz (eds), The Emergence of a New Turkey: Democracy and the Ak Parti (Utah: University of Utah Press, 2006); and Omit Cizre (eds), Secular and Islamic Politics in Turkey: The Making of the Justice and Development Party (London: Routledge, 2007)

20- William Hale. '/iwA't'.)'. ""•' US and Iraq (London: SAQI Books. 2007)

21- ihsan Dagi. "The Liberal Turn in Turkish Foreign Policy." Today '.v Zanmn. 23 Februiirs'. 2009

22- Mehmet §ahin, "Iran: 'Realistic' Foreign Policy of a 'Theocratic and Idealistic' State, USAK Yearbook (Ankara: USAK, 2012),

23- إبراهيم البيومي غانم "الرؤية العربية لتركيا الجديدة" السياسة الدولية العدد169، يوليو 2007،.

24- أنقرة: د. باكينام الشرقاوي، الانطلاقة الإقليمية التركية، لماذا، وكيف؟

25- .Oh, http://www.islam linihet/servlet/satellitec

26- - انظر: إبراهيم عالي- محمود عبده علي، انتفاضة أردوغان الشرق الأوسطية، رؤى تركية.

27- http://www.islam online.net/servett/satellite?pinr- .Turkish- Iranian- Syrian relation:= article limits of regiohal

28- - انظر: http://www.pinncon/report- report Id=276. php,ac=view-printable

29- - أدوغان محمد خلف، الدور التركي الإقليمي، كلية القانون قسم العلوم السياسية. www.195.net195,q434y=au

الإطار الدستوري والقانوني للهوية في دول الشمال الأفريقي منذ الاستقلال

إعداد الباحث/ طه علي أحمد

باحث دكتوراه بكلية الدراسات الإفريقية العليا، جامعة القاهرة

ملخص

تناولت الدراسة إشكالية الإطارُ التشريعيُ للهويةِ في دولِ الشمالِ الافريقيِ بالسياقِ العام لعملية بناءِ الدولةِ منذ الاستقلال، والذي انعكس بدوره على صياغة الدساتير والقوانين؛ فباعتبارها تُشَكِّلُ العَقدَ الاجتماعي في تلك الدول بعد المرحلة الاستعمارية، عَكَسَت دساتير تلك المرحلة اتجاهات النُخَبِ والمؤسسات المُسَيطِرةِ على الحُكمِ آنذاك. وركَّزَت الأطر القانونية والدستورية في غالبية دول المنطقة على ترسيخ الهوية العربية، وقد كان الميدان الأبرز لهذا التوجه هو تعريب الدولة والمجتمع على حد سواء. حيث كانت قوانين دعم اللغة العربية هي الأساس الذي انطلقت منه الأنظمة الحاكمة نحو هذه المهمة. وقد تعدَّدَت ممارسات ذلك على كافة المستويات. أما في مصر، فقد تراوحت المعالجة الدستورية لإشكالية الهوية بين التأكيد على عروبة مصر وانتماءها للعالم الإسلامي. ففيما يخص عروبة مصر دستوريا وقانونيا، فلم يكن الأمر محل جدل؛ فقد حسم الأمر منذ أواخر القرن العشرين، وذلك في إطار سلسلة القوانين التي بدأت في نهاية القرن الـ 19، في حين شهد البعد الديني جدلاً تشريعيا عبرت عنه التعديلات الدستورية المتعددة والمرتبطة بمكانة الشريعة الإسلامية بين مصادر التشريع.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الإطار الدستوري، شمال افريقيا

Abstract

The study dealt with the problem of the legislative framework of identity in the North African countries in the general context of the state-building process since independence, as it was reflected in the formulation of constitutions and laws. Such framework constituted the social contract in those countries after the

colonial phase. The study concluded that the constitutions reflected the trends of the elites and the ruling institutions at the time, as the legal and constitutional frameworks in the majority of the countries in the region focused on consolidating the Arab identity, and the most prominent field of this trend was the Arabization of the state and society alike. The laws to support the Arabic language were the basis from which the ruling regimes set out towards this task. The practices of this have been numerous at the administrative level of the state, education, the judiciary, the media, and others. Whoever, In Egypt, the constitutional treatment of the identity ranged from emphasizing the Arab identity of Egypt and its affiliation with the Islamic world. The identity dilemma has been resolved since the end of the twentieth century, within the framework of a series of laws that began at the end of the ninetieth century (1888 a.c), while the religious dimension witnessed a legislative debate expressed by the various constitutional amendments related to the status of Islamic Sharia among the sources of legislation.

The Key words; Identity, Constitutional framework, North Africa.

مقدمة

مع تفرد النخبة الحاكمة باحتكار السلطة في إطار أنظمةِ "الحزبِ الواحدِ"، تركَّزَت أولويات هذه الأنظمة في عمليات بناء الدولة التي فرضت التركيز على جوانب التماسك الاجتماعي والتنمية الاقتصادية وفقا لقناعات تلك النخب ورؤاها التي تركزت في غالبيتها حول تأكيد الهوية العربية لدول المنطقة[1]، وقد تفاعلت تلك القناعات مع توجهات القومية العربية التي اجتاحت العالم العربي خلال النصف الثاني من القرن العشرين.

تتناول الدراسة الحالية إشكالية المعالجة الدستورية والقانونية للهوية في دول الشمال الافريقي منذ الاستقلال، حيث تسعى للإجابة على تساؤل رئيس مفاده: إلى أي مدى

[1] Abdullah Aydogan, Party systems and ideological cleavages in the Middle East and North Africa, **Published Paper**, (USA: Columbia University, January 11, 2020), p.3

انعكست توجهات النظم الحاكمة على الوضع الدستوري والقانوني للهوية في دول الشمال الافريقي؟. وتنطلق الدراسة للتأكيد على صحة فرضة مفادها أن الإطار الدستوري والقانوني للهوية في دول الشمال الافريقي قد تشكل نتيجة لصراعات النخب السياسية حول هوية بناء الدولة عقب الاستقلال. لقد انعكس ذلك في مساعي النظم الحاكمة لتأكيد عروبة الدولة خلال عملية بناء الدولة عقب الاستقلال. في هذا الإطار تستخدم الدراسة "نموذج الجماعة" Group Modelكمنهاجية بحثية؛ حيث خضع الإطار الدستوري للقانوني للهوية في دول الشمال الافريقي للتفاعلات الصراعية بين الجماعت المسيطرة على السلطة عقب الاستقلال، في حين تأثرت هذه الأطر لاحقا بالحراك الذي قادته الجماعة الأمازيغية للتأكيد على مكانة الهوية الأمازيغية في دساتير هذه الدول. انطلاقاً من ذلك، يتناول هذا المبحث الإطار التشريعي للهوية تأسيساً على البِنَى الدستورية والنصوص القانونية في دول الشمال الإفريقي، من خلال المحاور التالية:

أولا. المغرب

مثَّل الدستور الأساس الذي انطلقت منه عملية ترسيخ الهوية العربية كانحيازٍ وخيارٍ ثقافيٍ للنخبة السياسية الحاكمة بعد الاستقلال. كما يُمَثِّل الدستور في الحالة المغربية نسقاً متكاملاً من عناصرِ الخطابِ الجامعِ حول الهويةِ الوطنيةِ، بحيث يُلَخِّصُ التوافقات والتناقضات الناتجة عن موازين القوى بين مختلف الفئات الاجتماعية والسياسية والتيارات الفكرية داخل المجتمع، وهو ما عكسته الوثائق الدستورية المتتالية في المغرب منذ الاستقلال. وفي المُجمَل، تأثَّرَ الإطارُ التشريعيُ للهويةِ المغربيةِ في العقودِ التاليةِ على الاستقلال بالانخراط في فُلْكِ العالمِ العربي والإسلامي. وقد تأثَّر ذلك الوضعُ بالعلاقات السياسية للمملكةِ المغربية مع مُحيطها الإقليمي خاصة مع مصر والجزائر. ورُغم حصولِ المغرب على الاستقلال عام 1956، إلا أن دستوره الأول وُضِع عام 1962، حيث

انشغل الملك الحسن الثاني خلال الفترة التالية على الاستقلال بعملية ضبط ميزان القوى لصالحه خلال تلك السنوات الست من الفراغ الدستوري، إذ بات الملك هو الوحيد الذي لديه سلطة تأسيس الدستور[1]. وقد سبق ذلك الدستور ما عُرِفَ بـ "القانون الأساسي" الذي صَدَرَ في 2 يونيو 1961 متضمناً عدداً من المبادئ الدستورية، والتي كان أهمها ما جاء بمادته الأولى بأن "المغربُ مملكةٌ عربيةٌ إسلاميةٌ، الإسلامُ دينُ الدولةِ الرسميةِ، العربيةُ لغةُ البلادِ الرسميةِ... وغيرِها[2]". ومن خلال ذلك النصّ، من الإشارة إلى التعددية العرقية؛ كانت روحُ المقاومةِ والاستقلالِ ومتطلبات الاصطفاف لمواجهة الاستعمار هي الموجة السائدة في العالم العربي والتي على إثرها تراجعت مطالب القوى غير العربية (الأمازيغية على وجه التحديد) لصالح البُعدِ العربي لهويةِ الدولةِ المستقلةِ حديثاً والتي انخرطت حينئذٍ في موجةِ القوميةِ العربيةِ التي اجتاحت العالم العربي.

وفي إطارِ مساعي ترسيخ سلطة الملك الحسن الثاني، الذي خَلَفَ والدَه محمد الخامس، تم إصدار "حالة الاستثناء" في 7 يونيو 1965، والتي منحته حق تعطيل الدستور وحلّ البرلمان، إلا أن تلك الخطوة قُوبِلَت باحتجاجاتٍ شديدةٍ من جانب القوى السياسية وطلاب الجامعات لتدخل البلاد على إثرها في نفقٍ من الأزمات السياسية لمدة 5 سنوات، حتى

[1] أصدر الملك محمد الخامس خطابا موجها للأمة بتاريخ 8 مايو 1958، حيث تضمن هذا الخطاب الذي عرف بـ "العهد الملكي" مجموعة من المبادئ والمقتضيات. للمزيد أنظر: محمد باسك منار، دستور 2011 في المغرب: أي سياق؟ لأي مضمون؟ **دراسة منشورة**، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، يناير 2014)، ص5.

[2] محمد نبيل ملين، **فكرة الدستور في المغرب وثائق ونصوص (1901-2011)**، (الرباط: تيل كيد ميديا، 2017)، ص 140

طُرِحَ دستورٌ جديدٌ للاستفتاء يوم 8 يوليو 1970 في ظل أزمةٍ شرعيةٍ عميقةٍ كانت تمرُّ بها البلاد[1].

لكن تلك التجربة الدستورية لم تشهد تغيراً ملموساً على مستوى الهوية المغربية؛ إذ جاء بديباجة هذا الدستور أن "المملكة المغربية دولة إسلامية ذات سيادة كاملة، لغتها الرسمية هي اللغة العربية، وهي جزء من المغرب الكبير"[2]، وذلك استمراراً لتراجع الإقرار بالانتماء الإقليمي للعالم العربي، إذ كانت العلاقات مع المشرق العربي لاتزال متوترة وبخاصة مع الرئيس المصري جمال عبد الناصر[3]. وهو ما استقرت عليه الوثيقةُ الدستوريةُ التي صدرت في 1972 بعد محاولة انقلاب قام بها مجموعة من ضباط الجيش ضد الملك الحسن، وكذلك الوثيقة الدستورية الصادرة في 1992 حيث كانت المغرب تتأهب للتكيف مع ملامح النظام العالمي الجديد الذي بدأ يتشكل في أعقاب سقوط الاتحاد السوفيتي وتراجع موقف القوى الاشتراكية في الداخل المغربي والعالم العربي. ورُغم أن هاتين الوثيقتين الدستوريتين لم تأتيا بجديدٍ، إلَّا أن التحولات الكبرى التي عرفها العالم في بداية التسعينات وما شكَّلته من مصدر قلق لكافة الانظمة الحاكمة في العالم العربي، ومنها النظام المغربي دفعت لطرح وثيقة دستورية. كان يفترض أن تشهد قدرا من المرونة تناسب تلك التحديات الإقليمية والعالمية، لاسيما وأنها جاءت بعد تنامي مطالب الحركة الأمازيغية

---

[1] عبد الرحيم الورديغي، **المغرب من حالة الاستثناء إلى التنازل عن موريتانيا 1965-1969**، (الرباط: بدون دار نشر، 1992)، ص25.

[2] **دستور المملكة المغربية لعام 1970**، الديباجة. https://cutt.us/jm4xq

[3] رغم الخلاف بين عبد الناصر والملك الحسن، إلا أنه كانت ثمة اتفاقاً فيما يخص القضية الفلسطينية، وهو ما عبر عنه اتفاقهما في قمة كازابلانكا 1961، على اعتبار أن إسرائيل تمثل تهديداً وجوديا للسلام العالمي، والوحدة العربية: Michael Sharnoff, Defining The Enemy As Israel, Zionist, New-Nazi, Or Jewish: The Propaganda War In Nasser's Egypt, 1952-1967, **Published Paper**, The Hebrew University The Vidal Sassoon International Center for the Study of Anti-Semitism, 2017), P.5 ,

والتي عبَّرَ عنه ما عُرف بـ "ميثاق أغادير" في أغسطس 1991 والذي مثَّل أول انطلاقة حقيقية لتحول المطلب الامازيغي من الطابع الثقافي إلى السياسي[1].

في هذا الإطار، جاء دستورُ المغرب لعام 1996 ليُكَرِّسَ الطابعَ الأحادي للهويةِ المغربيةِ باعتماد البُعدِ العربي دون غيره فتم النصُّ على اعتبار المغرب جزءاً من "المغرب العربي الكبير[2]"، وذلك بخلاف الدساتير السابقة التي اكتفت بعبارة "المغرب الكبير" دون الإشارة لكلمة "العربي". كما لم تستجب السلطةُ لطلبِ إدراج اللغة الأمازيغية لغةً رسميةً ووطنيةً إلى جانب العربيةِ رُغم تنامي حضور الحركة الأمازيغية، حيث تقدَّمَت مجموعة من الجمعيات الثقافية الأمازيغية، بالاتفاق مع مجلس التنسيق الوطني، بمذكرةٍ للإصلاحات الدستورية للملك الحسن الثاني 1996. وقد تضمنت هذه الوثيقة التي حملت اسم "ميثاق المطالب الأمازيغية بشأن مراجعة الوثيقة الدستورية"، مطلب دسترة اللغة الأمازيغية إلى جانب العربية مع ضرورة دسترة الانتماء المغربي والمتوسطي للمغرب، فضلا عن المُطالبة بجعل النظام العرفي الأمازيغي مصدرا للتشريع المغربي ومجالات الاستلهام بالنسبة للمُشَرِّع في كل المجالات[3].

وأمام الضغوط التي فرضها البيئة الإقليمية والضغوط الداخلية المتزامنة مع تنامي مطالب الحركة الأمازيغية، تدرَّجَت استجابةُ النظام المغربي؛ فجاءت "مدونة الأسرة" الصادرة في 5 فبراير 2004 متبنيةً العرف الأمازيغ المتمثل فيما يطلق عليه الأمازيغ "تمازلت" أي ما

[1] مصطفى عنترة، تأملات في واقع الحركة الأمازيغية بالمغرب بعد ميثاق أغادير، مرجع سبق ذكره، نفس الصفحة الحوار المتمدن، العدد 738، 2004/2/8. متاح على الرابط: https://cutt.us/CBQC8

[2] المملكة المغربية، **الأمانة العامة للحكومة**، دستور 1996، الرباط، 1996، الديباجة.

[3] على موريف، الهوية الوطنية في الوثيقة الدستورية رصد ومقارنة أولية لمظاهر التطور بين دستور 1996و 2011، **مجلة أسيناك**، (الرباط: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، العدد العاشر 2015)، 20.

يعرف بـ "الكد والسعي" الذي كان مطبقاً في المجتمع الأمازيغي قبل المرحلة الاستعمارية[1]. بجانب ذلك فقد كان هناك تشابهاً مع ما يعرف لدى الأمازيغي بـ "أنفلوس"[2] بمعنى تعيين ممثل للهيئات المعنية، ليكون منوطاً بالدفاع عن مصالح المهنيين وعرض مشاكلهم فيما يندرج في إطار حركة المجتمع المدني[3].

وفي عام 2011، وأمام موجة الحراك الجماهيري التي صاحبت ما عُرِفَ بـ "الربيع العربي"، اتجهت الدولةُ المغربيةُ لطرحِ وثيقةٍ دستوريةٍ جديدةٍ تواكب تلك التطورات الأخيرة. إلا أنه خلال عملية صياغة ذلك الدستور، احتدم النقاش حول طبيعة الدولة المغربية وهويتها، هل المغرب دولة إسلامية أم مدنية، بإدراج عبارة "المغربُ بلدُ إسلاميُ" أو "الشعب المغربي مسلم" بدل عبارة "المملكة المغربية دولة إسلامية" التي وردت في القرة الأولى من ديباجة دستور 1996 في حين انتقلت إلى الفقرة الثانية من دستور 2011 التي نصَّت على أن "المملكة المغربية دول ديمقراطية يسودها الحق والقانون" بما يشير إلى تُصَدِّرُ عبارة الدولة الديمقراطية لهذا الدستور.[4] في حين تم تخصيص فصل كامل في

---

[1] المغرب، ظهير شريف رقم 1.04.22، الصادر في 12 ذي الحجة 1424، (3 فبراير 2004)، **الجريدة الرسمية** المغربية، عدد 5184، بتاريخ 5 فبراير 2004. حيث جاءت الإشارة إلى العرف في عدد من المواد المكونة لهذه المدونة مثل المواد 5، 10، 17، 205، فيما يشير إلى اعتبار العرف الاجتماعي أحد مصادر التشريع وفقا لهذه المدونة الأمر الذي يدفع بالأعراف الأمازيغية إلى واجهة المشهد التشريعي في البلاد.

[2] تعني كلمة أنفلوس الشخص الثقة المسئول في العرف الوضعي الأمازيغي. ابراهيم غريب، محمد أحتوش، بحث ميداني حول الأعراف المنظمة لمؤسسة إيكودار. قراءة في دور العرف لدى القبائل الأمازيغية، مجلة العلوم القانونية، متاح على الرابط . https://cutt.us/ieMGH

3 إكرام عدنني، الأمازيغية وإشكالات الهوية والمواطنة، جريدة السفير العربي، بتاريخ 11/29/ 2015. متاح على الرابط: https://cutt.us/qdaLM

[4] دستور المغرب، 2011

دستور 2011 للجواب عن سؤال اللغة والثقافة لأول مرة في تاريخ التجربة الدستورية بالمغرب.

هنا يُلاحَظ على اللغةِ التي كُتِبَتْ بها الوثيقةُ الدستوريةُ عام 2011 أنها أُخضِعَت لمنطق "إرضاء الكل ومخاطبة وده" ضمانا للتوازن الاجتماعي والسياسي بين كافة الحساسيات السياسية لذا يبدو هذا الدستور كما لو كُتِبَ بلغتين كما يقول عبد الله العروي، أي أنه قابل لتفسيرين الأول أصولي والثاني ديمقراطي[1]. بجانب ذلك، فقد أفرَد دستورُ 2011 مكانةً مهمةً للمركزِ الدينيّ والعقديّ للهويةِ الدينيةِ؛ حيث جاء بديباجته أن "الهوية الوطنية تتميز بتبوءِ الدين الإسلامي مكانة الصادرة لها"[2]. كما تأكد ذلك بعبارتين مباشرتين مثل "المملكة المغربية دولة إسلامية[3]" و "الإسلام دين الدولة"[4].

وعلى هذا، فقد اعترف دستور 2011 بالأمازيغية لغة رسمية ومساواتها باللغة العربية، وبتعهدِ الدولةِ على تطويرها، وتنمية استعمالها. فقد أكَّد هذا الدستور على أن المسألة الأمازيغية ليست حكراً على فئةٍ دون أخرى. وهو ما عكس رغبة النظام الحاكم في تكريس العدالة اللغوية بالمساواة الدستورية بين اللغتين الوطنيتين؛ فقد نص الدستور على تعهد الدولة بالقيام به، وأنه "يُحدد قانون تنظيمي مراحل تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية وكيفية إدماجها في مجال التعليم، وفي مجالات الحياة العامة ذات الأولوية، وذلك لكي تتمكن من القيام مستقبلا بوظيفتها بصفتها لغة رسمية"[5]. لكن ذلك لم ينزل إلى مستوى القوانين إلا

---

[1] عبد الله العروي، **من ديوان السياسة**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2009)، ص53.

[2] **الدستور المغربي**، 2011، الديباجة

[3] الفقرة الثانية من ديباجة الدستور المغربي

[4] الجزء الأول من الفصل الثالث من دستور المغرب، 2011.

[5] أحمد عزوز، **العدالة اللغوية في المجتمع المغاربي: بين الشرعية المطلب ومخاوف التوظيف السياسي**، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، ص2014.

في عام 2019 حينما صدر قانون تنظيمي يحدد مراحل ذلك التفعيل الوارد في دستور 2011؛ فقد نصَّ القانون سالف الذكر على كيفية إدماج الأمازيغية في الإدارات العامة والمرافق العمومية والفضاءات العامة وفي التعليم والعمل والتقاضي والفني وفي قطاع التشريع والتقاضي وفي المجال البرلماني[1].

اتصالاً بذلك، جاءت السياسة اللغوية لتترجم التوجه الدستوري نحو ترسيخ الهوية العربية. فقد جاء قانون الإطار للتربية والتكوين 2019 ليثير جدلاً واسعاً في الأوساط العلمية والأكاديمية إذ رأي فيه كثيرون دعوة للوراء فيما يتعلق بتعريب التعليم، ذلك أن المادة الثانية منه قد أقرت مبدأ "التناوب اللغوي" الذي يهدف إلى تنويع لغات التدريس إلى جانب اللغتين الرسمية للدولة، وذلك بتدريس بعض المواد ولاسيما العلمية والتقنية منها. غير أن المادتين 31-32 قد حددتها تفضيلاً الهندسة اللغوية المتبعة في مختلف مكونات منظومة التربية والبحث العلمي بالمغرب فنصتا على مبادئ أساسية منها: "اعتماد اللغة العربية لغة أساسية للتدريس وتطوير وضع اللغة الأمازيغية في المدرسة، وتمكين المتعلم من اتقان اللغتين مع مراعاة مبادئ الإنصاف وتكافؤ الفرص وإرساء تعددية لغية بكيفية تدريجية ومتوازنة والعمل على تهيئة المتعلمين من أجل تمكينهم من اتقان اللغات الأجنبية في سن مبكرة[2].

ثانيا. الجزائر

1 عبد الرحمن المسكري، **حالة اللغة العربية ومستقبلها**، (أبوظبي: وزارة الثقافة والشباب، 2021)، ص 30.

[2] **المرجع السابق**، ص34.

ارتبط الوضعُ التشريعيُ للهويةٍ في الجزائر بمدركات النخبة الحاكمةِ الجديدة واختياراتِها السياسيةِ والايديولوجيةِ وتفاعلاتِها مع المحيطِ الإقليمي للجزائر عشية الاستقلال. فمِثلَ غيرهم من القوميين العرب، اهتم رجال حزب جبهة التحرير بمحاولات بعثِ هويةٍ عربيةٍ مشتركةٍ بعيداً عن التبعية للاستعمار والقوى الإمبريالية، وكان ذلك في إطار اتصالات النخبة الجزائرية مع نظرائهم في المشرق العربي، ومساعي السلطات الاستعمارية لدمج الجزائر في إطار الهوية الفرنسية[1].

انطلقت النخبة المسيطرة من الفلسفة الاشتراكية التي تجلَّت ملامحها في دستور 1963[2]. لكنَّ من وضع ذلك الدستور حاول ألا يصطدم بطابع الشخصية الجزائرية[3]، حيث حاول إضفاء الطابع الإسلامي على اشتراكية الجزائر[4]؛ فجاء في المادة الثانية أن الجزائر "جزءٌ لا يتجزأ من المغرب العربي والعالم العربي وافريقيا" ونصَّت المادة الرابعة على أن "اللغة العربية هي اللغة القومية والرسمية للدولة"[5]، بينما نصَّت المادة الرابعة على أن "الإسلام دين الدولة"6. وهو ما أكدَّه "ميثاق الجزائر" أحد مخرجات المؤتمر الأول لجبهة التحرير الوطني (16–21 أبريل 1964)، والذي نصَّ على أن "الشعب الجزائري شعب عربي

[1] Haley Brown, French Colonialism in Algeria: War, Legacy, and Memory, **A Thesis Submitted to the Honors Council For Honors in French and Francophone Studies,** (USA: Bucknell University, 2018), P.33

[2] **الدستور الجزائر لعام 1963**، المادة 10.

[3] سهيلة مجدوب، "إشكالية طبيعة الضمانات المقررة لحماية الحق في الاعلام على ضوء الدساتير الجزائرية"، **مجلة القانون الدستوري والمؤسسات السياسية**، (الجزائر: جامعة عبد الحميد بن باديس . مستغانم، المجلد الثاني، العدد 4، ديسمبر 2018)، ص5

[4] حامي حسان، الأزمة الهوياتية في المجتمع الجزائري بين التنازع الأيديولوجي والتوظيف السياسي، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، (العدد 29، يونيو 2017)، 58.

[5] **الدستور الجزائري 1963**، المادة 2

[6] **المرجع السابق**، المادة 4

مسلم، في الواقع منذ القرن الثامن، وقد أعطت الأسلمة والتعريب بلدنا الذي تحافظ عليه حتى الآن"[1].

مع صدور دستور 1975 لم تكن ثمة إشارة إلى الواقع الثقافي والعرقي المتعدد الذي يتميز به الجزائر، حيث اعتمد ـ بدلا من ذلك ـ البُعد الديني فانحصرت عناصر الهوية الجزائرية في العروبة والإسلام. غير أنه تطرق إلى بعدٍ وظيفيٍ هو البعد الاقتصادي الذي تمثل في الاشتراكية التي اعتبرها من مقومات الدولة الجزائرية. فقد اعتُبِرَ مرجعيةً للمواثيق مثل "الميثاق الوطني" لعام 1976 الذي نصَّ علي: "الشعب الجزائري مسلم، والإسلام هو دين الدولة، وهو أحد المقومات الأساسية لشخصيتنا التاريخية"[2]. وبالتالي، اتُخِذَ الإسلام، وفقا لهذا الميثاق، مصدراً لهويةِ الشعبِ والدولةِ الجزائريةِ في محاولةٍ لتوحيدِ كافةِ أطياف وفئات المجتمع[3]. وقد مثَّل هذا الميثاق وفقاً لمادته السادسة "المصدر الأساسي لسياسة الأمة وقوانين الدولة، والمصدر الأيديولوجي والسياسي المعتمد لمؤسسات الحزب والدولة على جميع المستويات"، كما اعتبر الميثاق أن "الإسلام صَهَرَ المجتمع الجزائري فجعل منه قوةً بالمعتقدِ الواحد، وباللغة العربية التي مكَّنَت الجزائر من استنشاق دورها في العامل الحضاري"[4]. لذلك فقد اعتبر أن "الجزائر جزءً لا يتجزأ من الوطن العربي، يرتبط به أواصر اللغة والدين والثقافة، وأن ذلك التضامن الوطني توطد في الماضي وتلك التطلعات

---

[1] ميثاق الجزائر 1964، **مجموع النصوص المصادق عليها من طرف المؤتمر الأول لحزب جبهة التحرير الوطني 21-16 أبريل 1964**، جبهة التحرير الوطني، اللجنة المركزية للتوجيه، الطبعة الوطنية، الجزائر، 1964.

[2] جبهة التحرير الوطني، **الميثاق الوطني 1976**، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، 1976.

[3] تم استبدال يوم العطلة الاسبوعية إلى يوم الجمعة بعد أن كان الأحد فيما سبق. وتم منع بعض المشروبات الكحولية، فضلا التوصل إلى تشريع جديد محافظ لقانون الأسرة عام 1978.

[4] ناصيف نصار، **تصورات الأمة المعاصرة دراسة تحليلية لمفاهيم الأمة في الفكر العربي الحديث والمعاصر**، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث وراسات السياسات، 2017).

المشتركة لتحقيق مصير واحد وأن اللغة العربية كعنصرٍ أساسٍ للهوية الثقافية للشعب الجزائري ولا يمكن فصل شخصيتها عن اللغة الوطنية التي تُعَبّر عنها وأن تعميم استعمال اللغة العربية واتقانها كوسيلة عملية خلاقة يشكل إحدى المهام الكبرى للمجتمع الجزائري، وأن الخيار بين اللغة الوطنية واللغة الأجنبية أمر غير وارد البتة ولا رجعة في ذلك، ولا يمكن النقاش حول تعريب المغرب إلا فيما يتعلق بالمحتوى والسائل والمناهج والمراحل"[1]. وفي تلك الأثناء كانت عملية التغريب تتسلل إلى كافة مفاصل الدولة. هنا يمكن الإشارة إلى ميدان التعليم العالي الذي انطلقت عملية التعريب فيه من خلال مرسوم قانون صدر في 10 أغسطس، وقد قضى هذا المرسوم بتعريب العلوم الاجتماعية[2].

بعد الأحداث الدرامية التي شهدتها الجزائر في 5 اكتوبر 1988، والتي أسفرت عن استقالة الرئيس الشاذلي بن جديد، وُضِعَ دستورٌ جديدٌ في 1989. وقد اتجهت من خلاله الجزائر نحو إقرار التعددية السياسية وفتح المجال أمام الحريات العامة[3]. وقد عكس ذلك الدستور تطوراً تشريعياً للهوية الجزائرية؛ حيث لم تقتصر روافدها على اعتبارات الدين واللغة بقدر ما اتسعت لتشمل الجغرافيا والتاريخ أيضاً. فبجانب اعتبار أن "اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية"، نصَّت ديباجته على أنه: "أولا. عرفت الجزائر في أعزِّ اللحظات الحاسمة التي عاشها البحر المتوسط، كيف تجد في أبنائها منذ العهد النوميدي

[1] الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، **من نصوص الميثاق: ملخص للأفكار الرئيسية للمشروع التمهيدي للميثاق الوطني** (الجزائر: منشور جريدة الشعب، 1979).

[2] حفصة جرادي، رؤية لسياسة التعريب في الجزائر، **مجلة العلعلوم الانسانية والاجتماعية**، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد 28، مارس 2017)، ص15.

[3] قط سمير، إشكالية الانتقال الديمقراطي في الجزائر منذ إقرار التعددية السياسية مقاربة بنيوية، **دفاتر السياسة القانون**، (جامعة قاصدي مرباح: كلية الحقوق والعلوم السياسية، العدد 16، يناير 2017)، ص227.

والفتح الإسلامي، حتى الحروب التحريرية من الاستعمار، روادا للحرية والوحدة والرقي وبناء دول ديمقراطية مزدهرة طوال فترة المجد والسلام. ثانيا: لقد تجمع الشعب الجزائري في ظل الحركة الوطنية، ثم انضوى تحت لواء جبهة التحرير الوطني، وقدَّم تضحيات جِسَاما من أجل أن يتكفل بمصيره الجماعي في كنف الحرية والهوية الثقافية. ثالثا: إن الجزائر أرضُ السلام، وجزءٌ لا يتجزأ من المغرب الكبير، وأرضٌ عربيةٌ وبلاد متوسطية وافريقيا تعتز بإشعال ثورتها في أول نوفمبر 1954"[1].

إلا أنه، ورغم التوجه نحو التعددية الذي ميَّزَ دستور 1989 لم يتطرق لا من قريب أو من بعيد إلى اللغةِ الأمازيغيةِ كأحدِ عناصر الهوية الوطنية، بل إنه استعاض عنها بما ورد في الديباجة من إشارةٍ عابرةٍ للمتوسطية والافريقية والنوميدية الأمازيغية. فضلا عن ذلك، فقد تمت طباعة النص الدستوري في كتاب واحد باللغتين العربية والفرنسية. غير ان الأمازيغ لم يعترضوا على عدم طباعة الدستور باللغة الأمازيغية بقدر ما اعترضوا على عدم النص على الأمازيغية في المادة 3، وقد اتبع الأمازيغ ذلك بتقديم اقتراحات تضمنت الأمر الذي تبعته اقتراحات تم تقديمها من جانب الأمازيغ أنفسهم وكان من بينها النص على "أن العربية والأمازيغية لغتان وطنيتان، واللغة العربية هي اللغة الرسمية". الأمر الذي يعني اعتراض الأمازيغية على "العربية" كلغةٍ وطنيةٍ، بل اعتراضهم على أن عدم تضمين الأمازيغية[2]. وفي ضوء هذا الدستور جاء القانون 91-5 في 16 يناير 1991 المُتَضَّمِن تعميم استعمال اللغة العربية. وفي يوليو 1992 صَدَرَ مرسوم تشريعي يحدد الآجال دون

[1] **دستور الجزائر**، 1989.

[2] عز الدين المناصرة، **المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب: إشكالية التعددية اللغوية**، (عمان: دار الشرق، 1999)، ص 25.

تحديد لها وهو ما أسهم، بجانب عوامل أخرى، في تجميد قانون التعريب وعودة الفرنسية في الخطاب الرسمي والشعبي على حد سواء.

وفي 27 ديسمبر 1990 أصدر البرلمان الجزائري قانون استعمال اللغة العربية لكن هذا القانون تم تجميده بموجب مرسوم تشريعي في 4 يوليو 1992. وقد جاء هذا التجميد نتيجة لضغوط التيار الفرانكفوني ضد الرئيس الشاذلي بن جديد؛ فرغم توقيع الرئيس على القانون في 16 يناير 1991، إلا أن ضغوط الفرانكفونيين انتهت لذلك التجميد بل وتنحية الرئيس بن جديد نفسه من منصبه في 11 يناير 1991. وما ان وصل الرئيس محمد بوضياف للسلطة خلفا لبن جديد، حتى أصدر تشريعا لتجميد قانون استعمال اللغة العربية، حتى ألغي هذا التجميد من قبل الرئيس اليمين زروال في 21 ديسمبر 1996. وتجدر الإشارة إلى أن هذا القانون قد جاء في إطار الصراع بين التيار العروبي والفرانكفوني الذي شَكَّكَ في قدرة اللغة العربية على الاستعمالات العلمية وخاصة في مجالات العلوم الأكاديمية، رغم أن الفرنكفونية نفسها لم تسجل في الشمال الإفريقي إلا انتصارات هزيلة أمام العربية كما يؤكد الباحث الجزائري عبد الملك مرتاخي، فالقضاء الجزائري رفض التعاطي باللغة الفرنسية وعدم قبوله الوثائق والعقود كافة المدونة بالفرنسية في التقاضي أمام المجالس والمحاكم القضائية الجزائرية[1]. وبهذا القانون يكون المُشَرِّعُ الجزائري قد خطى خطوة نوعية على مسار الاصلاحات السياسية والدستورية والقانونية والتشريعية. فقد ألزم هذا القانون استعمالات اللغة العربية في جميع مراحل التقاضي. فقد نصت المادة 8 منه على أنه "يجب أن تتم الإجراءات والعقود القضائية من عرائض ومذكرات باللغة

[1] بومدين محمد، مكانة اللغة العربية في قانون الإجراءات المدنية الجديدة 2008، دفاتر السياسة والقانون ، العدد 10، يناير 2014

العربية عدم القبول. تتم المناقشات والمرافعات باللغة العربية، وتصدر الأحكام باللغة العربية[1].

لقد شهد عقدُ الثمانينات اندلاع ما عُرِفَ بـ "الربيع الأمازيغي"، الذي انتهى بتأسيس المحافظة السامية للأمازيغية في مايو 1995 من بين العديد من المستجدات التي طرأت على وضع الأمازيغية؛ حيث شرعت وسائل الإعلام الرسمية في بثِّ نشرات الأخبار بالأمازيغية. أمام ذلك حاول دستور 1996 مواكبة تلك المستجدات؛ إذ تم النص لأول مرة في تاريخ الجزائر منذ الاستقلال، على الاعتراف بالهوية الأمازيغية كإحدى مكونات الهوية الوطنية، فجاء بديباجته أن "المكونات الاساسية لهويتنا، وهي الإسلام والعروبة والأمازيغية، كما أضافت أن "الجزائر أرض الإسلام، وجزءً لا يتجزأ من المغرب العربي الكبير، وأرض عربية، وبلاد متوسطية وافريقية تعتز بإشعاع ثورتها"[2].

ورغم تعددية روافد الهوية التي حاولت وثيقتا 1989، و1996 تأكيدها، إلا أن ذلك لم يواكبه ترجمة سياسية تعزز تلك الهوية الوطنية الجامعة بين جميع فئات المجتمع وخاصة الأمازيغية. وقد انعكس ذلك في حالة عدم الرضا لدى مناصري الهوية الأمازيغية ولاسيما مع تراجع مستويات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في مناطق تركزهم، وقد تجلَّى ذلك في الأحداث التي شهدتها منطقة القبائل في ابريل 2001. وهو ما قبله النظام السياسي بإدخال تعديلات على دستور 1996 من خلال المادة 3 مكرر والتي نصَّت على أن "تمازيغت هي كذلك لغة وطنية تعمل الدولة لترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية

[1] قانون الإجراءات المدنية والإدارية،رقم 8-9 بتاريخ 18 صفر 1429 الموافق 25 فبراير 2008.

[2] **دستور الجزائر 1996**، الديباجة

المستعملة عبر التراب الوطني"[1]. ويعتبر هذا التعديل تدعيما للمكونات الأساسية للهوية الوطنية وهي الإسلام والعروبة والأمازيغية[2].

مع اعتراض الأمازيغ على الاقتصار على كون الأمازيغية لغة وطنية وليست رسمية، تمادت المطالبات من جانب مناصري الحركة الأمازيغية، وبالتوازي مع التحديات التي فرضتها الانتفاضات الشعبية بعد 2011، والتي لم تجتاح الجزائر إلا في 2019، نصَّت التعديلات الدستورية في 2016 في الفقرة الأولى من المادة الرابعة على أن "تمازيغت هي كذلك لغة رسمية ووطنية، تعمل الدولة لترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية مستعملة عبر التراب الوطني". كما أقرت المادة نفسها استحداث "المجمع الجزائري للغة الأمازيغية" الذي خُصِّصَ لترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية، كما أشار المشرِّعُ إلى اعتبار الأمازيغية مكونات أساسياً للهوية الجزائرية شأنها في ذلك شأن العروبة[3]. وقد صادق عليه

[1] دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية (الجزائر: وزارة الداخلية والجماعات المحلية، 2009)، المادة3 مكرر. جاء اعتماد ذلك التعديل وفقا للمادة 176 والتي لا تشترط اللجوء إلى الاستفتاء الشعبي، إذ كان من غير الممكن إجراء استفتاء شعبي على أحد مكونات الهوية بما يتضمنه ذلك من خطورة وتحد واضح للأمن والسلم الاجتماعي في بلد لم يكن مستبعدا لتحمل تبعات إجراءات جوهرية من هذا القبيل وخاصة أن ديباجة الدستور تنص على أن الأمازيغية هي أحد مكونات الهوية الجزائرية بجانب العروبة والاسلام. أنظر: عمار عباس، التعديلات في الجزائر من التعديل الجزائري إلى الاصلاح الدستوري الشامل . دراسة لإجراءات التعديل القادم ومضمونه، **مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية** (معسكر: جامعة معسكر، كلية الحقوق والعلوم الانسانية والاجتماعية، ع12، يونيو 2014)، ص ص 99-100.

[2] عمرو محمد كمال، تأثير الحركة الأمازيغية على النظام السياسي الجزائري منذ 1990، **رسالة ماجستير** (جامعة القاهرة: معهد البحوث والدراسات الافريقية، قسم السياسة والاقتصاد، 2017)، 166.

[3] شاوش اخوان محمد، الحركة الأمازيغية في الجزائر، **رسالة ماجستير**، (جامعة محمد خيضر بسكرة: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، 2017)، ص 75.

المجلس التشريعي بالفعل في 25 يونيو 2018 ليصبح تابعاً لرئيس الجمهورية بشكل مباشر كهيئة وطنية ذات طابع علمي. لكن رُغم التمكين القانوني للأمازيغية في الدستور لترفيع مكانتها بلغة رسمية في البلاد، إلا أن واقع سياسة المراجعات الدستورية الدافعة لتكريسها يكشف أنها جاءت نتيجة مسار عسير من النضالات الثقافية والمطالبات السياسية التي دفعت السلطة الحاكمة لاحتوائها وإعادة صياغتها في شكل حلول دستورية، وليس كخلاصة نقاش واسع عميق مع شرائح المجتمع المختلفة والفعالية السياسيين وقوى المجتمع المدني أو باستشارة الشعب مباشرة[1].

وبالتالي، فإن الدولة الجزائرية، وفي إطار مساعي الدفاع عن مقومات الهوية الشخصية الوطنية المتمثلة في اللغة، واجهت العديد من العراقيل التي تمثَّلت في ضغوط دعاة الأمازيغية والفرنسيين في الوقت الذي استمد فيه دعاة التعريب دعماً من الدول العربية التي دارت آنذاك في فلك "القومية العربية"، الأمر الذي أدى إلى زيادة الصراع بين الأمازيغية ودعاة التعريب والفرنسية، وهو ما ترك أثره على السياسة الجزائرية وانعكس بدوره على الوضع التشريعي والدستوري للهوية الوطنية الجزائرية.

ثالثا. تونس

تتجذر الخبرة الدستورية مدنياً في التاريخ التونسي، حيث ترجع لعام 1857 مع إصدار مدونة قانونية في شكلِ بيانٍ عُرِفَ باسم "عهد الأمان"، أعقبه أول دستور تونسي صدر في 1861 والذي يُعدُ كأولِ دستورٍ في العالم الإسلامي. ورغم أن هذا الدستور أحدَث قطيعةً مع التقاليد العربية الإسلامية، إلا أنه كرَّس عدداً من الحقوق الاقتصادية والاجتماعية

[1] محمد أمين أوكيل، الهوية الأمازيغية ومسألة بناء الدولة الوطنية في الجزائر مقاربة قانونية، **مجلة الاجتهادات للدراسات والاقتصادية**، مجلد 8، عدد 4، سنة 2019، 336.

كحقِ الملكيةِ والحقِ في الأمان القانوني[1]. وقد أفاد ذلك التجربة الدستورية لاحقا حيث عزَّزها لاحقاً أول رئيس جمهورية لتونس الحبيب بورقيبة لاحقاً. لكن، رغم تمايز الحالة التونسية عن غيرها من دول الشمال الافريقي في ميلها نحو تكريس الطابع المدني للدولة تاريخياً، إلا أنها لم تختلف عن غيرها فيما يخُصُّ الاعتماد على البعد الديني للهوية بعيداً عن الإشارة إلى الجوانب اللغوية على الرغم من وجود فئات أمازيغية في تونس. لكن الحالة تونسية تختلف عن غيرها من دول الشمال الافريقي، حيث يرجع الأمرُ في هذه المرة لتضاؤل نسبتها بين السكان وذلك بخلاف الحالة الجزائرية التي تأثرت بتوجهات النخبة الحاكمة بعد الاستقلال.

لقد شكَّل النص على الدين في دستور تونس، ما بعد الاستقلال، قضيةً خلافيةً بين أعضاء المجلس التأسيس المنتخب في 1956، والذي قدَّم أكثر من صياغة دستورية للمادة الثالثة المتعلقة بهوية الدولة بعد ما طرح للنقاش بشأن النص أن تونس دولة عربية إسلامية مستقلة ذات سيادة، لكن نظراً لاعتراض الفريق المناصر لـ "الحبيب بورقيبة" الذي اقترح أن يصير الإسلام دين الدولة والعربية لغتها، وهي تضمن حرية المعتقد وتحمي حرية القيام بالشعائر الدينية ما لم تَخِلُّ بالقانون". وبعد جدلٍ بداخل المجلس التأسيس انتهي النقاش بالتصديق على النص في الفصل الأول من الدستور بأن "تونس دولة حرة، مستقلة ذات سيادة، الإسلام دينها والعربية لغتها[2]، كما أكد الفصل الثاني على أن "الجمهورية التونسية جزء من المغرب العربي الكبير، تعمل لوحدته في نطاق المصلحة المشتركة[3]". وفي المادة 38 تم النص على أن "رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة ودينه

[1] قانون الدولة التونسية، ويعرف بدستور 1861، الفصل الأول، ص1.

[2] دستور **تونس 1959**، المادة 1.

[3] **المرجع السابق**، المادة 2

الإسلام"[1]. في هذا السياق، صدر، في 13 أغسطس 1956، عددٌ من القوانين التي وُصِفَت بالتقدمية ضمن مجلة الأحوال الشخصية التي دخلت حيز التنفيذ في يناير 1957. وتتصل هذه القوانين بأحوال النساء، وقد لعب الحبيب بورقيبة دور كبيراً في إقرار هذه القوانين حيث تضمنت منع تعدد الزوجات، وسحب القوامة من الرجل وجعل الطلاق بيد المحكمة، وإقرار الزواج المبكر، ومنع الزواج العرفي.

وبمراجعة دستور 1956، نجد أن ما ورَدَ فيه من إحالات هوياتية دينية لم يقتصر على ما جاء بالفصل الأول، بل ورد في مقدمة هذا الدستور وديباجته أن " الشعب التونسي مُصَمِّم على توثيق عُرَى الوحدةِ القوميةِ والتمسك بالقيم الإنسانية المشاعة بين الشعوب التي تدين بكرامة الإنسان والعدالة والحرية وتعمل للسلم والتقدم والتعاون الدولي الحر، وعلى تعلقه بتعاليم الإسلام وبوحدة المغرب الكبير وبانتمائه للأسرة العربية وبالتعاون مع الشعوب الإفريقية في بناء مصير أفضل وبالتضامن مع جميع الشعوب المناضلة من أجل الحرية والعدالة، وعلى إقامة ديمقراطية أساسها سيادة الشعب وقوامها نظام سياسي مستقر يرتكز على قاعدة تفريق السُلَطة"[2]. وكما يُلَاحَظ من هذه العبارةِ المُطَوَّلةِ، فإن المقصود من عبارةِ الوحدةِ القوميةِ هي الوحدة الوطنية أي التونسية وليس العربية، وهو ما ترجمه الخطاب الرسمي للرئيس بورقيبة. فقد اعتبر أن الشعب التونسي هو أمةٌ تونسيةٌ تاريخيةٌ قائمة بذاتها وليست جزءاً من الأمة العربية، وهو ما يحمل قدراً من التعارض مع عبارة أن "الشعب

[1] **المرجع السابق**، المادة 38

[2] **المرجع السابق**، التوطئة

التونسي ينتمي إلى الأسرة العربية"، إذ كيف تنتمي الأمة للأسرة؟! فالأصل أن ينتمي الجزء والذي هو الأسرة، إلى الكل والذي هو الأمة وليس العكس[1].

رُغمَ النقاش الحاد، الذي قاده دعاة المضامين الفرنكوفونية والمحلية بين أوساط النخبة التونسية، إلا أن هذا الأمر حُسِمَ بصدور وثيقة لا تقل أهمية عن النص الدستوري وهي "الميثاق الوطني" الذي وقَّعت عليه الأحزاب والنقابات والجمعيات الوطنية سنة 1988."[2]. وقد عكس ذلك الميثاق رغبةً في فكِّ الارتباط بالإرثين الاستعماري والبورقيبي، إذ نصَّ صراحةً على أن "هوية شعبنا عربية إسلامية متميزة تمتد جذورها في ماضٍ بعيد"[3]. فأعاد الميثاق الوطني للغة العربية والدين الإسلامي الاعتبار، كما اعترف بانتماء تونس إلى الأمةِ العربية. وفي 26 يناير 2014، وتأثراً بما شهدته تونس من تغيرات جذرية طرأت على منظومة الحكم بعد الحراك الجماهيري الذي أسفر عن الإطاحة بالرئيس زين العابدين بن علي في مطلع 2011، اعتمد الدستور التونسي بمصادقة 200 نائب للمجلس التأسيسي من مجموع 216. وقد سعى ذلك الدستور إلى حلِّ الإشكاليات التي فرضتها تطورات ما بعد الثورة التونسية وكانت تتعلق بالدولة والمجتمع وقضايا الحريات والنظام السياسي وقضايا الهوية. وقد نصَّ الدستور التونسي الجديد في الفقرة الثانية من ديباجته على أنه "تعبيرا عن تمسك شعبنا بتعاليم الإسلام ومقاصده المتسمة بالانفتاح والاعتدال، وبالقيم الانسانية ومبادئ حقوق الإنسان الكونية السامية، واستلهاماً من تاريخنا الحضاري

[1] محمد الرفرافي، العقيدة والهوية في الدساتير العربية: قراءة استطلاعية في البنود الأولى، ورقة منشورة، ميدل إيست أونلاين، متاح على الرابط: https://cutt.us/QVYRV

[2] مجموعة مؤلفين، **الإسلاميون وقضايا الدولة والمواطنة (الجزء الأول)**، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016).

[3] الميثاق الوطني، قرطاج، 1988، الهيئة العليا لحقوق الإنسان والحريات الأساسية، متاح على الرابط: https://cutt.us/P0mFZ

على تعاقب أحقاب تاريخنا، ومن حركاتنا الإصلاحية المنيرة إلى مقومات هويتنا العربية والإسلامية، وإلى الكسب الحضاري الإنساني، وتمسكا بما حقَّقَهُ شعُبنا من المكاسب الوطنية[1]". أما المادة الخامسة فأعلنت أن تونس جزءا من المغرب العربي، تعمل على تحقيق وحدته وتتخذ كافة التدابير لتجسيمها[2].

يلاحظ على هذه الوثيقة الدستورية أنها قد جمعت بين البُعدِ الوطني المَحَلي المتصل بهويةٍ عربيةٍ إسلاميةٍ للبلاد يُصِر عليها التيار الإسلامي الديني، والبعد العالمي الذي يتمثل في هوية إنسانية عصرية منفتحة ومرنة للبلاد ويتشبث به التيار العلماني الحداثي. بجانب ذلك، فقد تبنى الدستور التونسي لعام 2014 مقاربةً ثقافيةً متعددة الأبعاد تجمع بين عناصر الأصالة وأخرى معاصرة، وتضمن وجود هويات جزئية أو تكاملية مع هوية كلية رئيسة وهو ما ورد في نص المادة 42 ومضمونه "الحق في الثقافة مضمون، حرية الإبداع مضمونه، وتشجع الدولة الإبداع الثقافي، وتدعم الثقافة الوطنية في تأصلها وتنوعها وتحددها، وبما يكرس قيم التسامح ونبذ العنف والانفتاح على مختلف الثقافات والحوار بين الحضارات، وتحمي الدولة الموروث الحضاري وتضمن حق الأجيال القادمة[3]". كما أن اللافت في دستور 2014 أنه خلا من حظر الأحزاب الدينية، وكان ذلك بطبيعة الحال نتيجة ضغوط الأحزاب الإسلامية[4]. لكن رغم ما سبق، إلا أن الصياغة الحالية للدستور تجعل الدستور التونسي الدستور العربي الوحيد الذي لا يتضمن التأكيد على رسمية اللغة أو اعتبارها لغة وطنية.

---

[1] **الدستور التونسي لعام 2014** ، الفقرة الثانية من الديباجة

[2] **المرجع السابق المادة،** 5

[3] **المرجع السابق،** المادة 42

[4] مجموعة مؤلفين، **الثورات العربية: عسر التحول الديمقراطي ومآلاته،** (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018)، ص172.

أما على مستوى السياسة اللغوية في تونس فقد أكدت النصوص القانونية التالية على سيادة اللغة العربية المستعملة في كل المجالات. ورُغم أن العربية، هي اللغة الرسمية في الدستور التونسي، إلا أننا نجد بعض القرارات تنصُّ على إمكانية إجراءات الامتحانات الوطنية باللغة الفرنسية إلى جوار العربية دون مبرر أو تسويغ واضح، كما يبدو في قرار وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في تونس الذي يتعلق باختبارات المتقدمين لشغل بعض الوظائف، إذ ينص على أن "تجرى الاختبارات بدون تمييز باللغة العربية أو باللغة الفرنسية حسب اختيار المرشح"[1]. هنا يمكن الإشارة لعدد من القرارات والقوانين التي شهدتها تونس منها قانون بلدية تونس في 6 أغسطس 1957. وفي عام 1958 صدر قانون توحيد المنظومة التعليمية الذي أوجب العمل على تعريب التعليم بمختلف مراحله في ظرف 10 سنوات. ثم جاء الميثاق الوطني في 7 نوفمبر 198، الذي أكَّد على الهوية العربية والإسلامية لتونس 2.كما صدر القانون رقم 65-91 بتاريخ 29 يوليو 1991 والمتعلق بالنظام التربوي. وفي 5 يوليو 1993 صدر قانون يجعل الصيغة العربية للنصوص القانونونية والترتيبية المرجع الوحيد عند كل تنازع في الشرح والتأويل وينص على تعميم استعمال اللغة العربية في الإدارة والمحيط العام، وعلى إدراج العناية باللغة العربية. وصدر أيضا قانون توجيهي عدد 80 لسنة 2002 المؤرخ في 23 يوليو 2002 الذي يتعلق بتاريخ 25 فبراير 2008 المتعلق بالتعليم العالي3. وفي عام 2015 وافق البرلمان التونسي على قانون حماية اللغة العربية الذي يلزم شركات الاعلان والمؤسسات العامة والخاصة والمحلات التجارية على استعدام اللغة العربية في مراسلاتها وإعلاناتها ولافتات المحال التجارية بجانب اللغة الأجنبية إن وجد.

[1] عبد الرحمن بن سعيد المسكري، **مرجع سبق ذكره،** ص 35.

[2] جاء في نص الميثاق: "هوية شعبنا عربية وإسلامية متميزة". وأضاف "يتحتم السعي إلى تطوير اللغة الوطنية والارتقاء بها حتى تنهض بكفاية واقتدار بقضايا العلم والفكر المعاصر".

[3] محمد أمين الجلاصي، **مرجع سبق ذكره** ، ص59.

ما سبق يعني أن الإطار التشريعية للهوية التونسية قد تأثر بتوجهات النخبة الحاكمة والتي ركزت على مفهوم الأمة التونسية وتفردها والحفاظ على خصوصيتها وجعل مسافة مع الانخراط في المنظومة العربية. لهذا، كان ثمة انفتاح ملحوظ على غلغرب ولغته وثقافته باعتبار أن ذلك يخدم عملية بناء الدولة ومتطلبات التنمية التي رفع لواءها الحبيب بورقيبة. وبالتالي، لم تكن العربية هي اللغة الوحيدة المستخدمة في تونس رغم توجهات التعريب. ففي المقابل، اتسع نطاق الفرنسية بدعم من بورقيبة نفسه. وأخيرا ففي حين غابت الهوية الأمازيغية عن الإطار التشريعي للهوية التونسية، فقد خضعت العربية لتوجهات النظام السياسي التونسي.

رابعا. ليبيا

كان الدستور الليبي لعام 1951، يمثل أحد المرتكزات التي قامت عليها الدولة الليبية منذ الاستقلال في 24 ديسمبر 1951[1]. وقد أكدت تلك الوثيقة الدستورية على وحدة الأقاليم الليبية الثلاثة برقة وفزان وطرابلس. وفي هذا الإطار رُسِمَت معالم الدولة الليبية من خلال مرجعية إسلامية أقرَّتها المادة 5 التي نصَّت على أن "الإسلام دين الدولة"[2]، وكذا المادة 40 التي نصت على أن "السيادة لله وهي بإرادته تعالى وديعة الأمة، والأمة مصدر السلطات".[3]

وبانتهاء العهد الملكي أمام "ثورة الفاتح"، مثَّلَ الإعلان الدستوري لسنة 1969 خارطة الطريق التي رسمت معالم الهوية الوطنية كما أدركها النظام السياسي ممثلا في العقيد

[1] محمد علي احداش، تقويم الحالة الدستورية في ليبيا، **ورقة منشورة**، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تحليل السياسات، سبتمبر 2011)، ص2.

[2] **دستور ليبيا**، 1951، مادة 5.

[3] **المرجع السابق**، مادة 40.

معمر القذافي؛ فقد نصَّتُ المادةُ الأولى منه على أن "ليبيا جمهورية عربية ديمقراطية حرة، السيادة فيها للشعب، وهي جزء من الأمة العربية، وهدفها الوحدة العربية الشاملة، وإقليمها من إفريقيا"[1]. ويلاحظ على هذا المادة أنها أكَّدت على البعد الإفريقي للهوية الليبية. وفي المادة الثانية تم الإقرار بأن "الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية"[2]. غير أنه تحدَّد للدولةِ هدفٌ تمثَّل في تحقيق الاشتراكية أكدته المادةُ 6، التي نصَّت على أن "تهدف الدولة لتحقيق الاشتراكية وذلك بتطبيق العدالة الاجتماعية التي تحظر أي شكل من أشكال الاستغلال وتعمل الدولة عن طريق إقامة علاقات اشتراكية في المجتمع على تحقيق كفاية من الانتاج وعدالة في التوزيع، بهدف تذويب الفوارق سلميا بين الطبقات والوصول إلى مجتمع الرفاهية مستلهمة في تطبيقها للاشتراكية تراثها الاسلامي العربي وقيمه الانسانية وظروف مجتمعه الليبي"[3].

خلال فترة حكم معمر القذافي دَرَجَ المُشَرِّعُ الدستوري الليبي على اعتماد "العروبة" عند وصفه للشعب، وقد تجلَّى ذلك في "إعلان سلطة الشعب" 1977 وكذلك "الوثيقة الخضراء الكبرى" 1988. بل إنه خلال تلك الفترة طرأت تعديلات على القانون الجنائي بما يتلائم مع التغيير في التشريعات الدستورية للهوية الوطنية. فالمادة 195 على سبيل المثال تم تعديل فقرتها الثانية لتُجَرِّمَ إهانةَ الشعب العربي الليبي.

أما فيما يخص اللغة، فرغم أن دستور 1951 لم يُشِر إلى اللغة الرسمية للدولة، فقد أكَّدت كافة النصوص الدستورية التالية على ترسيم اللغة العربية بداية من الإعلان الدستوري لعام 1969 وصولا إلى إعلاني 2011 و2016 الدستوريين. بل إن مكانة اللغة العربية

[1] **الاعلان الدستوري الليبي لسنة 969**، المادة الأولى.

[2] **المرجع السابق**، المادة 2.

[3] **المرجع السابق**، مادة 6.

تعزَّزت بحمايةٍ جنائيةٍ؛ إذ اعتُبرت إحدى مقومات الهويةِ الليبيةِ حيث جَرَّم القانون رقم 12 لسنة 1984 منع استعمال غير اللغة العربية والأرقام العربية في جميع المعاملات، وكذلك جميع المكاتبات والوثائق والمستندات الرسمية. وقد استُبدِلَ هذا القانون بالقانون رقم 24 لسنة 2000 والذي وسَّع مجال الحماية الجنائية للغة العربية فشمل أسماء الشوارع والميادين والإشارات والمحال وجميع الانشطة الاقتصادية. وفي المقابل اتخذ النظام الحاكم موقفاً مناقضاً من الأمازيغية بشكل عكس رؤية الرئيس الليبي الأسبق معمر القذافي تجاه الأمازيغ أنفسهم؛ ففي عام 2001 صدر القانون الذي حظرت المادة 3 منه الأسماء الأمازيغية على المواليد ومعاقبة كل من يخالف ذلك بغرامة مالية تقدر بألف دينار ليبي.

ومع سقوط نظام حكم القذافي، شهدت ليبيا انفتاحاً بعد عقود أحادية اللغة وتهميش كافة أبعاد الهوية الليبية، حيث نصَّ الاعلان الدستوري في 2011 في مادته الأولى على " ضمان الحقوق اللغوية والثقافية للأمازيغ والتبو والطوارق وكل مكونات الشعب الليبي"[1]. وهو ما تأكد بدستور 2016 الذي جاء في ديباجته "... ضمان الحقوق والحريات العامة وتحقيق المساواة بين الليبيين، واعتزازا بمختلف مكوناتهم الاجتماعية والثقافية واللغوية المشكلة للهوية الليبية". وهو ما يشكل نصاً صريحاً على أن الطابع التعددي للهوية الليبية. كما نصَّت المادة 2 على أن "الهوية الليبية تقوم على ثوابت جامعة ومتنوعة، ويعتز الليبيون بكل مكوناتهم الاجتماعية والثقافية واللغوية، وتعتبر ليبيا جزءا من الوطن العربي وافريقيا والعالم العربي ومنطقة حوض البحر الأبيض"[2]. أما بالنسبة للغة فقد نصَّت المادة نفسها على "تعدد اللغات التي يتحدث بها الليبيون أو جزء منهم ومن بينها العربية والأمازيغية والتارقية والتباوية تراثاً ثقافياً، ولغوية ورصيداً مشتركا لكل الليبيين، وتضمن

[1] **دستور ليبيا 2011**، مادة 1.

[2] **دستور ليبيا 2016**، مادة 2.

الدولة اتخاذ التدابير اللازمة لحمايتها وضمان المحافظة على أصالتها وتنمية تعليمها للناطقين بها واستخدامها. لكنه يعتبر العربية وحدها لغة رسمية مع التوصية بأن ينظم القانون في أول دورة برلمانية بعد صدور هذا الدستور عملية إدماج اللغات الأخرى في مجالات الحياة العامة1.

وفي مواجهة الضغوط التي قامت بها الكيانات التي تأسست حديثا كجزء من الحركة الأمازيغية، والتي تمثلت جميعها تحت مظلة "المجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا"،[2] أقر البرلمان الوطني الليبي في 30 يوليو 2013 القانون رقم 18 لسنة 2013 في شأن حقوق المكونات الثقافية واللغوية الذي نص في مادته الأولى على "تعتبر لغة الأمازيغ والطوارق والتبو من المكونات الثقافية واللغوية للمجتمع الليبي"[3]. كما أقرَّ ذلك القانون بحقِ تدريسِ تلك اللغات بوصفِها مواد اختيارية في النظام التعليمي، وإقامة مراكز أبحاث مهمتها المحافظة على الهوية الثقافية واللغوية للأمازيغ والطوارق والتبو وتطويرها[4]. وقد فتح ذلك الطريق أمام مكونات الحركة الأمازيغية تكريس وضع اللغة الأمازيغية؛ ففي 2017 قرر

[1] اللغة العربية لغة الدولة، وينظم القانون في أول دورة برلمانية تفاصيل إدماج اللغات الأخرى في مجالات الحياة العامة على المستوى المحلي ومستوى الدولة. أنظر: الهيئة التأسيسية لصياغة مشروع الدستور، **مشروع الدستور الليبي**، 2016.

[2] من بين هذه الضغوط قرر المجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا تدريس الأمازيغ على نفقة المجالس المحلية، وبالاعتماد على موازناتها الخاصة.

[3] **الجريدة الرسمية الليبية**، قانون رقم 18 لسنة 2013 في شأن حقوق المكونات الثقافية واللغوية، المادة 1، 2013/9/25.

[4] أنطونيو موروني وكيارا باغانو، أمازيغ جبل نفوسة في ليبيا ما بعد القذافي: قراءة استشرافية تاريخية، **مجلة شئون ليبية**، (تونس: المركز المغاربي للأبحاث حول ليبيا، العدد الثاني، أكتوبر 2016)، ص 107.

مجلس أمازيغ ليبيا ترسيم اللغة الأمازيغية كلغة رسمية في المدن والمناطق الأمازيغية في ليبيا.

خامسا. مصر

حصلت مصر على استقلالها "إسمياً"، بموجب تصريح 28 فبراير 1922 الذي أصدرته بريطانيا بشكلٍ أحادي في لندن والقاهرة، وأعلنت فيه نهاية الحماية البريطانية وأن "مصر دولة مستقلة لها سيادة". ورغم ذلك، إلا أن الاستقلال الفعلي لم يتحقق إلا بشكل متعثر جاء مع ثورة 23 يوليو 1952. وقد ارتكزت الهوية في التاريخ الدستوري المصري على ثلاثة عناصر هي الدين واللغة والانتماء القومي، وهو ما تأكد في بعض الدساتير نصاً، وتم تجاهله في بعضها الآخر مثل الدستور المؤقت لدولة الوحدة (الجمهورية العربية المتحدة) عام 1958. وما إن قامت ثورة 25 يوليو 1952، إلا واستهلت منظومة الحكم الجديدة عهدها بإلغاء دستور 1923، وإصدار إعلان دستوري في 10 فبراير 1953 استمر طوال الفترة الانتقالية التي دامت حتى إعلان دستور 1956. ورغم عدم تجلى ملامح الهوية المصرية في إعلان 1953 الدستوري حيث اكتفي بالنصّ على حريةِ التعبيرِ وإطلاقها بما لا يتناقض مع النظام العام والآداب. رغم ذلك، إلا أن دستور 1956 كَشَف عن توجهات النخبة المصرية الجديدة تجاه مسألةِ الهوية، فقد أكَّد هذا الدستور على عروبةِ مصر. وقد اتسق ذلك مع توجهات القومية العربية التي انخرطت فيها ثورة 25 يوليو، فنصت المادة الأولى على أن "مصر دولة عربية مستقلة ذات سيادة، والشعب المصري جزء من الأمة العربية"[1]، وأكدت المادة الثانية على أن "الإسلام دين الدولة،

[1] الدستور المصري لعام 1956 ، **جريدة الوقائع المصرية**، عدد غير اعتيادي، السنة 127، العدد 5 مكرر، 16 يناير 1956، المادة 1.

واللغة العربية لغتها الرسمية"[1]. وقد ساعد سهولة تلك الصياغة، الدرجة العالية من التجانس العرقي واللغوي والديني، حيث يمثل الإسلام دين الأغلبية المطلقة للمصريين، وسيادة اللغة العربية وثقافتها رغم الجدل الذي شهده مطلع القرن العشرين حول هوية مصر وروافدها، لذلك فإن التأكيد على اعتبار عروبة مصر، وأن الإسلام هو دينها جاء اتساقا مع واقعها الثقافي واللغوي والديني. هنا تجدر الإشارة إلى قانون "إيجاب استعمال اللغة العربية في علاقات الأفراد والهيئات بالحكومة ومصالحها" الصادر في مصر عام 1943، وقد أوجب هذا القانون الذي جاء في أربع مواد، استخدام العربية في جميع المخاطبات والمحررات الرسمية بالإضافة إلى وجوب استخدام العربية في كتابة اللافتات التجارية والصناعية، ورتب المشرع على مخالفة هذا القانون عقوبات محددة[2].

مع قيام دولة الوحدة بين مصر وسوريا بين 1958 و1961، ومع صدور دستور مؤقت لهذه الدولة، كان التأكيد على عروبة مصر هو صلب الهوية المصرية الواردة في ذلك الدستور. وكان ذلك يعكس الدوافع القومية والميل الجامح نحو القومية العربية بين القيادة المصرية والسورية آنذاك، فتم التأكيد على أن الدولة الوليدة "جمهورية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة، وشعبها جزء من الأمة العربية"، لكن هذا الدستور لم يتطرق لعقيدة الدولة أو دينها الرسمي. وبعد إخفاق تجربة الانفصال تم اعلان دستوري مؤقت في 27 سبتمبر 1962 للمواكبة مرحلة ما بعد الانفصال، حتى جاء دستور 1964 لكنه كان مؤقتا هو الآخر، غير أنه أكد على الهوية الإسلامية والعربية للجمهورية.

مع وصول الرئيس الأسبق محمد أنور السادات إلى السلطة، تم إقرار دستورٍ جديدٍ عام 1971 عرف بـ "الدستور الدائم" الذي دام قرابة أربعة عقود، وتعامل هذا الدستور مع

[1] **المرجع السابق**، المادة 2.

[2] عبد الرحمن بن سعيد المسكري، **مرجع سبق ذكره**، ص 31.

الهوية المصرية، مثل سلفه، في إطار اعتبار مصر جزءاً من الأمة العربية حيث نصت المادة الأولى على أن " جمهورية مصر العربية دولة نظامها ديمقراطي واشتراكي يقوم على تحالف قوى الشعب العاملة. والشعب المصري جزء من الأمة العربية يعمل على تحقيق وحدتها الشاملة"[1]. وأكد في المادة الثانية على أن الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية. كما كانت تلك هي المرة الأولى التي يتم النص فيها على أن مبادئ الشريعة الإسلامية مصدراً رئيساً للتشريع"[2].

يلاحظ على هذه الصياغة أنها تضمنت إشارة إلى أن مصر تتخلص من الوصاية التشريعية التي فرضتها عليها الدول الأجنبية سابقا، والتي لم تتمكن ثورة 1919 من إنجازها، بل إن هذا النص انطوى على تعبير صريح بأن مصر في طريقها لأقصى درجات الاستقلال التشريعي وهو ما تجلى في بيان ألقاه الدكتور صوفي أبوطالب رئيس مجلس الشعب، الدكتور صوفي أبوطالب، بتاريخ 4 نوفمبر 1978 والذي قال فيه "إنه قد آن الأوان لإعمال نص المادة الثانية من الدستور التي تقضي بأن مباديء الشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع، بحيث لا يقتصر الأمر على عدم إصدار تشريعات مخالفة لهذا النص، بل يتعداه إلى مراجعة كل قوانينها السابقة على تاريخ العمل بالدستور، وتعديلها بالاعتماد على الشريعة الغراء". ثم وافق مجلس الشعب على تشكيل لجنة تتولى دراسة كل الاقتراحات بمشروعات قوانين تطبيق الشريعة الاسلامية، وعقدت تلك اللجنة أولى اجتماعاتها في 20 ديسمبر 1978 برئاسة الدكتور صوفي أبوطالب[3]. وقد أدخلت "ال" على المادة الثانية في مايو 1982، لتصبح "مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر

[1] دستور 1971، **الجريدة الرسمية**، السنة 14، العدد 36 مكرر "أ"، 12 سبتمبر 1971، المادة 1.
[2] **المرجع السابق**، المادة 2.
[3] الغريب أن هذه اللجنة لم تنته من أعمالها رغم إعلان الشيخ ابراهيم الدسوقي وزير الأوقاف آنذاك أنه تم الانتهاء من إعداد 95% من قوانين الشريعة الإسلامية.

الرئيسي للتشريع"[1]. وهو ما يدفعنا للقول بأن هذا النص الدستوري أكد على سمو الشريعة الإسلامية على غيرها من مصادر التشريع ولو على مستوى النصوص.

توازى ذلك مع شبه إجماع في الترحيب من قبل المثقفين بشكل عام، والعلمانيين على تقنين الشريعة والثناء على أهميته من منظور الاستقلال الوطني والحضاري. فقد كتب فؤاد ذكريا بجريدة الأهرام بتاريخ 29 يوليو 1985 مُعَبِّراً عن اعترافه بشعبية مطلب التقنين، حيث قال هناك بالفعل أعدادٌ غفيرة من الناس تؤمن صدق هذه الدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية، وتطالب بها بحماسة وإخلاص[2]. وكتب يوسف إدريس في جريدة الأهرام بتاريخ 15 أغسطس 1985 "أن أحدا لا ينادي أبدا بعدم تطبيق الشريعة الإسلامية، إنه يكون مجنوناً لو فعل، فالشرائع السماوية، وعلى رأسها الإسلام فوق أنها أمر الله سبحانه لم تأت إلا لتقيم العدل بين البشر"[3]. وكتب السيد ياسين أيضاً بالجريدة نفسها بتاريخ 15 يوليو من نفس العام "نحن في مجال الدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية بصدد صيحة تدعو للأصالة الحضارية التي يراد لها أن تعتمد على تراثنا، وهذه الدعوة في حد ذاتها يمكن أن تكون مناسبة لمراجعة العديد من ممارساتنا الثقافية والاجتماعية والسياسية، بشرط أن يتم ذلك من خلال الحوار"[4].

---

[1] أكدت المحكمة الدستورية العليا، عام 1994، في تفسيرها لتلك المادة، على أن الشريعة الإسلامية في الدستور يقصد بها تلك المبادئ التي لا توجد أية خلافات فقهية حول ثبوتها ودلالاتها، والتي لا يسمح بالاجتهاد بشأنها. للمزيد أنظر: عاطف مظهر، **تقنين الشريعة الإسلامية في مجلس الشعب (الأعمال الكاملة) المجلد الأول**، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، فبراير 2012)، ص88.

[2] **جريدة الأهرام**، 15 أغسطس، 1985.

[3] يوسف إدريس، جولة في عقول القراء، **جريدة الأهرام**، 1985/1/15

[4] كتب الأستاذ السيد ياسين مرة أخرى في الأهرام بتاريخ 1 أغسطس 1985 مؤكدا على وجهة نظره تلك قائلا: "إننا نعتبر الدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية دعوة للأصالة الحضارية تحتاج لكي تسير في

اتسمت الحالةُ المصرية باستقرار نسبي طوال فترة حكم حسني مبارك، حيث لم تطرأ تغيرات تذكر على المستوى التشريعي خلال تلك المرحلة. إلا أنه مع الحراك الجماهيري الذي شهدته المنطقة فيما عرف بـ "الربيع العربي"، طفت إشكالية الهوية على السطح نتيجة لبروز دور "الإسلام السياسي" على المشهد ورفعه لواء إسلامية الدولة. وفي إطار هذا الزخم السياسي والمجتمعي جاء الإعلان الدستوري الذي تم الاستفتاء عليه في 19 مارس 2019 لينص على أن "مصر جزءً من الأمة العربية، وتدين بالدين الإسلامي واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع". ومع تطور الأحداث طرح في 2012 دستورٌ متأثرا بأغلبية تيار الإسلام السياسي في الجمعية التأسيسية لصياغة الدستور حيث نَصَّ على أن "الشعب المصري جزء من الأمتين العربية والإسلامية، ويعتز بانتمائه لحوض النيل وإفريقيا وآسيا"، في حين أكدَّت على أن "اللغة العربية لغة الدولة الرسمية"، وأن "الإسلام دين الدولة، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع[1]". كما نَصَّ على أن "مباديء شرائع المصريين من المسيحيين واليهود المصدر الرئيس للتشريعات المنظمة لأحوالهم الشخصية، وشئونهم الدينية، واختيار

الطريق الصحيح إلى أن نقوم جميعا مهما كانت اتجاهاتنا السياسية ببعث الاجتهاد والإبداع الفكري في مجال تراثنا الاسلامي، وأننا نحن جمهرة المفكرين والكتاب والباحثين العلمانيين قد انغمسنا في اقتباس الفكر السياسي والاجتماعي الأوروبي نقلا وترجمة وإن الأجيال الأولى بالاتجاه الذين عمد إلى التهوين في قيمة التراث الوطني والديني، وأننا نشهد الآن ثورة نقدية عنيفة ضد هذا الاتجاه الأوروبي المتعالي".

[1]فسر دستور 2012 مفهوم مبادئ الشريعة الإسلامية بالنص على أن" مبادئ الشريعة الاسلامية تشمل أدلتها الكلية وقواعدها الأصلية والفقهية، ومصادرها المعتبرة، في مذاهب أهل السنة والجماعة".

قياداتهم الروحية[1]. على أن تلك الوضعية لم تتغير في الدستور الذي تم إقراره عام 2014.

[1] **الدستور المصري لعام 2012**، المادة 3.

قائمة المراجع والمصادر

أولا. المراجع العربية

الوثائق

1. **الرباط، دساتير المملكة المغربية، 1970، و1996، و2011**
2. الجزائر، **الدستور الجزائر لعام 1963، و 1989**
3. تونس، دستور **تونس 1959، 2014**
4. القاهرة، جريدة الوقائع المصرية، الدستور المصري لعام 1956، **جريدة الوقائع المصرية**، عدد غير اعتيادي، السنة 127، العدد 5 مكرر، 16 يناير 1956.
5. القاهرة، جريدة الوقائع الرسمية، دستور 1971، **الجريدة الرسمية**، السنة 14، العدد 36 مكرر "أ"، 12 سبتمبر 1971.
6. القاهرة، **الدستور المصري لعام 2012**.
7. الرباط، ظهير شريف رقم 1.04.22، الصادر في 12 ذي الحجة 1424، (3 فبراير 2004)، **الجريدة الرسمية** المغربية، عدد 5184، بتاريخ 5 فبراير 2004.
8. ميثاق الجزائر 1964، **مجموع النصوص المصادق عليها من طرف المؤتمر الأول لحزب جبهة التحرير الوطني 21-16 أبريل 1964**، جبهة التحرير الوطني، اللجنة المركزية للتوجيه، الطبعة الوطنية، الجزائر، 1964.
9. جبهة التحرير الوطني، **الميثاق الوطني 1976**، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، 1976.
10. طرابلس، **قانون الدولة التونسية المعروف بدستور 1861**.
11. ----------، **الاعلان الدستوري الليبي لسنة 969**.
12. ----------، **دستور ليبيا، 1951، 2011، 2016**
13. ----------، **الجريدة الرسمية الليبية**، قانون رقم 18 لسنة 2013 في شأن حقوق المكونات الثقافية واللغوية، 2013/9/25.
14. القاهرة، قانون الإجراءات المدنية والإدارية،رقم 8-9 بتاريخ 18 صفر 1429 الموافق 25 فبراير 2008.

الكتاب

1. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، **من نصوص الميثاق: ملخص للأفكار الرئيسية للمشروع التمهيدي للميثاق الوطني** (الجزائر: منشور جريدة الشعب، 1979).

2. عاطف مظهر، **تقنين الشريعة الإسلامية في مجلس الشعب (الأعمال الكاملة) المجلد الأول،** (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، فبراير 2012).
3. عبد الرحمن المسكري، **حالة اللغة العربية ومستقبلها،** (أبوظبي: وزارة الثقافة والشباب، 2021).
4. عبد الرحيم الورديغي، **المغرب من حالة الاستثناء إلى التنازل عن موريتانيا 1965-1969،** (الرباط: بدون دار نشر، 1992).
5. عبد الله العروي، **من ديوان السياسة،** (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2009).
6. عز الدين المناصرة، **المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب: إشكالية التعددية اللغوية،** (عمان: دار الشرق، 1999).
7. مجموعة مؤلفين، **الإسلاميون وقضايا الدولة والمواطنة (الجزء الأول)،** (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016).
8. مجموعة مؤلفين، **الثورات العربية: عسر التحول الديمقراطي ومآلاته،** (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018).
9. محمد نبيل ملين، **فكرة الدستور في المغرب وثائق ونصوص (1901-2011)،** (الرباط: تيل كيد ميديا، 2017)
10. ناصيف نصار، **تصورات الأمة المعاصرة دراسة تحليلية لمفاهيم الأمة في الفكر العربي الحديث والمعاصر،** (الدوحة: المركز العربي للأبحاث وراسات السياسات، 2017).

دراسات

1. أنطونيو موروني وكيا باغانو، أمازيغ جبل نفوسة في ليبيا ما بعد القذافي: قراءة استشرافية تاريخية، **مجلة شئون ليبية،** (تونس: المركز المغاربي للأبحاث حول ليبيا، العدد الثاني، أكتوبر 2016).
2. بومدين محمد، مكانة اللغة العربية في قانون الإجراءات المدنية الجديدة 2008، **دفاتر السياسة والقانون** (الجزائر: جامعة قاصدي مرباح، العدد 10، يناير 2014)
3. حامي حسان، الأزمة الهوياتية في المجتمع الجزائري بين التنازع الأيديولوجي والتوظيف السياسي، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،** (العدد 29، يونيو 2017).
4. حفصة جرادي، رؤية لسياسة التعريب في الجزائر، **مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية،** (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد 28، مارس 2017).

5. سهيلة مجدوب، "إشكالية طبيعة الضمانات المقررة لحماية الحق في الاعلام على ضوء الدساتير الجزائرية"، **مجلة القانون الدستوري والمؤسسات السياسية**، (الجزائر: جامعة عبد الحميد بن باديس . مستغانم، المجلد الثاني، العدد 4، ديسمبر 2018).
6. على موريف، الهوية الوطنية في الوثيقة الدستورية رصد ومقارنة أولية لمظاهر التطور بين دستور 1996و 2011، **مجلة أسيناك**، (الرباط: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، العدد العاشر 2015).
7. عمار عباس، التعديلات في الجزائر من التعديل الجزائري إلى الاصلاح الدستوري الشامل . دراسة لإجراءات التعديل القادم ومضمونه، **مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية** (معسكر: جامعة معسكر، كلية الحقوق والعلوم الانسانية والاجتماعية، ع12، يونيو 2014).
8. قط سمير، إشكالية الانتقال الديمقراطي في الجزائر منذ إقرار التعددية السياسية مقاربة بنيوية، **دفاتر السياسة القانون**، (جامعة قاصدي مرباح: كلية الحقوق والعلوم السياسية، العدد 16، يناير 2017).
9. محمد أمين أوكيل، الهوية الأمازيغية ومسألة بناء الدولة الوطنية في الجزائر مقاربة قانونية، **مجلة الاجتهادات للدراسات والاقتصادية**، مجلد 8، عدد 4، سنة 2019)

أوراق منشورة

1. محمد باسك منار، دستور 2011 في المغرب: أي سياق؟ لأي مضمون؟ **دراسة منشورة**، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، يناير 2014).
2. محمد علي احداش، تقويم الحالة الدستورية في ليبيا، **ورقة منشورة**، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تحليل السياسات، سبتمبر 2011).
3. أحمد عزوز، العدالة اللغوية في المجتمع المغاربي: بين الشرعية المطلب ومخاوف التوظيف السياسي، **دراسة منشورة**، (الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، 2014).
4. محمد الرفرافي، العقيدة والهوية في الدساتير العربية: قراءة استطلاعية في البنود الأولى، ورقة منشورة، ميدل إيست أونلاين، متاح على الرابط: https://cutt.us/QVYRV

رسائل علمية

1. عمرو محمد كمال، تأثير الحركة الأمازيغية على النظام السياسي الجزائري منذ 1990، **رسالة ماجستير**(جامعة القاهرة: معهد البحوث والدراسات الافريقية، قسم السياسة والاقتصاد، 2017).
2. شاوش اخوان محمد، الحركة الأمازيغية في الجزائر، **رسالة ماجستير**، (جامعة محمد خيضر بسكرة: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، 2017).

صحف ومجلات

- إكرام عدنني، الأمازيغية وإشكالات الهوية والمواطنة، جريدة السفير العربي، بتاريخ 11/29/ 2015.

ثانيا. المراجع الاجنبية

Published Papers

1. Abdullah Aydogan, Party systems and ideological cleavages in the Middle East and North Africa, **Published Paper**, (USA: Columbia University, January 11, 2020)
2. Michael Sharnoff, Defining The Enemy As Israel, Zionist, New-Nazi, Or Jewish: The Propaganda War In Nasser's Egypt, 1952-1967, **Published Paper**, (The Hebrew University The Vidal Sassoon International Center for the Study of Anti-Semitism, 2017)

Thesis

- Haley Brown, French Colonialism in Algeria: War, Legacy, and Memory, **A Thesis Submitted to the Honors Council For Honors in French and Francophone Studies,** (USA: Bucknell University, 2018)

العلاقات الأورومغاربية (العراقيل والعقبات)

إعداد/ د.عبدالله عبد السيد الطنطاني

جامعة الزاوية / كلية الاقتصاد والعلوم السياسية العجيلات

ملخص

إن التطور الحاصل على مستوى العلاقات الدولية؛ أحدث تغيرات على مستويات عديدة في الساحة الدولية؛ حيث تذكرنا الفترة من عام 1945، بنهاية الحرب العالمية الثانية، ويذكرنا عام 1991، بالصراع بين القطبين الشرقي، والغربي؛ ثم انهيار الاتحاد السوفييتي، وظهور فواعل جديدة تحت مسميات وطنية؛ وكذلك ما حدث عام 1989، في أوروبا الشرقية حيث هبت رياح الديمقراطية التعددية، وظهور بوادر انتصار الرأسمالية؛ الأمر الذي انعكس على دول البحر المتوسط؛ حيث لم يكن بالإمكان الحديث عن أي تقارب أو تعاون أورمغاربي نتيجة للانقسام الموجود بين معارضين، ومؤيدين لكل من القطبين، وقد تناولت هذه الورقة البحثية أهم العراقيل، والصعاب التي مثلت عثرة في طريق العلاقات الأورو مغاربية؛ وقد تم اعتماد المنهج التحليلي من أجل فهم طبيعة العلاقات الأورومغاربية، والظروف الصعبة التي تحيط بها؛ وقد تم التوصل من خلال التحليل، والدراسة إلى مجموعة من النتائج منها:

1- إن العلاقات الأورومغاربية هي علاقة غير متكافئة بين تجمع أوروبي يطمع في ممارسة دور عالمي على الساحة الدولية؛ في مواجهة دول صغيرة متفرقة، ومنكفئا على نفسها في معظم الأحوال.

2- إن الاتحاد الأوروبي هو من يضع قواعد اللعبة باعتبار ان الدول المغاربية هي مصدر الخطر الذي يهدد أوروبا.

3- إن العلاقات الأورومغاربية هي علاقات تبعية، وتكريس للهيمنة الأوروبية.

Abstract

It is obvious that the development taking place at the level of international relations; Changes are made on many levels in the arena international. The period from 1945 reminds us of the end of World War II, and the year 1991 reminds us of the conflict between the eastern and western poles. Then the collapse of the Soviet Union, and the emergence of new actors under national names; likewise, what happened in 1989 and in Eastern Europe, where the winds of pluralistic democracy blew, and signs of capitalism's victory appeared. This is reflected in the Mediterranean countries; where it was not possible to talk about any rapprochement or cooperation between the Maghreb as a result of the division that exists between opponents, and supporters of each of the two poles. This research paper dealt with the most important obstacles and difficulties that represented a stumbling block in the way of Euro-Maghreb relations. Moreover, the analytical method was adopted in order to understand the nature of the Euro-Maghreb relations, and the difficult circumstances surrounding them. Through the analysis of the study, a number of results were reached, including:

1- Euro-Maghreb relations are an unequal relationship between a European grouping that aspires to play a global role in the international arena; In the face of small, scattered countries, and in most cases, they are in opposition to themselves.
2- The European Union is the one who sets the rules of the game, considering that the Maghreb countries are the source of the danger that threatens Europe.
3- The Euro-Maghreb relations are relations of dependence, and the consolidation of European hegemony.

مقدمة:

إن العلاقات الأوروبية المغاربية ليست وليدة العصور الحديثة؛ فقد تأسست منذ فجر التاريخ، واتسمت بنوع من الخصوصية، والارتباط ؛ حيث سعت أوروبا الموحدة إلى أن تكون طرفاً فاعلاً، ومؤثراً في العلاقات الدولية من خلال الاهتمام الذي ينبع من الأهمية الجيواستراتيجية لمنطقة المغرب العربي بالنسبة للحسابات الاستراتيجية الأوروبية؛ بحكم الأرت التاريخي، والتقارب الجغرافي، والتواصل الدائم بين الفضاء المغاربي، وأوروبا؛ فالبحر المتوسط لا يمثل فقط مجرد بحيرة كبيرة في قلب العالم، انما نقطة تماس جيواستراتيجية بين ثلاثة قارات تمثل مركزاً للقوة السياسية، والاقتصادية في العالم.

إن تأسيس الاتحاد الأوروبي في 1992، والتغيرات العميقة التي مست العلاقات الأوروبية الأمريكية، ونهاية التهديد السوفييتي لغرب أوروبا جعل الأوربيون يوجهون اهتمامهم من جديد نحو الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، وبالأخص منطقة المغرب العربي التي تعتبرها أوروبا مركز نفوذ تاريخي، وثقافي لها؛ وعلى هذا الأساس بدأ التنافس الأوروبي الأمريكي من أجل السيطرة على المنطقة المغربية بين التصور الأوروبي المتعدد الأبعاد (تاريخية، اقتصادية، ثقافية)، والتصور الأمريكي كمنطقة واعدة اقتصاديا، وضرورية في استراتيجية الأمن القومي الأمريكي([1]).

وعلى هذا الأساس فقد جاءت هذه الورقة البحثية للإجابة على التساؤل **التالي:**

ماهي العراقيل والصعوبات التي تواجه العلاقات الأوروبية المغاربية؟

وللإجابة على هذا التساؤل تم اعتماد المنهج التحليلي من أجل وصف وفهم العلاقات الأوروبية المغاربية، والوقوف على العقبات والعراقيل التي تقف في طريقها.

[1]– Terrence,R.Guay,the united states and the European union the political Economy of the Relation ship (paris: shef field Academic press,199)p27.

اولاً: العوائق السياسية للعلاقات الأوروبية المغاربية

لقد ساهمت المشاكل في هذا الجانب في عرقلة عملية التعاون الهادفة إلى تحقيق التكامل، والاندماج بين الأطراف على مستويات متعددة؛ فعدم تحقيق الاستقرار السياسي في الدول المغاربية يؤثر في علاقاتها الخارجية مع دول الجوار المتمثلة في الاتحاد الأوروبي كقوة معيارية كبرى، حيث ان من مبادئ سياستها الخارجية المشتركة؛ مبدأ الشرطية في التعامل مع الدول التي تنتهك فيها الحريات العامة؛ ومن ثم لا تعاون من دون إصلاحات سياسية([1]).

لقد أثبت تنوع وتطور علاقات الاتحاد الأوروبي مع بلدان البحر المتوسط وخاصة اتحاد دول المغاربي العربي منذ "اتفاقية روما" أن الحس المتوسطي في أوروبا لا يتسم بالظرفية أو الانتهازية بل إنه ركن دائم في سياسة الاتحاد؛ ولكن للحقيقة فإن تعاون الأوروبيين مع جيرانهم في المتوسط هو انتقائي يعتمد على عوامل كثيرة؛ منها توفر الصبغة الأوروبية مثل الممارسات الديمقراطية ومدى القرب والبعد من الحضارة الغربية بكافة مضامينها، وعلى اعتبار إنها تمثل القدوة أمام الدول الاخرى وخاصة القريبة منها مثل دول جنوب وشرق المتوسط وأيضا على اعتبار أنها قد حققت نمواً مطرداً في مستوى معيشة الفرد بمعاييره المختلفة؛ وقد نشأ بناءً على ذلك نظامان أساسيان في علاقات الاتحاد الأوروبي ببلدان المتوسط على النحو **التالي:**

– النظام الأول هو العضوية الأساسية (الكاملة) في بلدان الاتحاد الأوروبي.

–النظام الثاني هو نظام التعاون التمييزي، وفيه اعتمدت أوروبا منذ الستينات نظاما يستند الى إبعاد من التعاون التمييزي القائم على بعض التفصيلات بدخول المنتجات الصناعية أو الزراعية الي دول السوق؛ لكن ذلك تحول تدريجيا خلال السبعينات الى تقديم مساعدات اقتصادية وفنية وعقد اتفاقيات انتساب ثم اتفاقيات التعاون الشامل وأخيرا

[1] – توفيق حكيمي، محاضرات في ملتقى العلاقات الأورو – مغاربية، الجزء الثالث، السنة الثانية، تخصص علوم سياسية، جامعة باجي مختار، عنابة، 2009 – 2010، ص 12.

اتفاقيات الشراكة مع الاتحاد الأوروبي والتي جاءت كأعلى مراحل التعاون بين الاتحاد الأوروبي ودول البحر المتوسط، وشمال افريقيا وجاءت مرتبطة بشكل كبير "بمؤتمر برشلونة([1]).

إن تطور العلاقات بين أوروبا (الجماعة الأوروبية) ودول المتوسط مرت بعدة مراحل اختلطت فيها الأبعاد التاريخية (الاستعمارية) بالبعد الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي؛ فقد حدث نوع من الترابط بين دول أوروبا المتوسطية فرنسا، وايطاليا وبدرجة أقل اسبانيا، وبين مستعمراتها السابقة: الجزائر، المغرب، تونس وبدرجة أقل ليبيا حتى بعد أن حصلت تلك الدول على استقلالها؛ فقد ذهب الاستعمار العسكري ولكن بقي الترابط اللغوي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي الذي شجع عليه القرب الجغرافي، والعوامل المشتركة العديدة.

من الملاحظ أن الدافع وراء مرحلة السياسة المتوسطية الجديدة التي تمتد فعلياً الى هذه اللحظة مجموعة المتغيرات العالمية، والإقليمية التي مر بها العالم، وأثرت على أوروبا والبحر المتوسط؛ فقد حملت هذه المتغيرات معها أوضاعا جديدة تتطلب التعامل معها وبناء سياسة جديدة مناسبة لها.

لقد جاء عام 1989 ليشكل ثورة الديمقراطية وحقوق الانسان في أوروبا الشرقية دول (الاتحاد السوفييتي السابق)؛ حيث تساقطت أنظمة الحكم الشمولية في أوروبا الشرقية تباعاً، وهبت رياح الديمقراطية الغربية بما تحمله من قيم التعددية والمشاركة السياسية، واحترام حقوق الانسان على تلك الدول لتحل محل القيم التي سادت قرابة نصف قرن؛ ففي نوفمبر 1989 تم تحطيم سور برلين رمز الحرب الباردة دولياً، ورمز المعاناة في ألمانيا، والحرمان من أبسط حقوق الإنسان في ألمانيا الشرقية حيث كان يحظر على المواطنين السفر دون إذن، بل ويحظر عليهم عبور سور برلين لرؤية أقاربهم خلف السور في ألمانيا الغربية.

[1] – سعيد لاوندي، عملية برشلونة الأورومتوسطية: الواقع و الآفاق والتحديات (القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية،2006)، ص 30.

تم في 3 أكتوبر الإعلان عن قيام ألمانيا الموحدة؛ وفى أغسطس 1990 حدثت كارثة الغزو العراقي للكويت؛ وفى تلاحق سريع للأحداث جاء تحرير الكويت في فبراير 1991، ثم انعقاد مؤتمر مدريد للسلام في اكتوبر من نفس العام؛ ثم الاعلان عن انهيار الاتحاد السوفياتي رسميا في ديسمبر من نفس العام([1]).

جاءت الإحداث مع مطلع التسعينات لتؤكد انتصار قيم الديمقراطية، وحقوق الإنسان بمفهومها الغربي لتؤكد على انهيار النظم الشمولية والحزب الواحد، وانطلقت عالميا مفاهيم واحدة مثل: المجتمع المدني، حقوق الانسان، الانسان العالمي، تلاقى وصراع الحضارات، الاقتصاد الدولي، اتفاقية الجات، ثورة الاتصالات وبث الأقمار الصناعية، الانترنت، وبرز كل ذلك فى إطار ما عرف باسم العولمة والتي تحمل في طياتها قيم المنتصر ممثلاً في الرأسمالية الغربية سياسياً، وثقافياً، واقتصادياً، واجتماعياً باختصار جاء الطوفان ليجرف الجميع معه.

أمام تلك المتغيرات رأى الاتحاد الأوروبي ضرورة مراجعة سياسته المتوسطية التي تخضع للمراقبة والتطوير بصفة مستمرة ولذلك فقد كلف المجلس الأوروبي اللجنة الأوروبية بإعداد تصور جديد لسياستها تجاه جيرانها من دول حوض البحر المتوسط؛ وقد أعدت اللجنة بالفعل ورقة عمل تضمنت مقترحاتها بشأن السياسة المتوسطية الجديدة؛ وقد تم تحدد الإطار العام للسياسة المتوسطية الجديدة كما **يلي:**

1- تقوية الروابط بين جهود كل من الجماعة الأوروبية، ودول المغرب العربي التي تهدف إلى التنمية الاقتصادية، والاجتماعية.

2- التأكيد على مبادئ تعدد الأحزاب، والديمقراطية، وحقوق الإنسان، وقد أصدر المجلس الأوروبي إعلانين الأول خاص بالديمقراطية والثاني بالبيئة.

3- دعم الجهود التي تقوم بها المؤسسات المالية لتنفيذ برامج الإصلاح الاقتصادي في دول البحر المتوسط.

[1] – **المرجع نفسه.**

ويلاحظ هنا في هذه المرحلة الاهتمام الواضح بالديمقراطية، وحقوق الانسان وادراجهما جنباً الى جنب مع الموضوعات الاقتصادية، والمالية في علاقة الاتحاد الأوروبي بدول البحر المتوسط، وهو الامر الذى تبلور بشكل أوضح في مؤتمر برشلونة كما سيتضح لنا فيما يلى.

جاء مؤتمر برشلونة (27- 28 نوفمبر 1995) ليشكل ذروة التعاون بين الاتحاد الأوروبي، ودول الاتحاد المغاربي العربي في مجال الديمقراطية، وحقوق الإنسان وقد عقد المؤتمر فى برشلونة بأسبانيا فى أثناء فترة رئاسة إسبانيا للاتحاد الأوروبي (النصف الثاني من عام 1995)،على مستوى وزراء الخارجية للدول المشاركة، والتي بلغ اجمالي عددها 27 دولة؛ منها 15 دولة عضواً في الاتحاد الأوروبي؛ وهنا يلاحظ ([1]):

أولاً: عدم حضور ليبيا حيث لم يوجه الاتحاد الأوروبي لها الدعوة للحضور بسبب (أزمة لوكربى) آنذاك.

ثانيا: إن الاتحاد الأوروبي وجه الدعوة الى الدول المتوسطية بالمعيار الشامل وهو التعريف الاستراتيجي وبناء عليه شاركت كل من موريتانيا والأردن.

لقد جاء انعقاد "مؤتمر برشلونة" بعد مرور عشرين عاما على انعقاد "مؤتمر هلسنكي" مما جعل بعض المراقبين يقولون إن أوروبا احتفلت عام 1995م بمرور عشرين عاما على مؤتمر هلسنكي وذلك بأنشاء هلسنكي- متوسطية، ومن المعروف إن مؤتمر هلسنكي عام 1975 قد دشن في ذلك الوقت أسساً جديدة للتعامل بين الشرق، والغرب؛ حيث كان الأساس في هذا المؤتمر هو احترام الحدود، والأمن من جانب أوروبا الغربية، وأن تلتزم أوروبا الشرقية باحترام حقوق الإنسان من جانب أخر([2]).

---

[1] – أبل ماتيتوس، إعادة توجيه السياسة المتوسطية، مقترحات للفترة 1992- 1996،(لندن' مطابع لندن،2003)،ص 30.

[2] – winter. Lalan and Schiff Maurice, "Regional and Developmen",the world Bank,1818 H street N.W.Washington.

إن الديمقراطية، وحقوق الانسان هي جزء لا يتجزأ من مفهوم الاتحاد الأوروبي للسلام، والاستقرار، والتنمية فى المنطقة؛ وهو الأمر الذي يظهر بوضوح في ديباجة الإعلان في مؤتمر برشلونة التي تؤكد أنهم مقتنعون بأن الهدف العام يقضى بجعل البحر الأبيض المتوسط منطقة حوار وتبادل وتعاون والذي من شأنه تأمين السلام، والاستقرار، والازدهار، وهذا يفرض توطيد الديمقراطية، واحترام حقوق الإنسان وخلق نمواً اقتصادياً، واجتماعياً مستديماً، ومتوازناً، ومكافحة الفقر، وتنمية أفضل للتفاهم بين الثقافات؛ وقد تناول هذا المحور موضوعات هامة مثل الهجرة التى تمثل إحدى أهم قضايا التعاون بين ضفتي المتوسط، وإثارة موضوعات عديدة حول (حقوق المهاجرين)؛ مثل ظروف الهجرة والأسباب التي تدعو المهاجر إلى ترك وطنه نتيجة لعدم توافر العمل المناسب، أو عدم السماح له بالمشاركة السياسية أو اضطهاده في أحد حقوقه الأساسية، وحقه في بلد المهجر مثل تعرضه للاستغلال، واضطراره للعيش في ظل ظروف معيشة غير مناسبة أو حتى غير إنسانية، وهو موضوع هام ويشكل إحدى القضايا الرئيسية في علاقات دول الاتحاد الأوروبي ببلدان جنوبي وشرقي المتوسط؛ وقد نص هذا المحور في البند الثامن على تشجيع أعمال الدعم لصالح المؤسسات الديمقراطية، وتوطيد دولة القانون، والمجتمع المدني في عملية تنمية كل جوانب الشراكة الأوربية – المتوسطية كعامل أساسي لتفاهم أفضل وتقارب بين الشعوب ([1]).

يلاحظ هنا تكامل في الموضوعات وذلك بالربط بين احترام الحقوق الاجتماعية، والإنسانية، وبين التنمية في باقي قطاعات المجتمع المختلفة، وفى موضوعات الشراكة الأوروبية – المتوسطية([2]).

من وجهة نظر أخرى يرى البعض أن المسائل التي تتضمنها هذه السلة الثالثة في الإعلان لا تقل من حيث الأهمية عما تضمنته السلة الأولى المعنية بالشق السياسي، والأمني للشراكة حيث تتعرض في اغلبها إلى جوهر العلاقة بين الهوية الوطنية، والمؤثرات

[1] – **المرجع نفسه**، ص 120.

[2] – شريف بسيوني، الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان،(القاهرة: دار الشروق،2002)، ص 120.

الخارجية، وعناصر الحراك الاجتماعي، وبعض الأطراف المشاركة في الممارسة السياسية الداخلية كما تمس بنود أخرى عناصر تشكيل الرأي العام، وتوجيه الفكر، والسلوك الفردي، وبالتالي فهذا الشق يعتبر أحد الجسور الأساسية لدعم الاستقرار، وبناء الثقة، وتأمين السلام انطلاق من البنية التحتية، والعلاقات المجتمعية الأساسية من جانب آخر فان هذا المحور ليس مقصودا به الاندماج أو إذابة الهوية الثقافية للدول، والشعوب الأطراف، وإنما الهدف هو تعويد الأفراد، والشعوب، والمؤسسات على احترام الاختلاف إن وجد، وكيفية التعايش السلمي رغم هذا الاختلاف، وكيفية توظيف التنوع الثقافي، والديني، والاجتماعي في ترقية التكامل وتعظيم المصالح بين الشعوب والدول.

إن موضوع الديمقراطية، وحقوق الإنسان شائك بطبعه خاصة في العلاقات بين الدول، وخاصة مع ما تحرص عليه كل دولة من أن تظهره من احترام لها غير أن ما تعتبر بعض الدول احتراماً للديمقراطية، وكمالاً في حقوق الإنسان يعتبره البعض الآخر غير ذلك؛ وهنا تُثار مسألة (الخصوصية)، خصوصية كل مجتمع، ودولة (الثقافة، الدين، الأعراف، التقاليد، النظام السياسي السائد، والحالة الاقتصادية) ([1]).

صحيح أن هناك قواعد ثابتة لحقوق الإنسان لإخلاف عليها ولكن تبقى رؤية وتقييم موضوع الإنسان محل خلاف بين الدول ([2]).

إن الاتحاد الأوروبي يقدم الديمقراطية، وحقوق الإنسان لدول جنوبي، وشرقي المتوسط في اقتراب شامل، وذكى فهي جزء من الصفقة، ومن عملية شراكة أوربية – متوسطية يخطط لها لتتحقق بحلول عام 2017م، ويساعد على ذلك ان مفاهيم الديمقراطية وحقوق الإنسان أصبحت في التسعينات مفاهيم (عالمية)، لا خلاف عليها، ومن الصعوبة بمكان أن يُفسر انهيار الاتحاد السوفييتي (العملاق السابق)، ومعه الكتلة الشرقية بعيداً عن غياب

[1] – محمد زاهي بشير المغيربي، بحوث وثقافة الديمقراطية والنظام العربي،(ليبيا: المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر،1999)، ص99.

[2] – محمد نعمان جلال، مصر العروبة والإسلام وحقوق الإنسان،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1999)،ص50.

الديمقراطية، وحقوق الانسان، وغياب الحافز على العمل، والانتاج، والابداع، والمشاركة السياسية، واقتصاد السوق ([1]).

إذا كان الاتحاد السوفيتي السابق هو مضرب الأمثال فان القاعدة ثابتة في كل زمان، ومكان حيث أنه لا أمن حيث لا توازن، ولا توازن حيث لا تنمية متكافئة، ولا تنمية متكافئة في ظل أنظمة غير ديمقراطية محمية من الخارج، وخائفة من الداخل، ولا ديمقراطية حيث لا مشاركة شعبية، ولا مشاركة شعبية إلا إذا تشكلت الأطر السياسية والاجتماعية الموافقة بل، والمعارضة لهذه المشاركة؛ ولا أمن حيث القوة أقوى من الحقوق مجتمعة؛ فالإحباط لا يولد سوى الانفجار ، ولا عجب إذا عم العنف في مناطق كثيرة أغُلقت فيها الأبواب وأوصدت النوافذ أمام الحلول المنصفة، والحقيقية([2]).

إن نظرة الاتحاد الأوروبي لذاته وللآخرين أنه لابد من الديمقراطية، وحقوق الإنسان، ولابد من أن تلتزم دول جنوبي وشرقي المتوسط بتلك المفاهيم بشكل جاد؛ حيث أنه لا فصل بين التنمية، والديمقراطية، ولا بين حقوق الانسان، وإبداع ذلك الانسان.

إن مشروع أكبر منطقة تجارة حرة في العالم كان الاتحاد يسعى للانتهاء منه في 2010، ليشمل 30- 40 دولة، و600- 800 مليون نسمة يمكن أن يتحقق بشكل مترابط، ومتوازن بتنمية الاقتصاد والإنسان والمجتمع والبيئة ([3]).

بالإمكان القول إن الاتحاد الأوروبي يهدف في أحد أبعاد علاقاته مع المتوسط من عقد اتفاقيات الشراكة، ومؤتمرات مثل برشلونة وغيرها؛ احتواء المشكلات التي تصدرها له دول

---

[1] – اماني عبدالرحمن صالح،(التطور الديمقراطي في مصر، 2970-1981)، دراسة تحليلية لمتغير القيادة في تجربة مصر الديمقراطية في السبعينيات، رسالة ماجستير غير منشورة، (القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الإقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، 1987)، ص 97.

[2] – ياد كحيلة(محرر)، التقاء الحضارات في عالم متغير،(القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الأداب، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الإجتماعية،2003)،ص 12.

[3] – حامد خليل، الوطن العربي والمجتمع المدني، كراسات إستراتيجية،(دمشق: مركز الدراسات والبحوث الإستراتيجية، جامعة دمشق،العدد الأول، السنة الأولى، خريف 2000)، ص12.

جنوبي، وشرقي المتوسط، والتي يمكن إن تصدرها له في المستقبل؛ فأوروبا تسعى إلى الحوار، والمشاركة الأوروبية المتوسطية اتقاء لتصدير الأزمات المتراكمة، في الدول المغاربية، وهى التي تعودت طويلاً أن تصدر لنا كل شيء من اللبان الى الصواريخ والدبابات؛ ومن العلوم الى الديمقراطية، ومن الفكر والثقافة الى الأزياء، والسيارات، في الوقت الذي كان آخر ما صدرنا إلى أوروبا من فكر، وعلم، وتنوير مضت عليه قرون طويلة، وأشهرها في العقل الأوروبي، مؤلفات الرازي، وابن سيناء في القرن العاشر، وابن رشد في القرن الثاني عشر؛ ولم يعد لدينا الآن ما نصدره لها سوى إرهاب منفلت أو تطرف متعصب، لذلك هو يطرح علينا مشروعا بديلا، واستراتيجية نقيضه، قوامها الظاهري المشاركة والتعاون، ومحتواها الحقيقي هو اتقاء شرنا المهاجر إليه على الأقل([1]).

ثانيا: العوائق الأمنية والاستراتيجية

لقد افرز التعاون بين الجانبين المغاربي، والاتحاد الأوربي جملة من التحديات خاصة في الفترة التي تلت مؤتمر برشلونة سنة 1995، مما أدى إلى التركيز من الجانب الاوربي على المسائل الأمنية خاصة مع ظهور تهديدات جديدة تتعلق بالهجرة غير الشرعية، ومكافحة آفة المخدرات، والإرهاب الدولي، ناهيك عن القضايا المتعلقة بالديمقراطية، وحقوق الإنسان، ويمكن تلخيص العوائق الأمنية في النقاط التالية:

1:الهجرة السرية أو ما يُعرف بالهجرة غير الشرعية: وهي تعني رغبة الفرد في التغلب على الظروف الصعبة، والهروب من الفقر، وبدء حياة جديدة توفر له العيش الكريم، وقد لخصها عالم الديمغرافيا الفرنسي الفريد سوفي بقوله:(إما أن ترحل الثروات حيث يوجد

[1] – عمرو محمد عبدالرحمن السيد، " العلاقات الأورو متوسطية والتعاون في قضايا التحول وحقوق الإنسان"، القاهرة: المركز الديمقراطي العربي في الديمقراطية وحقوق الإنسان، 2013. متاح على:

http://democraticas.de/?p=1797

البشر، وإما أن يرحل البشر حيث توجد الثروات)([1])؛ وإذا كانت الهجرة قد برزت مع نهاية القرن20، وبداية القرن 21، كمعضلة عالمية لا تكاد تخلو منها منطقة في العالم إلا انها اتخذت ابعاد خطيرة في حوض البحر الابيض المتوسط الذي يمكن وصفة بالمتناقضات؛ شمال غني وجنوب فقير ومتخلف ([2]).

لقد أضحى موضوع الهجرة هاجسًا يؤرق بال السياسيين في كل البلدان الاوربية بالنظر الى ما يُثيره من مسائل أمنية؛ وبالتالي أصبح ملفا ساخنا تتمحور حوله الحياة السياسية في البعض منها خوفا من التطرف الإسلامي، العنصرية، وأعمال العنف والإرهاب، ووفقا للإحصاءات الصادرة عن الأمم المتحدة فإن أن أكثر من 35 ألف، مهاجر وصلوا إلى أوروبا عام 2016، معظمهم من ليبيا، من بينهم 23 ألفا وصلوا إلى إيطاليا، و12 ألفا إلى اليونان؛ وقد وصل عدد المهاجرين غير الشرعيين الى أوروبا 219 ألف شخص في عام 2014–2015، من بينهم 171 ألف من ليبيا، بما يشكل نسبة 400%، مقارنة بعام 2013؛ وقد أدت الهجرة غير الشرعية عبر البحار، إلى مقتل المئات؛ فأكثر من 3500، مهاجر غرقوا عام 2015؛([3])مما جعل أوروبا تعمل على التضييق على نظام التأشيرات والقيام بالطرد الفردي والجماعي، والدخول في اتفاقيات مع البلدان المصدرة لها، وخاصة المغرب الذي يعتبر البوابة التي تصل افريقيا بأوروبا في محاولة لاحتواء، ومعالجة ظاهرة الهجرة السرية، وقد برز هذا التعاون في اللقاءات المتعددة بين الطرفين وكذلك في اعلان برشلونة الذي تمت الإشارة فيه الى الدور الذي تلعبه الهجرة في العلاقات الأور

[1] – فتيحة يتم، البعد الأمني في مكافحة الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا، مجلة السياسة الدولية، العدد 183، يناير، 2011، ص 24.

[2] – عبدالعالي حرة، حقوق الإنسان من الشراكة الأورو متوسطية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون العام، كلية الحقوق، سلا، 2005–2006.

[3] – أدريس الكردي، السياسة الأوروبية للأمن والدفاع رؤية جنوبية،رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون الدولي، كلية الحقوق ،سلا،2005–2006)، ص 138.

ومتوسطية، والاتفاق على تكتيف التعاون من أجل تخفيف واطئتها بواسطة برامج التأهيل المهني وخلق فرص الشغل وغيرها

وقد نص الاتفاق المبرم بين المغرب، والاتحاد الأوروبي سنة 1996، على إطلاق حوار يتناول كل القضايا المتعلقة بالهجرة، والإجراءات الواجب اتخاذها للحد من الظاهرة؛ وقد تلت ذلك مجموعة من اللقاءات، والاجتماعات الثنائية، والجماعية في محاولة لاحتواء الظاهرة نذكر **منها** ([1]):

1-عقد المؤتمر السنوي المتوسطي لمنظمة الأمن والتعاون بأوروبا الذي تم في الرباط شهر سبتمبر 2005 في موضوع خصوصية دور هذه المنظمة في سياسات الهجرة والاندماج.

2-تنظيم مؤتمر في المغرب في اكتوبر 2005 شارك فيه وزراء داخلية دول 5+5 لمناقشة تزايد الهجرة السرية الى أوربا ووضع خطة مشتركة لمواجهة الظاهرة.

3-عقد المؤتمر الأوروبي الإفريقي الأول لمكافحة الهجرة السرية بالرباط في 2006، بمشاركة العديد من الدول الإفريقية والأوروبية والعربية لإقامة شراكة وثيقة بين الدول التي يأتي منها المهاجرون، والدول التي يتوجهون اليها والربط بين المساعدات والتنمية، ومكافحة الهجرة غير الشرعية بتعزيز الرقابة على الحدود، واتفاقيات إعادة قبول المهاجرين السريين.

4-عقد مؤتمر باريس في نوفمبر2008، ويعتبر هذا المؤتمر مرحلة ثانية بعد عقد مؤتمر الرباط، وقد شاركت فيه دول الاتحاد الأوربي، و27 دولة افريقية، و 5 دول عربية؛ كما

[1] – الطيب الشرقاوي، تقديم القانون رقم 02-03،المتعلق بخول وإقامة الأجانب بالمملكة المغربية وبالهجرة غير الشرعية، منشورات جمعية نشر المعلومة القانونية والقضائية، سلسلة الندوات والأيام الدراسية، العدد 1، الطبعة الثالثة، مارس 2007، ص 22.

انه جاء بعد شهر من اعتماد الاتحاد الأوروبي "اتفاقية للهجرة واللجوء" باقتراح من فرنسا .([1])

لقد اعتمد مؤتمر باريس برنامجاً للتعاون في الفترة ما بين عامي 2009 و2011، في تنظيم الهجرة الشرعية، ومكافحة الهجرة غير الشرعية وتعزيز التنسيق والربط بين الهجرة، والتنمية([2])،

كما ان موضوع الهجرة أصبح رهاناً رئيسياً وشعاراً انتخابياً للعديد من السياسيين بدول الاتحاد الأوربي، ولعل السباق نحو الرئاسة في فرنسا قد أخذ نفس المنحى؛ إذ أن المرشح الاشتراكي فرانسوا هولاند راهن على مسألة الهجرة التي عززت من حظوظه بالفوز في الجولة الاولى برئاسة الجمهورية الفرنسية؛ حيث حصل تقريبا على 28 %، من اصوات الناخبين الفرنسيين مقابل 27 في المائة للرئيس الجمهوري نيكولا ساركوزي في الانتخابات التي اجريت يوم الأحد 2012/04/22

لقد اصبحت ظاهرة الهجرة الموضوع المحوري في العلاقات المغاربية الأوربية؛ الأمر الذي استدعى اتخاذ عدة تدابير مهمة لمعالجتها، وهكذا قام المغرب بعدة مبادرات **منها** ([3]):

– مبادرة إحداث مديرية للهجرة ومراقبة الحدود بوزارة الداخلية، والتي تعمل على مكافحة شبكة تهريب البشر ومراقبة الحدود.

– توحيد النصوص التشريعية المنظمة لدخول الأجانب وإقامتهم بالمملكة وتجميعها في نص قانوني واحد وموحد ويتعلق الأمر بقانون رقم03–02، الذي جاء في روحه متلائما مع الاتفاقيات الدولية المتعلقة بمحاربة الهجرة السرية مكرساً لما التزمت به المملكة المغربية في مجال احترام حقوق الإنسان([4])؛وقد نصت مواد القانون رقم 02–03 المتعلقة

---

[1] – **مرجع السابق**.

[2] – أحمد يوسف القرعي، "التصور العربي تجاه مواثيق حقوق الإنسان"، السياسة الدولية، (القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، العدد 96،أبريل، 1989)،ص 98.

[3] – عماد جاد،"الإتحاد الأوروبي:تطور التجربة"، السياسة الدولية،(العدد 161، يوليو، 2005)،ص 90.

[4] – **المرجع نفسه**.

بدخول واقامة الأجانب بالمملكة المغربية وبالهجرة غير الشرعية الصادر الأمر بتنفيذه ظهير شريف، 11 نوفمبر 2003([1])،وخاصة القسم الثاني المتعلق بالأحكام المتعلقة بالهجرة غير المشروعة، حيث تصل العقوبات السجنية إلى خمسة عشرة سنة في حين أن الغرامات قد تصل الى 1000000 درهم، وهذا أن دل على شئ فعلى حرص المملكة المغربية على الدفاع على مصالحها لكون الهجرة غير مشروعة تشكل عامل تهديد وعدم استمرار للمغرب قبل الاتحاد الأوروبي.

ومن الجانب الأوروبي، عملت الدول الأوربية على اتخاذ مجموعة من الإجراءات الأمنية للحد من الظاهرة، ومنها إنشاء مراكز الاعتقال الخاصة بالمهاجرين غير الشرعيين الذين يتم القبض عليهم على السواحل الأوروبية، حيث يتم احتجازهم بها الى حين ترحيلهم الى بلدانهم ولا توجد في هذه المراكز ادنى المعايير المطلوبة فيه للاعتقال؛ وهو الامر الذي جعل المنظمات الحقوقية تنتقد تلك المراكز خاصة فيما يتعلق بوجود مزاعم المعاملة السيئة، وغير الإنسانية بحق المحتجزين بشهادة الصليب الأحمر ومفوضية شؤون اللاجئين؛ وبخصوص تشديد الحراسة على الحدود الأوربية، اتخذت الدول الأوربية العديد من الإجراءات الأمنية على طول سواحلها نذكر **منها** ([2]):

–المشروع الاسباني الممول من طرف الاتحاد الأوربي والقاضي ببناء جدار حدودي يصل ارتفاعه الى ستة أمتار، مجهز برادار للمسافات البعيدة وبكاميرات الصور الحرارية وأجهزة للرؤية في الظلام، وبالأشعة تحت الحمراء.

– قامت اسبانيا موازاة مع ذلك بإنشاء مراكز للمراقبة الإلكترونية مجهزة بوسائل إشعار ليلي، ورادارات، ودعمت هذه المراكز بجهاز "سيف"، وهو جهاز مدمج لحراسة المضيق.

---

[1] – يونس المسكيني، سياسة محاربة زراعة وتهريب المخدرات شمال المغرب، رسالة ماجستير،(الرباط: كلية الحقوق اكدال الرباط، 2010–2011)، ص 52.

[2] – حسن نافعة، البناء المؤسسي للإتحاد الأوروبي، السياسة الدولية،(القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، مج 39، العدد 1957، يوليو، 2004)، ص 52

–مشروع إطلاق قمر اصطناعي أُطلق عليه اسم "شبكة الحصان البحري" لمراقبة عمليات الهجرة السرية ببوغاز جبل طارق بين افريقيا وأروبا، بتكلفة تقدر بأكثر من 3,5 مليون أورو؛ من شأن هذا الإنجاز مساعدة الدوريات العسكرية البحرية، خاصة المغربية والإسبانية اللتين تعملان بشكل مشترك منذ 2003، في إطار التعاون الأمني الأورومتوسطي لمحاربة الشبكات المختصة في تهريب البشر، والتي تعتمد على تجهيزات ومعدات لوجيستية متطورة ([1]).

وكمحصلة للتعاون الثنائي المغربي الأوروبي في مجال محاربة الهجرة السرية، فقد انخفض عدد المهاجرين السريين نحو أوروبا، وتعزز التعاون المغربي الإسباني في نفس الاتجاه عن طريق مجموعات العمل الدائمة بين البلدين في مجال الهجرة، كما تمت الإشادة بدور الحكومة المغربية ومختلف الأجهزة الأمنية للحد من الظاهرة بالرغم من تزايد عدد القوافل القادمة من منطقة الساحل وجنوب الصحراء الإفريقية المتسللة إلى المغرب؛ وقد أشار تقرير صادر عن وزارة الداخلية الإسبانية إلى ارتفاع ملحوظ في عدد المهاجرين اللذين تم ايقافهم، وصل الى ما يزيد عن 2000 مهاجر سري خلال سنة 2008، كما أن المقاربة التي انتهجها الاتحاد الأوروبي للحد من ظاهرة الهجرة السرية تبقى غير عملية لكونها تهمل الأسباب، والظروف المحيطة بها من جهة، ولكون هذا النوع من الحلول مكلف بالفعل؛ فبموجب الاتفاقيات الثنائية بين الاتحاد الأوربي، وبعض دول جنوب المتوسط منها المغرب فإنه يتم دفع الملايين من اجل مشروعات مثل رفع قدرات الحراسة على الحدود، والدعم اللوجيستي المتمثل في طائرات المراقبة، وبناء معسكرات الاحتجاز؛ وقد كان من الأوفق التركيز على دعم مشروعات تنموية خاصة في المناطق المصدرة للهجرة السرية، وخلق فرص للعمل بها، وفي هذا السياق قال العاهل المغربي الملك محمد السادس:" وأمام تزايد تدفق الهجرة غير الشرعية من دنيا الفقر إلى عالم الغنى، فإنها تقتضي معالجة شمولية لا تنحصر في الجانب الأمني فحسب لأنه غير كاف وحده، اذا لم يتم العمل على معالجة دوافعها الاقتصادية، والاجتماعية بالدول المصدرة لها، ولن

[1] – **المرجع نفسه.**

يتأتى ذلك الا بتوفير الدعم الضروري للتنمية المحلية للشعوب الإفريقية الشقيقة، بما يمكنها من الاستقرار، والعيش الكريم في اوطانها، في ظل الرخاء المشترك والأمن الشامل .([1])

إن ظاهرة الهجرة غير الشرعية تتحمل المسؤولية فيها حكومات الدول الإفريقية التي ينطلق منها المهاجرون لأنها عاجزة من تأمين الحياة الكريمة لأبنائها، وتحديث المجتمع، والإخفاق في مشاريع التنمية التي تنتهجها؛ كما يتحمل المسؤولية كذلك الاتحاد الأوربي لأنه يتبنى سياسة أمنية صرفة وفقاً لمصالحه فقط وإغلاق حدوده دون دراسة أسباب الهجرة السرية في الدول المصدرة لها.

2-تجارة المخدرات.

نظراً لكون انتشار المخدرات يشكل تهديداً حقيقياً للأمن، والاستقرار بمنطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، خاصة مع وجود عصابات منظمة تنقل المخدرات براً وبحراً، وجواً فضلاً عن الإتجار في البشر، والأسلحة، وتزوير العملات، والتعاون، والتنسيق مع المنظمات الإرهابية، وتمويلها؛ فقد كان لابد من مواجهة الظاهرة من خلال التعاون الأورومغربي؛ لأن المغرب يعتبر المزود الأول لأوروبا بالحشيش؛ حيث تعتبر اسبانيا أول الدول عالمياً من حيث كمية المخدرات المحجوزة، ورغم كل المجهودات التي بذلتها المغرب من اجل تخفيف حدة التهريب نحو أوروبا؛ إلا ان شبكات التهريب تعمل على تطوير آلياتها؛ مما يجعل التعاون مع الجانب الأوروبي ضرورياً للتخفيف من هذه الظاهرة باعتباره افضل وسيلة وانجحها للتغلب على هذا المشكل الذي اصبح ظاهرة مجتمعة ذات أبعاد خطيرة، ولهذه الغاية تم ادراج موضوع مكافحة المخدرات في المادة 62 من الباب الخامس من اتفاقية الشراكة الموقعة بين المغرب، والمجموعة الأوروبية؛ اذ تم التأكيد على **ما يلي**([2]):

[1] – علي بلحاج، سياسات دول الإتحاد الأوروبي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة،(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى،2005)،359.

[2] – مرجع سبق ذكره،ص359.

أ- تحسين فعاليات السياسات والإجراءات التطبيقية لمنع ومحاربة انتاج وعرض والإتجار غير المشروع في المخدرات والمؤثرات العقلية.

ب-القضاء على كل استهلاك غير شرعي لتلك المواد.

ج-التعاون في وضع استراتيجيات لتحقيق الأهداف المشتركة.

د-التنسيق، والاستشارة بين الأطراف المتعاقدة في الأنشطة، والمبادرات التي تقوم بها كل دولة على حدة.

هـ-العمل على احداث وتوسيع المؤسسات الصحية الاجتماعية ومراكز الإعلام لمعالجة المدمنين على المخدرات وإعادة ادماجهم في المجتمع.

لقد حظي الموضوع باهتمام كبير اذ تم التنصيص عليه في بنود إعلان برشلونة حيث تمت الإشارة إلى التعاون في مجال مكافحة، وانتشار، وتنوع الجرائم المنظمة، ومحاربة المخدرات بكل اشكاله؛ وفي إطار الشراكة الأورومغربية قامت السلطات المغربية بسن قوانين تجرم كل مظاهر إنتاج، وتصنيع، وتسويق المخدرات، وتم احداث العديد من نقاط الحراسة، والمراقبة على طول الساحل المتوسطي، ونشر فرق من القوات المسلحة الملكية، والدرك الملكي، والقوات المساعدة بالإضافة إلى تعزيز المراقبة بالموانئ، والمطارات ونقاط الحدود، وتعزيزها بمعدات حديثة، ومتطورة؛ ومن جانبه قام الاتحاد الأوربي بمنح هبات مالية، وقروض لتطوير البنيات التحتية للأقاليم الشمالية التي تعد المنتج الرئيسي للمخدرات، كما أقر الاتحاد الأوربي في إطار برنامج ميدا إعداد استراتيجية متعددة القطاعات بمساهمة البنك الأوربي للاستثمار لمحاربة زراعة المخدرات، وتشجيع المبادرات التنموية لمنطقة الشمال، وتحسين مداخيل، وظروف عيش سكانها.

في إطار التعاون الأورو-مغربي تم القيام بعدة مبادرات في مجال تكوين أطر تقنية وعملية، كما أحدث الجانبان جهازا لتبادل المعلومات المتعلقة بتحرك مهربي المخدرات واطلق عليه اسم "مارنفو" اضافة إلى إنشاء جهاز للمراقبة الجوية والبحرية سمي بعملية

سندباد ،وقد وقع المغرب عدة اتفاقيات مع دول الاتحاد الأوروبي بهدف الحرب على المخدرات **منها:**

-اتفاقية التعاون من اجل مكافحة آفة المخدرات بمدينة الرباط سنة 1987 دخلت حيز التنفيذ سنة 1992

-البروتوكول الملحق بها والموقع بتاريخ 4 يوليوز 1997 بمدينة مالكا الإسبانية، ومع ايطاليا.

- اتفاقية سنة 1987 بمدينة الرباط اعقبها بروتوكول وقع بروما سنة 1996.

وفي إطار هذا التنسيق تم القاء القبض على مجموعة من مهربي المخدرات؛ ففي سنة 2008 تم اعتقال 16 شخصاً في اشبيلية، وهو ما أُطلق عليه عملية غوريا حيث تم ضبط 622 كلغ من الحشيش هربت من شمال المغرب؛ وفي سنة 2009، تم ضبط حوالي سبعة اطنان من المخدرات خرجت من ميناء طنجة وسبتة، وتم اعتقال مائة شخص جلهم مغاربة، كما تم احباط عملية تهريب حوالي 2000 كلغ من المخدرات من طرف مصالح الحرس المدني الإسباني، وبتاريخ 13 ابريل 2012 تمكنت مصالح الشرطة المغربية بتنسيق مع نظيرتها الفرنسية من تفكيك شبكة إجرامية تنشط في تهريب المخدرات انطلاقا من المغرب في اتجاه فرنسا حيث تم إلقاء القبض على 6 أشخاص، وحجز حوالي طن و 20 كلغ ([1])، من مخدر الحشيش، والآليات المستخدمة في نقل تلك المخدرات، وتدخل هذه العملية في اطار التعاون الأمني المغربي الفرنسي في مجال مكافحة الجريمة المنظمة عبر الحدود.

ورغم كل هذه الجهود المبدولة فإنه يجب الإشارة إلى أن كل هذه الاتفاقيات المبرمة للحد من ظاهرة إنتاج، وتسويق، وتهريب المخدرات بقيت قاصرة لطغيان الهاجس الأمني

[1] – أمينة علوش، آليات مكافحة تحويل الإرهاب في إطار الممارسات الدولية الراهنة،بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون العام،(الرباط: كلية الحقوق، أكدال الرباط،2005)، ص126.

وغياب الجانب الاجتماعي والتنموي؛ خاصة في منطقة الشمال التي تعاني من عدة مشاكل سياسية، واقتصادية.

3- ظاهرة الإرهاب.

تعاظمت في العقود الاخيرة ظاهرة الإرهاب سواء من حيث مظاهرها او على مستوى النطاق الذي تمارس فيه، والوسائل المستخدمة فيها، وكذلك بالنسبة للقائمين بها، والدوافع التي تغذيها([1]).

لقد عرف المغرب في يوم 16 ماي 2003،أحداثاًأخرجته من دائرة الاستثناء الذي كان ينعم به في المجال الأمني، وادخلته في غمار الحرب على الإرهاب، ومكافحة تمويله؛ ورغم ان المواجهة بين السلطات المغربية، وتنظيم القاعدة لم تتم بالشكل الذي شهدته بلدان أخرى عربية وأجنبية، فقد بدأ التماس بين المغرب، وهذا التنظيم المتطرف اثر اعتقال بعض اعضاء الخلية القائمة خلال سنة 2002، لذلك قام المغرب بالتوقيع على اتفاقيات، وبروتوكولات في مجال الحرب على الإرهاب منها:

- الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب في 14 اكتوبر 2001.

-الاتفاقية الدولية لقمع الإرهاب الموقعة بنيويورك في 19 اكتوبر 2002 ([2]).

إضافة الى هذا قام المغرب بسن تشريعات خاصة بالإرهاب اهمها القانون رقم 03.02 المتعلق بمكافحة الإرهاب في مايو2003، وعلاقته بالاتحاد الأوربي؛ فقد انخرط الطرفين في استراتيجية لمكافحة هذه الآفة التي مست بالمغرب في 16 ماي 2003 واسبانيا في 11 مارس 2004، وقد اتخذ هذا التعاون اشكالاً ثنائية، واخرى جماعية؛ فقد عمل المغرب على عقد اتفاقيات ثنائية مع اسبانيا سنة 2004، تضمنت نقاطا تتعلق بتبادل المعلومات والخبرات بين الأجهزة الأمنية للبلدين وتعقب الشبكات والخلايا الإرهابية،

[1] -نفسه

[2] - محمد عابد الجابري وآخرون، وحدة المغرب العربي،(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1993)،ص77.

وكذلك مع فرنسا في سنة 2003 تحدد بموجبها مجال التعاون بين البلدين لمحاربة الإرهاب والإجراءات الوقائية من هذه الآفة ([1]).

وتجدر الإشارة إلى مركزية البعد الحضاري في إطار العلاقات الأوروبية الإفريقية لدى الملك المغربي محمد السادس([2])؛ حيث ناقش في الأطروحة التي قدمها الملك المغربي للحصول على درجة الدكتوراه إشكالية التطرف بين الحركات الاسلامية وتأثيرها على مسار تلك العلاقات؛ كما أشار محمد السادس في حديثه عن الأسباب الاستراتيجية والسياسية المؤدية إلى عدم تحقيق التكامل في المنطقة المغاربية، وضمنها الاتحاد العربي الإفريقي، حيث يرى أن هذه الأسباب تجلت فيما وصفه بالعراقيل السياسية، والصراعات الإقليمية، والصراع من أجل الزعامة الإقليمية، وظهور الإسلام السياسي، وخص ملك المغرب أربع صفحات لمناقشة فرضية علاقة ظهور الإسلام السياسي بعرقلة بناء اتحاد المغرب العربي، وتبني هذه الفكرة في الجزائر بعد بروز الإسلاميين في مطلع التسعينات؛ ملك المغرب اعتبر أن الإسلاميين قبل عام 1989 لم يكونوا عقبة في طريق تحقيق التكامل بين البلدان المغاربية ، كما قال.

أن الحكومات المغاربية أبدت تخوفها من الإطاحة بها من طرف الإسلاميين، وفي ضوء تلك الرؤية فإن هذا التخوف هو الذي شجع قادة الدول المغاربية على بناء اتحاد المغرب العربي، على اعتبار أنهم طرحوا احتمال إقامة مشروع متكامل للاتحاد المغاربي كوسيلة للتخفيف من التوتر بالمنطقة، كما أن الإسلاميين حسب ملك المغرب كانوا يريدون نجاح المغرب العربي وعلى هذا يقول محمد السادس" وفي هذا الصدد نود التنويه بالمستوى النموذجي للتعاون الفعال، والشامل، والتنسيق المحكم بين المغرب وجارته اسبانيا، وكافة شركائه لمحاربة الإرهاب والحرص على ان يظل حوض المتوسط فضاء للأمن والسلام والتقدم ومهدا لتفاعل الحضارات بل وتحالفها، وفي هذا الصدد فإننا نؤكد دعمنا لكل الاقتراحات الصادرة في هذا الشأن عن دول شقيقة وصديقة، خاصة منها انشاء هيئة

---

[1] – **نفسه**

[2] – الخطبة الملكية–وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، متاح على: https://www.habous.gorma.

متخصصة للوقاية من الإرهاب ومكافحته، واحداث صندوق لتعويض ضحايا هذه الآفة، وذلك بالموازاة مع قيام منظمة الأمم المتحدة بدور فعال في هذا الشأن، واذ نجدد الإعراب عن وفاء المملكة المغربية الدائم بالتزاماتها الثنائية الإقليمية والمتعددة الأطراف، وانخراطها الفاعل في الجهود الدولية الرامية لمحاربة الإرهاب واستباق مخاطرة وتطويقها، فإننا نهيب بالقوى المحبة للسلام ان تولي العناية الكاملة لايجاد حلول سلمية ومنصفة لمختلف بؤر التوتر في العالم، ولاسيما في منطقة الشرق الأوسط لما لها من تأثير على تغذية الإرهاب .([1])

لقد اثمر التعاون المغربي الأوروبي في تفكيك عدد من الخلايا الإرهابية، وتوافد عدد من المسئولين الأوروبيين الأمنيين، والقضائيين على المغرب في تبادل للزيارات، وتم انشاء العديد من المراكز الإقليمية للتدريب والتكوين وتبادل الخبرات بهدف تعزيز اواصر التضامن، نذكر من بينها تنظيم اعمال تكوينية وتدريبية لصالح المغرب من قبل ايطاليا في يناير وفبراير 2006 وذلك في اطار المبادرات المنسقة من قبل الاتحاد الأوروبي

وكسائر الظواهر الأمنية التي تؤرق بال الأوروبيين فقد تم مقاربة ظاهرة الإرهاب بدعم التوجه الأمني المحض من طرف الاتحاد الأوروبي فيما تدعم دول جنوب حوض المتوسط ومنها المغرب المقاربة التنموية للتصدي للظاهرة واجتثاتها من جذورها مع الفصل بين الإرهاب السياسي والنضال المسلح من اجل التحرر الوطني ([2]).

لقد أتاح التدخل الفرنسي في شمال مالي فرصة جديدة لإعادة تجميع شتات ورثة أسامة بن لادن في شمال أفريقيا، فكل الشروط تبدو اليوم مواتية لسيناريو محتمل بدأت تتضح معالمه بأن يتحول شمال مالي إلى "أفغانستان تحت أقدام المنطقة المغاربية"، التي يبدو

---

[1]– for moresee,king Mohamed vi, cooperation between the European Economic community and the arab Maghreb union, PHD hesis(France:university of nice–Antipolis,1993)

[2] – pentland Charles, intergrational theary and European in tegrafion(new yourk: the freepess–1973p76)

أنها مرشحة لأن تتحول إلى "باكستان شمال أفريقيا" يمتد تحتها شريط من موريتانيا إلى الصومال ومن موريتانيا إلى "خنادق" سيناء في الصحراء المصرية.

ثمة أسباب متعددة تدفع إلى ترجيح فرضية تحول شمال مالي إلى «أفغانستان جديدة إلى الجنوب من المنطقة المغاربية، فالتدخل الفرنسي غير المحدد إلى اليوم بأجندة زمنية مضبوطة للانسحاب، وهناك حضور القوى العسكرية الأفريقية لبعض الدول المجاورة، وتطلعات الأميركيين للوجود في المنطقة، كما تشير عليها تصريحات المسؤولين العسكريين الأميركيين بحجج مختلفة.

ثالثاً: العوائق الاقتصادية والمالية.

بقدر ما كانت هناك طموحات عديدة، وإمكانيات متاحة لإقامة علاقات، وتعاون أوروبي على أساس تكافؤ الفرص؛ إلا انه في الواقع هناك عوائق كبيرة ارتبطت بالاختلاف، والفوارق الاقتصادية، والمالية(35)،ووفقا للأستاذ بشارة خضر فإن منطقة التبادل من الناحية النظرية تيسر تداول السلع، والأموال، وتوسيع نطاق الأسواق؛ إضافة إلى أنها تبعث الطلب التنافسي، والتشجيع على تحسين الإنتاجية؛ ولكن هذا يفترض مسبقاً انعدام العوائق التي تحول دون فتح الأسواق؛ إلا أن الدول المغاربية الثلاثة؛ تونس، والمغرب، الجزائر قد اعترضتها مجموعة مشاكل أساسية منها([1]).

1:الفروق الضخمة بين مستويات التنمية في دول الشمال والجنوب منها.

سبق الإشارة إلى أن السياسة المتوسطية الجديدة للاتحاد تقوم على مبدأ المعاملة بالمثل، وتحرير المبادلات؛ غير أن الإشكال القائم هو أن هذه الشراكة ستقام بين دول متقدمة، وأخرى متخلفة تتميز بتباين، واختلاف كبيرين في مستويات النمو، والتبعية التي تزداد من

[1] – فايز غنام، التعاون الأمني الأورومغاربي، دراسة حالة 5+5،(2001–2011)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات المتوسطة والمغاربية في الأمن والتعاون، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولود معري، تيزي وزو، الجزائر، 2011،ص287.

وقت لآخر؛ حيث تشير الأرقام أن الناتج المحلي الإجمالي للفرد للدول المغاربية سينتقل من 1410 دولار سنة 1990 إلى 1750 دولار سنة 2010، أي بزيادة قدرها 24 %خلال 20 سنة، بينما سيعرف هذا المؤشر ارتفاعا بنسبة 50 %، أوربياً؛ منتقلاً من 16000 إلى 24000 دولار خلال نفس الفترة 1990- 2010،وعليه ولإستدراك نصف هذا الفارق الذي يفصل بين دول الاتحاد الأوربي ودول المغرب العربي ينبغي على هذه الأخيرة أن تحقق معدلات نمو سنوية بـ 5 %، للدخل الفردي ولمدة 50 سنة، مقابل معدل نمو لا يتجاوز 1%([1])، لأوروبا ويشار إلى أن قلة تنوع اقتصاديات المنطقة يشكل عقبة أمام تنشيط التجارة البيئية، ويجعلها متقلبة حسب التقلب في التجارة الخارجية، وهو ما استغلته أوروبا لفرض شروطها في اتفاقياتها مع المنطقة، والتي تتميز باختلالات في التوازنات الاقتصادية والمالية والنقدية وعجز في الموازين التجارية، وتزايد معدلات البطالة، وضعف الإنتاجية، وتدهور مستويات التنافسية، وتزايد تكاليف أداء الاقتصاديات الوطنية في منظومة إدارية بطيئة، ونظم قضائية ضعيفة ومؤسسات مصرفية عتيقة، منشآت صغيرة التي تلعب على الاستيراد والتصدير وعلى هذا الأساس فإن الفروقات والاختلافات كبيرة في مستويات النمو ما بين الدول الاوربية والدول المتوسطية خاصة ما يتعلق بالناتج المحلي الإجمالي للفرد، والمداخيل ومستوى الأجور؛ حيث أن الاقتصاديات المغاربية لا تزال تحت رحمة التبعية الاقتصادية للتكتلات الأخرى؛ فالواقع الإقليمي الجديد في ظل توسع الاتحاد الأوربي وتأثيره على مصالح دول المنطقة ومستقبل علاقاتها لدول شريكة تعمل بشكل ثنائي؛ فعلى سبيل المثال لا يتجاوز حجم المبادلات التجارية بين دول المغرب العربي نسبة 2 % ([2])في حين تصل مبادلات هذه المنطقة مع أوربا حوالي 70

[1] – توفيق حكيمي، محاضرات في ملتقى العلاقات الأورو مغاربية، الجزء الثالث،مرجع سابق،ص15.

[2] – كتاب زاهية، الشراكة الأورومغاربية– أبعادها ورهاناتها، أطروحة للحصول على الدكتوراة في القانون الدولي للأعمال، جامعة عبدالحميد بن باديس، مستغانم، كلية الإقتصاد والعلوم السياسية،2018،2019،ص263.

%من الحجم ، أضحت الاقتصاديات المغاربية رهينة سياسات إدارة أزمة المديونية التي تطورت مشروطيتها وأثرت على الاقتصاد، والتجهيزات المرتبطة بتصنيف المشاريع ذات الأولوية من طرف الاتحاد الأوربي

إن العلاقات الاقتصادية المغاربية تهدف إلى خلق منطقة تبادل حرة لمصلحة الدول الأوربية، حيث تعتبر الأقطار المغاربية سوقاً لها، رغم أن هناك خسارة لحقوق الرسوم الجمركية بالنسبة إلى الأقطار المغاربية، فالأقطار المغاربية هي أقطار زراعية وطاقوية، على عكس الدول الأوربية التي هي دول صناعية، فالفجوة موجودة دائما بين الشمال المصنع، والجنوب المتخلف، والعلاقة المستمرة بين طرف قوي، وطرف ضعيف.

الجانب التنموي للمنطقة المتوسطية، وعليه فإن سيطرة الجانب الأمني في مختلف جوانب إعلان برشلونة والمؤتمرات اللاحقة لدليل إضافي على الهاجس والقلق الذي ينتاب دول الاتحاد الأوربي، وعليه فإن الخوف الأوربي من وجود خطر قد يأتي من الضفة الجنوبية للمتوسط جعل مسائل التنمية في حيز ضيق مقارنة مع الحيز الذي يحتله الجانب الأمني، فكل هذه المؤشرات وأخرى تؤكد على مدى ميل الاتحاد الأوربي لجانبه الشرقي على حساب دول الجنوب المتوسط، وهذا ما يشكل عائقاً أمام تطوير الفضاء الأورو–متوسطي.

2:العراقيل المرتبطة بتطوير القطاع الصناعي والفلاحي في الدول المغاربية.

وضعت الدول المغاربية مجموعة من الأهداف سعت لتحقيقها من خلال القطاع الفلاحي تتمثل في الاكتفاء الذاتي الغذائي، وتحسين معدلات تغطية الواردات الفلاحية بالصادرات، وزيادة تنويع الصادرات؛ غير أن نتائج السياسة الفلاحية التي طبعت في الدول المغاربية كانت بعيدة عن الأهداف المرجوة الأهداف المرجوة، وذلك بسبب الصعوبات التي كانت تعترض طريقها؛ والمتمثلة في الآتي:

أ- القيود الطبيعية حيث تعاني الفلاحة المتوسطية خاصة المغاربية من عدة مشاكل من بينها؛(المناخ، الجفاف المتواصل، التضاريس الجبلية)

ب-المكانة المخصصة للقطاع الفلاحي في السياسة التنموية، والتخصيص الموازي لهذا القطاع؛ حيث تعاني الدول العربية المتوسطية من التبعية في مجال التمويل بالموارد الغذائية، والاستهلاكية، وكذلك الأدوية، وذلك باللجوء للسوق العالمية بصفة واسعة لتلبية الاحتياجات الاستهلاكية؛ وبالتالي عدم الاهتمام بهذا القطاع؛ حيث أن الحصص المخصصة في ميزانية هذه الدول تميل إلى تطوير القطاع الصناعي ودعمه على حساب تطوير القطاع الفلاحي.

ج- القيود الخارجية.

إن تراجع أسعار المنتوجات الفلاحية في الأسواق العالمية، والرسوم المرتفعة عليها جعلت المنتجات المغاربية تتميز بهشاشتها أمام المنتوجات الفلاحية الأوروبية التي تتمتع بمناعة قوية؛ خاصة أن تصوير سياسة تنموية على المدى البعيد أمراً مستحيلاً([1])؛ وبالتالي فإن إقامة منطقة تجارة حرة في إطار الشركة الأورو- مغاربية، يشمل في حقيقة الأمر الصناعات التحويلية فقط؛ وليس منتوجات الصناعة الاستخراجية، أو السلع الصناعية، بسبب تقدمها في الاتحاد الأوربي ولاتساع السوق واستفادتها من الإنتاج الكبير؛ ليس هذا فحسب فالمشكلة الأخطر أن تحرير تجارة السلع الصناعية الأوربية يحد من إقامة صناعات محلية، ما يترتب عليه ارتفاع البطالة في هذه القطاعات مما يحول دون التقدم الاقتصادي ويعيق التنمية مستقبلاً، كما أن الأقطار المغاربية ستواجه مشكلة صعوبة الاندماج، وتكثيف برامج الخصخصة فيها للاقتصاد المؤسسي فيما بينها وذلك بهدف

[1] - عبدالكريم هشام، قراءة إقتصادية في مؤشرات تفعيل التكامل بين دول المغرب العربي متاح على:
http:www.politics-ar.com/ar/index.php/permalink/la date de consulation:17/01/2019

تحقيق الجودة والنوعية الصناعية المطلوبة التي تشترط الشراكة توفرها عند التصدير إلى أوربا؛ وبالتالي فأن القطاع الصناعي المغاربي يعاني جملة من العراقيل وقفت أمام تطوره لمنافسة المنتوجات الأوربية أهمها ([1]).

1-التبعية للخارج: على غرار القطاع الفلاحي، فإن القطاع الصناعي هو الآخر مرتبط بمجموعة من المتغيرات تتمثل في ارتباط هذا القطاع بالتمويل بالمواد الأولية، ومستلزمات الإنتاج، وقطع الغيار.

2- صعوبة التمويل: أنه من الصعب أن تنجح دولة ما في وضع نسيج صناعي في غياب الموارد المالية؛ فمن الخطورة بما كان ان تعتمد دولة على القروض الخارجية فقط لتمويل المشاريع ذات الحجم الكبير، خاصة في غياب رؤوس الأموال لاسيما، وان الدول العربية المتوسطية مثقلة بالديون فإنها تشكل عائقا كبيراً لتطوير صناعتها، وبالتالي الدخول في الشراكة.

3- عدم التحكم في التكنولوجيا: بالرغم كن الجهود المبذولة من قبل دول جنوب المتوسط العربية منذ استقلاله لتضييق الهوة بينها، وبين الدول المتقدمة؛ الا ان الهوة بينها، وبين الدول المتقدمة مازالت كبيرة، وتزداد اتساعًا نتيجة لعدة أسباب منها([2]) :

أ-عدم قدرة الدول العربية على النهوض بصناعتها ومنافسة الصناعات الاجنبية.

ب-عدم قدرة الدول العربية على الالتحاق بثورات العصر المتمثلة في التكنولوجيا، والمعلوماتية، والاتصالات، وغيرها.

---

[1] – جمال عمورة، منطقة التبادل الحر في ضل الشراكة الأورومتوسطية، أطروحة دكتوراة في العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 2005-2006،ص338-339.

[2] – رقية بلقاسمي، التكامل المغاربي، دراسة في التحديات والآفاق المستقبلية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، تخصص دراسات مغاربية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة خيضر، بسكرة، 2010-2011.

على ما تقدم يمكن القول بأن الاقتصادات العربية المغاربية ظلت مرتبطة بالدول الصناعية الغربية، وقد أدى نمط الصناعة في هذه الدول إلى زيادة الاعتماد على الدول الغربية في استيراد الآلات ، والمعدات، والتكنولوجيا بما في ذلك الخبرة والخدمات الفنية، وكذلك استيرادها حاجاتها الغذائية من هذه الدول بمعنى تبعيتها التكنولوجية، والتقنية، والفنية، والغذائية للخارج حيث أصبحت مشكلة العجز الغذائي هاجس لمعظم الدول المغاربية.

النتائج.

1- إن العلاقات الأورومغاربية هي علاقة غير متكافئة؛ بين تجمع أوروبي يطمع في ممارسة دور عالمي على الساحة الدولية؛ في مواجهة دول صغيرة متفرقة، ومنكفئا على نفسها في معظم الأحوال، وتواجه مشاكل سياسية، واقتصادية، واجتماعية يحاول التجمع الأوروبي حلها وفق صيغة تناسب دوره، وطموحاته، وهذ لا يعبر عن أي شكل من أشكال الشراكة.

2- إن الاتحاد الأوروبي هو من يضع قواعد اللعبة، باعتبار ان الدول المغاربية هي مصدر الخطر الذي يهدد الجانب الأوروبي.

3- إن التجمع الأوروبي لا يسعى لمعالجة أي تهديد؛ إلا إذا كانت مصالحه على المحك.

4- إن التجمع الأوروبي يتعامل مع شركائه الجنوبيين وفقاً لمنطق الوصاية، وليس كشريك سياسي، وأمني، وهذا ما زاد من تنامي ظاهرة الهجرة غير الشرعية، والإرهاب، والجريمة المنظمة؛ بالإضافة إلى الأزمات الإقليمية في المنطقة المغاربية.

5- إن الاندماج غير المتكافئ بين الدول المغاربية، والاتحاد الأوروبي على مستوى الشراكة أنتج أثاراً سلبية، وعوائق لم تكن في الحسبان.

6- إن العلاقات الأورومغاربية هي علاقات تبعية، وتكريس للهيمنة الأوروبية؛ إذ ان الجانب الأوروبي هو من يقترح، ويملك، ويقرر دون مشاركة الدول المغاربية في التصور.

7- إن الشراكة الأورومغاربية بالرغم من النتائج المحققة إلا انها لم ترقى إلى مستوى تطلعات الشركاء.

8- إن الشراكة الأورومغاربية بسبب تركيزها على الجانب الأمني أهملت الجوانب الثقافية، والحضارية، وفشلت في إيجاد حوار مجتمعي، وحضاري، ومعرفي حقيقي بين شعوب ضفتي المتوسط قوامه الإحساس بالتكافؤ، والاعتماد المتبادل بعيداً عن نظرة التعالي المحكومة بإيديولوجية المركز، والأطراف.

قائمة المراجع:

1- توفيق حكيمي، محاضرات في ملتقى العلاقات الأورو- مغاربية، الجزء الثالث، السنة الثانية، تخصص علوم سياسية، جامعة باجي مختار، عنابة، 2009 - 2010،

2- سعيد لاوندي، عملية برشلونة الأورومتوسطية: الواقع و الآفاق والتحديات (القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية،2006(،

3- أبل ماتيتوس، إعادة توجيه السياسة المتوسطية، مقترحات للفترة 1992- 1996،(لندن' مطابع لندن،2003.(

4- شريف بسيوني، الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان،(القاهرة: دار الشروق،2002.(

5- محمد زاهي بشير المغيربي، بحوث وثقافة الديمقراطية والنظام العربي،(ليبيا: المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر،1999.

6- محمد نعمان جلال، مصر العروبة والإسلام وحقوق الإنسان،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1999.(

7- أماني عبدالرحمن صالح،(التطور الديمقراطي في مصر، 2970-1981)، دراسة تحليلية لمتغير القيادة في تجربة مصر الديمقراطية في السبعينيات، رسالة ماجستير غير منشورة، (القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الإقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، 1987.).

8- -عياد كحيلة(محرر)، إلتقاء الحضارات في عالم متغير،(القاهرة:جامعة القاهرة، كلية الأداب، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الإجتماعية،2003)،ص 12.

9- حامد خليل، الوطن العربي والمجتمع المدني، كراسات إستراتيجية،(دمشق: مركز الدراسات والبحوث الإستراتيجية، جامعة دمشق،العدد الأول، السنة الأولى، خريف 2000(،

10- عمرو محمد عبدالرحمن السيد، " العلاقات الأورو متوسطية والتعاون في قضايا التحول وحقوق الإنسان"، القاهرة: المركز الديمقراطي العربي في الديمقراطية وحقوق الإنسان، 2013. متاح علىhttp://democraticas.de/?p=1797:

11- فتيحة يتم، البعد الأمني في مكافحة الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا، مجلة السياسة الدولية، العدد 183، يناير، 2011، .

12- عبدالعالي حرة، حقوق الإنسان من الشراكة الأورو متوسطية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون العام، كلية الحقوق، سلا، 2005-2006.

13- أدريس الكردي، السياسة الأوروبية للأمن والدفاع رؤية جنوبية،رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون الدولي، كلية الحقوق ،سلا،2005-2006.

14- الطيب الشرقاوي، تقديم القانون رقم 02-03،المتعلق بخول وإقامة الأجانب بالمملكة المغربية وبالهجرة غير الشرعية، منشورات جمعية نشر المعلومة القانونية والقضائية، سلسلة الندوات والأيام الدراسية، العدد 1، الطبعة الثالثة، مارس 2007،

15- أحمد يوسف القرعي، "التصور العربي تجاه مواثيق حقوق الإنسان"، السياسة الدولية، (القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، العدد 96،أبريل، 1989(،.

16- عماد جاد،"الإتحاد الأوروبي:تطور التجربة"، السياسة الدولية،(العدد 161، يوليو، 2005).

17- يونس المسكيني، سياسة محاربة زراعة وتهريب المخدرات شمال المغرب، رسالة ماجستير،(الرباط: كلية الحقوق اكدال الرباط، 2010-2011(،

18- حسن نافعة، البناء المؤسسي للاتحاد الأوروبي، السياسة الدولية،(القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، مج 39، العدد 1957، يوليو، 2004(،

19- علي بلحاج، سياسات دول الاتحاد الأوروبي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة،(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى،2005(،

20- أمينة علوش، آليات مكافحة تحويل الإرهاب في إطار الممارسات الدولية الراهنة، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون العام،(الرباط: كلية الحقوق، أكدال الرباط،2005(،

21- محمد عابد الجابري وآخرون، وحدة المغرب العربي،(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1993.(

22- فايز غنام، التعاون الأمني الأورومغاربي، دراسة حالة 5+5،(2001-2011)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات المتوسطة والمغاربية في الأمن والتعاون، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولود معري، تيزي وزو، الجزائر، 2011،

23- كتاب زاهية، الشراكة الأورومغاربية- أبعادها ورهاناتها، أطروحة للحصول على الدكتوراه في القانون الدولي للأعمال، جامعة عبدالحميد بن باديس، مستغانم، كلية الإقتصاد والعلوم السياسية،2018،2019،

24- عبدالكريم هشام، قراءة اقتصادية في مؤشرات تفعيل التكامل بين دول المغرب العربي متاح على:

25- http:www.politics-ar.com/ar/index.php/permalink/la date de consulation:17/01/2019

26- جمال عمورة، منطقة التبادل الحر في ضل الشراكة الأورومتوسطية، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 2005-2006،.

27- رقية بلقاسمي، التكامل المغاربي، دراسة في التحديات والآفاق المستقبلية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، تخصص دراسات مغاربية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة خيضر، بسكرة، 2010-2011.

28- Terrence,R.Guay,the united states and the European union the political Economy of the Relation ship (paris: shef field Academic press,199)p27.

29- winter. Lalan and Schiff Maurice, "Regional and Developmen",the world Bank,1818 H street N.W.Washington.

30- 33-for moresee,king Mohamed vi, cooperation between the European Economic community and the arab Maghreb union, PHD hesis(France:university of nice-Antipolis,1993).

31- pentland Charles, intergrational theary and European in tegrafion(new yourk: the freepess-1973)

الدور الإريتري المرتقب في ظل توازنات القوى بالقرن الأفريقي

إعداد / د. ريم محمد موسى
أستاذ العلوم السياسية المشارك – جامعة بحري (السودان)

مستخلص :

أصبحت إريتريا بحكم موقعها الاستراتيجي المطل على البحر الأحمر والقريب من باب المندب عنصراً فاعلاً في عملية التحالفات الإقليمية في المنطقة ، فبعد توقيع اتفاق السلام بين إثيوبيا وإرتيريا في يوليو 2018م حدثت متغيرات ترتب عليها تشكيل خارطة جديدة لمنطقة القرن الأفريقي ، والتي أفضت إلى إعادة صياغة توازنات القوى في المنطقة . ومن أهم وأبرز ملامح القرن الأفريقي الجديد عودة إريتريا إلى محيطها الإقليمي والدولي كلاعب سياسي مهم في المنطقة بعد رغبتها في القيام بدور إقليمي بارز خاصة بعد سنوات العزلة والتهميش الطويلة التي عاشتها على الصعيدين الأفريقي والدولي .

تضطلع الدراسة بمهام المعالجة المنهجية للدور المرتقب لإريتريا في ظل توازنات القوى بالقرن الأفريقي ، ويأتي ذلك بعد الجهود المتضافرة لصياغة مفهوم جديد للقرن الأفريقي والتي جاءت متزامنة مع مجموعة من المتغيرات الإقليمية والدولية التي تأثرت بها المنطقة . طرحت الدراسة سؤالاً رئيساً يتمثل في : ما الدور المرتقب والفاعل الذي يمكن أن تلعبه إريتريا في ظل توازنات القوى بالقرن الأفريقي؟ . في وجود فرضية أساسية تتمثل في : هنالك عدد من المتغيرات تتيح لإرتريا أن تلعب دوراً فعالاً في منطقة القرن الأفريقي في ظل التوازن الجديد للقوى بالمنطقة ، اعتمد البحث على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي لما استدعته الضرورة لتحليل العلاقة بين المتغيرات وفقاً لمتطلبات منهجية البحث العلمي .

الكلمات المفتاحية : الدور ، إريتريا ، توازنات القوى ، القرن الأفريقي ..

Abstract:

Eritrea, by virtue of its strategic location overlooking the Red Sea and close to Bab al-Mandab, has become an active element in the process of regional alliances in the Horn of Africa. The balance of power in the region. One of the most important and prominent features of the new Horn of Africa Eritrea's return to its surroundings and the international community as a political player in the region, after its desire to play a prominent regional role for the long years of isolation and marginalization that it experienced against its Africa and international friend. The study concerned with a methodological treatment of the expected role of Eritrea in light of the balance of power in the Horn of Africa, and this comes after the new formulation of the concept of the Horn of Africa, which coincided with a set of regional and international variables that affected the region. There is a main question: what is the expected and active role that Eritrea can play in light of the balance of power in the Horn of Africa? In the presence of a basic hypothesis represented in the following: There are a number of variables that allow Eritrea to play an effective role in the Horn of Africa in light of the new balance of the power in the region. The research depends on historical method and the descriptive analytical method.

Key words: The role, Eritrea, The balance of power, The Horn of Africa.

- **أولاً – الطبيعة الجيو سياسية والنظام السياسي في إرتريا :**

تقع دولة إريتريا في منطقة القرن الأفريقي الإقليمية ، تجاورها من الشمال والغرب جمهورية السودان ، ومن الجنوب جمهورية إثيوبيا ، وجيبوتي من الجنوب الشرقي ، تبلغ مساحتها حوالي 121320 كيلو متر مربع ، وإجمالي طول الحدود البرية حوالي 1626 كيلومتر ([1]) . تمتلك مينائي عصب ومصوع على البحر الأحمر ويبلغ طول سواحلها على

[1] أيمن السيد عبد الوهاب ، إرتريا وإشكاليات بناء الدولة والتفاعل مع بيئة إقليمية مضطربة ، المركز العربي للبحوث والدراسات ، أبريل 2016 ، على الموقع www.acrseg.org

البحر الأحمر حوالي 1000كم ، وتمتلك حوالي 126 جزيرة أهمها أرخبيل دهلك وبه حوالي25 جزيرة ، وتتمتع إرتريا بموقع استراتيجي جغرافي مهم ، إذ تقع بمحاذاة أكثر الممرات البحرية ازدحاماً في العالم ، وقد احتفظت إرتريا بالساحل الإثيوبي كله المطل على البحر الأحمر بعد الاعتراف باستقلالها في مايو 1993 ، لذلك حرصت العديد من القوى الإقليمية والدولية على السيطرة على الجزر الإريترية كنقاط ارتكاز وتحكم في المنطقة ([1]).

سكان إريتريا هم مزيج من الهجرات البشرية الحامية والزنجية التي تعرضت لها المنطقة منذ فترات طويلة ، لذلك تتميز بتنوع وتعدد إثني وعرقي ولغوي، إلا أن الدولة تعترف رسمياً بتسع مجموعات عرقية هي : التيغرينية ، تيغري ، بيلين ، ساهو ، بجا ، عفار ، نارا ، كوناما ، رشيدا ، ويتوزع السكان بين ثلاث مجموعات لغوية هي الحامية والسامية والنيلية ، وهنالك تعدد يرتبط بالديانة حيث ينقسم سكان إرتريا الذين يشكلون خمسة ملايين نسمة إلى 55% مسلمين ، 30% من المسيحين الارثوذكس ، 10% مسيحيين كاثوليك ، 3% مسيحيين بروتستانت ، و2% ديانات تقليدية محلية ([2]) .

وتعتبر قومية الأغازية (وهم المتحدثون باللغة الأغازية) حركة يمينية متطرفة تسعى إلى إقامة دولة تيغرينية أرثوذكسية مسيحية في إريتريا وجزء من إثيوبيا ، وتعمق سياساتها العسكرية المناهضة للمسلمين الانقسامات داخل المعارضة الإريترية المتعثرة ، وتكرس الحركة اهتماماً كبيراً لليهود والصهيونية ودولة إسرائيل ويؤكدون على التشابه بين الرؤية الصهيونية لإقامة دولة إسرائيل ورؤيتهم الخاصة لاقامة الدولة الأغازية في إريتريا وأجزاء من إثيوبيا ([3]) .

---

[1] نفس المصدر السابق .

[2] محمد عثمان أبوبكر ، تاريخ إريتريا المعاصر ، القاهرة : المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، 1994 ، ص 175.

[3] عدلان موسى ، تحولات إريتريا تعيد تشكيل خريطة القرن الأفريقي ، مركز التقدم العربي للسياسات ، سبتمبر 2018 ، على الموقع www.arabprogress.org .

شهدت فترة انتهاء الوجود الإيطالي في إريتريا بداية تشكيل الحياة الحزبية في أسمرة ، حيث نشأت عدة أحزاب لها ارتباطات خارجية، تبني بعضها سياسة الاغتيالات مثل حزب الاتحاد مع إثيوبيا الذي أنشاء مليشيات إرهابية عرفت بأسم "الشفتا" أغتالت عدداً من القيادات الوطنية . وتأخذ إريتريا بالنظام الرئاسي القائم على التعددية الحزبية (الشكلية) ووفقاً للدستور فإن الرئيس هو رئيس الدولة والحكومة في ذات الوقت ، ينتخبه المجلس الوطني بأغلبية ثلثي الأعضاء لمدة خمسة أعوام ويعين الرئيس مجلس الوزراء بعد موافقة المجلس الوطني عليه ، وتتولي الجبهة الشعبية للديمقراطية والعدالة حكم البلاد منذ الاستقلال ، ورغم صدور قانون يناير 2001م من جانب اللجنة التشريعية الوطنية تقر بالتعددية الحزبية فإنه لم تتم المصادقة عليه ودخوله حيز النفاذ ([1]) .

تتشكل الحكومة الإريترية من مجلس الدولة الذي يمثل السلطة التنفيذية ، والهيئة التشريعية التي تتكون من مجلس واحد هو المجلس الوطني والذي ينتخب أعضاءه عن طريق الاقتراع الشعبي المباشر لفترة مدتها خمس سنوات . أما الهيئة القضائية تتمثل في المحكمة العليا بجانب المحاكم الإقليمية وشبه الإقليمية والمحاكم القروية .

تشكل قضية التعددية السياسية وعلاقاتها بواقع المعارضة السياسية وحرية تأسيس الأحزاب إحدى التحديات التي تفرض نفسها على قدرة النظام السياسي على استيعاب المتغيرات والتطورات السياسية بعد حوالي أكثر من عشرين عاماً من الاستقلال ، وتعد الجبهة الشعبية للديمقراطية والعدالة بزعامة أسياس أفورقي هي الحزب الوحيد الذي تعترف به الحكومة . وتمثل المعارضة في الخارج الأساس الذي تعتمد عليه العديد من الأحزاب السياسية الإريترية ، ويبرز حزب الشعب الديمقراطي الإريتري الذي يدعو إلى إسقاط نظام أفورقي ويتبنى مبدأ تقاسم الثروة والسلطة ، كما يبرز تيار الإسلام السياسي والذي يستند إلى تيار المعارضة من الإسلاميين الذين يرون أن هناك تهميشاً متعمداً لهم من قبل الحكومة بالقدر الذي يمس حقوقهم كمواطنين ويأتي حزب العدالة والتنمية الإريتري على رأس التيار الإسلامي المعارض في إريتريا .

[1] محمد عاشور مهدي ، دليل الدول الأفريقية ، القاهرة : معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، ص 207.

يعاني المجتمع المدني في إريتريا من مشكلات مرحلة التكوين وهو مازال في مرحلة النشأة وهو ما تعكسه طبيعة علاقته بالدولة ، وكثير من التقارير الدولية توضح انتهاكات النظام الإريتري لحقوق الإنسان استناداً إلى مواصلة فرار الكثير من المواطنين من إرتيريا ، واستمرار فرض الخدمة الوطنية الالزامية ، بجانب القيود المفروضة على الحق في حرية التعبير والدين ، والاحتجاز التعسفي دون تهمة أو محاكمة هو القاعدة العامة لآلاف سجناء الرأي . وهناك عدد من العوامل التي أسهمت في حصر دور المجتمع المدني في مجالات محددة وأدوار بسيطة مثل : الخوف من تنامي الدور السياسي للمجتمع وتزايد علاقته الارتباطية مع القوى السياسية من ناحية ، وتنامي علاقة الارتباط بين منظمات المجتمع المدني الإريتري ومنظمات المجتمع المدني العالمي من ناحية أخرى ، والنفاذ والضغط على النظام السياسي من خلال بوابة المجتمع المدني لا سيما ما يتعلق بسلوكه تجاه مراعاتها للنهج الحقوقي وما قد يترتب عليه من تدخل دولي في الشؤون الإريترية من ناحية ثالثة .

يعتبر التعدين والنفط من أهم عناصر الاقتصاد في إريتريا ولكن استغلالهما محدوداً للغاية وتعمل الحكومة من هذا المنطلق على تطوير صناعة النفط ، ويعتبر القطاع الخدمي من أهم القطاعات الإنتاجية في الاقتصاد الإريتري حيث يمثل 54% من الناتج المحلي الاجمالي ، يليه القطاع الصناعي الذي يمثل 29% من الناتج المحلي الإجمالي ، ثم أخيراً القطاع الزراعي الذي يمثل 17% من الناتج المحلي الإجمالي ([1]) .

- **ثانياً – المصالحة الإقليمية الإريترية – الإثيوبية :**

تميزت الدبلوماسية الإثيوبية في عهد آبي أحمد بالنشاط تحت زمام تسوية كافة النزاعات والصراعات بين دول المنطقة وبين أثيوبيا ودول جوارها الإقليمي ، فقد كان آبي أحمد يسعى لتحقيق مشروع إقليمي في القرن الأفريقي بجانب الإصلاح الداخلي الذي يستهدف من خلاله تعظيم الدور والمصالح الإثيوبية في القرن الأفريقي من خلال ما

[1] أيمن السيد عبد الوهاب ، مصدر سابق .

يعرف بدبلوماسية "تصفير المشكلات" مع دول الجوار وفتح صفحة جديدة مبنية على التعاون وتعظيم المصالح المشتركة ، وفي ظل هذه التوجهات تم توقيع مبادرة السلام الإثيوبية – الإريتيرية بين الدولتين في يوليو 2018م وتضمن عدة نقاط مهمة كما يلي :([1])

- إنهاء حالة الحرب بين البلدين وفتح حقبة جديدة من السلام والصداقة .
- السعي نحو إقامة تعاون وثيق بين البلدين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وأمنياً بما يخدم المصالح المشتركة للشعبين الإثيوبي والإريتري .
- استئناف نشاط وحركة التجارة والنقل والعلاقات الدبلوماسية بين البلدين .
- تنفيذ قرارات عودة بادمي إلى إريتريا .
- السعي المشترك نحو ضمان السلام والتنمية والتعاون الإقليمي في المنطقة .

سمحت بنود الإتفاق لإريتريا بتحقيق شروط السلام مع إثيوبيا والتي جاء في مقدمتها تطبيق إثيوبيا لقرار ترسيم الحدود بين البلدين الصادر من اللجنة الدولية في أبريل 2002 ، والذي يقضي باعادة منطقة بادمي إلى السيادة الإريترية ، إضافة إلى سحب القوات الإثيوبية من الأراضي الإريترية وهي شروط تسببت في استمرار التوتر خلال السنوات الماضية وحرمت الطرفين من الجلوس إلى طاولة المفاوضات من أجل تسوية القضايا العالقة بينهما([2]) .

هذه التطورات كشفت عن تصاعد أدور بعض القوى الإقليمية والتي جاءت الأمارات والمملكة العربية السعودية في مقدمتها ، حيث تولت الأمارات الوساطة من أجل تقريب وجهات النظر بين الإثيوبيين والإريتريين ، وبرزت التحركات الأمارتية قبل وأثناء عملية المصالحة من خلال زيارة محمد بن زايد إلى إثيوبيا ، واستضافت القاعدة الأمارتية في ميناء عصب بإريتريا لاجتماع ما قبل المحادثات بين مسؤولي البلدين ، كما

[1] تيمور خان ، المصالحة الإثيوبية – الإريترية وتنامي النفوذ الإقليمي للأمارات العربية المتحدة ، واشنطن : معهد دول الخليج العربي ، 2018 ، على الموقع www.agsiw.org

[2] أحمد عسكر ، مستقبل الدور الإريتري في القرن الأفريقي في ضوء التحولات الراهنة ، قراءات أفريقية ، مايو 2019، على الموقع www.qiraatafrican.com

استضافت السعودية الرئيس الإريتري أسياسي أفورقي ورئيس الوزراء الإثيوبي في مدينة جدة أسفر عن توقيع اتفاق سلام بين الطرفين في سبتمبر 2018 ، ويأتي ذلك في إطار رغبة أماراتية – سعودية في تعزيز حضورهما في منطقة القرن الأفريقي لما تتمتع به المنطقة من أهمية استراتيجية كبرى في أجندة الدولتين اللتين تسعيان لتعظيم مصالحهما في المنطقة .

من الواضح أن المصالحة الإثيوبية– الإريترية لا تعكس اتجاهات تصالحية جديدة لإثيوبيا في الإقليم بقدر ما تعكس مصالح دولية وإقليمية ترسم توازنات قوى جديدة في مواجهة تمدد كل من إيران وتركيا في منطقة البحر الأحمر منذ مطلع الألفية الراهنة ، وبالتالي يبرز هنا الدور الأمريكي والخليجي في رعاية المصالحة بين أديس أبابا وأسمرة، وذلك سعياً وراء قوة بحرية إثيوبية تكون كابحاً للتمدد الإيراني البحري المقلق لأمن الخليج .

وتتمثل بعض الجوانب الايجابية المتوقعة من المصالحة الإريترية مع إثيوبيا في([1]) :

- العوائد الاقتصادية المترتبة على استخدام الموانئ الإريترية لصالح إثيوبيا .
- التقارب مع إثيوبيا من ناحية استراتيجية يمثل مدخلاً مهماً لإبعاد شبح الأمبراطورية العثمانية التي تقلق التيجراي الإريتريين المسيحيين الذين يعتبرون تركيا مهدداً رئيسياً لهم.

وامتداداً للمصالحات الإريترية مع دول جوارها الإقليمي ، وقعت إريتريا ممثلة في رئيسها أسياسي أفورقي مذكرة تفاهم مع الرئيس الصومالي حسن شيخ محمود في أسمرة في يوليو الماضي2022 ، حيث برز الدور الإريتري في الشأن الصومالي إبان التدخل العسكري الإثيوبي في الصومال عام 2006–2009 م واستضافة أسمرة مجموعات متفرقة من الكيانات والحركات الصومالية المسلحة التي رفضت التوغل العسكري الإثيوبي ، وعاد هذا

[1] أماني الطويل ، هندسة جديدة لتوازنات القوى في القرن الأفريقي، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، يوليو 2018 ، على الموقع www.acpss.ahram.org.eg

الدور ضمن مبادرة السلام الإقليمية التي رعاها الرئيس الإثيوبي آبي أحمد عام 2018م . نصت أهم بنود التفاهم على ([1]) :

- تعزيز التعاون الدبلوماسي والسياسي .
- التكامل الاقتصادي .
- تمتين العلاقات التاريخية بين الدولتين .
- التعاون الدفاعي والأمني حفاظاً على أمن واستقرار المنطقة .

ومن الواضح أن توقيع اتفاقية جديدة بين أسمرة ومقديشو حسب وجهة نظر العديد من الباحثين والأكاديمين، وهي تمهد إلى تعزيز العلاقات والقنوات الدبلوماسية بفتح السفارات والقنصليات بين الدولتين، كما تمهد الطريق إلى تمتين العلاقات والتقارب بين دول القرن الأفريقي ، بجانب أن مذكرة التفاهم هذه تأتي في ظل حراك صومالي لإجراء مصالحات داخلية وخارجية لدفع عملية الاستقرار السياسي محلياً إلى الأمام ، وتأكيداً على شعار الرئيس حسن شيخ محمود الذي يتمحور حول (صومال متصالح داخلياً ، ومتصالح مع العالم) .

- **ثالثاً – التنافس الإقليمي والدولي حول إريتريا في القرن الأفريقي :**

اكتسبت القارة الأفريقية بعداً استراتيجياً متميزاً ومتزايداً في السنوات الماضية على الصعيدين الإقليمي والدولي كونها تشكل خزان العالم الاستراتيجي من المواد الطبيعية والمواد الأولية التي يشتد الضغط عليها في ظل التنافس الشديد بين الدول الكبرى المستهلكة لهذه الموارد ، وبصورة خاصة تميزت منطقة القرن الأفريقي الإقليمية بموقع جيوسياسي واستراتيجي فريد مما جعل المنطقة تفرض نفسها على دائرة الاهتمام الإقليمي والدولي بسبب تحكم المنطقة في طرق التجارة الدولية وطرق نقل النفط من الخليج العربي لأوروبا الغربية والولايات المتحدة ، مما يعكس بدوره أهمية التنافس الإقليمي والدولي على

[1] الشافعي ابتدون، مذكرة تفاهم صومالية إرترية– إعلان نوايا أم اتفاق قابل للتنفيذ؟ ، يوليو 2022 ، على الموقع www.alaraby.co.uk

إريتريا ولما هو متوقع للدور الإريتري الفاعل في المنطقة وذلك من أجل تحقيق المصالح الاستراتيجية لهذه الدول الكبرى([1]) .

أصبحت إريتريا بحكم موقعها الإستراتيجي المطل على البحر الأحمر والقريب من باب المندب باليمن عنصراً فاعلاً في لعبة التحالفات الإقليمية في المنطقة ، فأصبح البحر الأحمر أولوية بالنسبة لدول المنطقة في أعقاب العمليات العسكرية باليمن ، وعليه يمكن فهم مطامع الأمارات في إريتريا حيث سعت الأمارات إلى محاولة إيجاد موضع قدم في المنطقة عبر توقيع عقد إيجار للاستخدام العسكري لميناء عصب والمطار الرئيسي لمدة ثلاثين عاماً على خلفية الخلاف بين جيبوتي والأمارات حول استغلال ميناء جيبوتي، وهو ما ساعد في تحول المنطقة إلى قاعدة عمليات رئيسية للقوات الأماراتية المشاركة في الحرب ضد التمرد الحوثي في اليمن .

أما الإدارة الأمريكية فأنها سعت لإيجاد بديل عن دولة جيبوتي التي سمحت للصين بإقامة قاعدة عسكرية على بضع كيلومترات من القاعدة الأمريكية فيها(أقامت الصين هذه القاعدة في 2017 لدعم القوات البحرية للجيش الصيني) لذلك كان التفكير في دولة إريتريا ، إضافة إلى أن الولايات المتحدة تسعى لإقامة تحالف إقليمي في المنطقة على غرار التحالف المزمع انشاؤه في منطقة الشرق الأوسط الإقليمية من خلال بعض الدول العربية لمواجهة النفوذ الإيراني في المنطقة ، لذا كان الهدف الأمريكي إعادة صياغة نظام إقليمي في القرن الأفريقي هدفه تطويق إيران في أكثر من اتجاه إضافة إلى منافسة وتحجيم النفوذ الصيني المتنامي في المنطقة والذي يمثل جزءاً رئيسياً من طريق الحرير الذي تستهدفه بكين ، ويأتي ذلك وفقاً للاستراتيجية الأمريكية التي أصدرتها إدارة الرئيس السابق دونالد ترامب في ديسمبر 2018 ([2]) .

---

[1] ياسر قطيشات ، التنافس الإقليمي والدولي في القارة السمراء – القرن الأفريقي نموذجاً ، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية ، فبراير 2020 ، على الموقع www.politics-dz.com

[2] عدلان موسى – مصدر سابق .

شكلت المبادرة الإثيوبية الإريترية فرصة ذهبية لواشنطن في إعادة إحياء شراكة جديدة بين حليفين قديمين وإنهاء حالة من العداء بينهما طوال السنوات الماضية، لما تمثله من تعزيز للدور الإثيوبي باعتباره الحليف الأبرز للولايات المتحدة في المنطقة ، ومحاولة استعادة قنوات الاتصال بين واشنطن وأسمرة في ظل تنامي التنافس الدولي على المنطقة وما تشهده من تواجد لبعض القوى الدولية على رأسها الصين التي تقوم بعدد من المشروعات في إريتريا على سبيل المثال الإستثمار في الطاقة الشمسية ودعم وإنارة العاصمة أسمرة ، وكذلك روسيا التي تعمل على تعزيز العلاقات مع النظام الإريتري عبر البحر الأحمر ، وهذا بدوره يعد ملمحاً بارزاً من ملامح القرن الأفريقي الجديد بعد عملية المصالحة الإقليمية .

أما روسيا فهي تسعى لإنشاء قاعدة بحرية لوجستية في إريتريا ، تليها استثمارات في البنية التحتية وقطاع الطاقة . ومن المرجح جداً أن تحاول روسيا الدخول في منافسة بحرية مع الولايات المتحدة الأمريكية والصين وفرنسا في البحر الأحمر وذلك لبناء مكانتها كقوة عالمية ، فأحد أهداف روسيا هو إنشاء قاعدة عسكرية وميناء بحري في إريتريا ، كما أن مينائي مصوع وعصب يحتلان نقاطاً استراتيجية على طول البحر الأحمر ([1]).

تدخل ألمانيا أيضاً في سباق التنافس الدولي على إريتريا ، حيث كشفت بعض التقارير المحلية أنه تمت زيارة لوزير التنمية والتعاون الاقتصادي الألماني للعاصمة الإريترية في أغسطس 2018م أسفرت عن إبرام اتفاق لإنشاء ميناء بحري شمال مدينة عصب يخصص لنقل البضائع الإثيوبية والجنوب سودانية وخدمات أخرى .

إيطاليا كان لها موضع قدم في خارطة التنافس الدولي على إريتريا ، حيث زار نائب وزير الخارجية الإيطالي العاصمة أسمرة في ديسمبر 2018م بهدف دعم جهود السلام والتطبيع بين إريتريا وإثيوبيا ، وأعلنت دعمها تشييد سكة حديدية بين أسمرة وأديس

[1] حمدي عبد الرحمن حسن ، الصومال وإعادة الصياغة الجيو استراتيجية للقرن الأفريقي ، يوليو 2022 ، على الموقع www.trendresearch.org

أبابا من خلال دعم دراسة الجدوى الخاصة بالمشروع المقرر أن يمتد طوله إلى (706) كيلومتر بين العاصمتين ([1]) .

- **رابعاً – الدور الإريتري المرتقب وتوازنات القوى في منطقة القرن الأفريقي :**

واجهت إريتريا بعد الاستقلال كثيراً من المشكلات مرتبطة إلى حد كبير ببيئة إقليمية يغلب عليها الطابع الصراعي والتنافسي ، الأمر الذي ساهم في دخول إريتريا سريعاً في العديد من الصراعات مع جيرانها لتثبيت الدولة من جانب وبحثاً عن دور إقليمي من جانب ثان ، والحرص على دور فاعل في التوازنات الإقليمية من جانب ثالث . وعاشت أسمرة فترة عزلة إقليمية ودولية خلال العقدين الماضيين بسبب الصراع والنزاعات في علاقات إريتريا مع دول جوارها الجغرافي ، فكان النزاع الحدودي بين إريتريا وإثيوبيا بجانب النزاع مع جيبوتي واليمن ، فضلاً عن حالة التوتر في العلاقات مع السودان في كثير من المواقف ، وإتهام الصومال للنظام الإريتري بمساندة حركة شباب المجاهدين مما أدى إلى تعقيد العلاقات بين البلدين .

جاء اتفاق السلام مع إثيوبيا بمثابة المنقذ لإريتريا في ظل تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية التي تشهدها إريتريا منذ سنوات ، فاستطاع الرئيس الإريتري من خلال اتفاق السلام إرجاع منطقة بادمي المتنازع عليها مع إثيوبيا مما عزز ذلك موقف أفورقي الداخلي في ظل المعارضة الشديدة له وفك العزلة الإقليمية والدولية المفروضة على أسمرة فترة طويلة ، وبدوره سيفتح المزيد لكثير من الاستثمارات والمشروعات الأجنبية بما يساهم في إنقاذ الاقتصاد الإريتري ، ويسمح للنظام الإريتري بحرية الحركة والإتصال على الصعيدين الإقليمي والدولي بما يحقق رفع العقوبات المفروضة على إريتريا من قبل الأمم المتحدة وقد نجحت إريتريا في ذلك بعد صدور قرار مجلس الأمن الدولي بهذا الخصوص في نوفمبر 2018 م.

[1] أحمد عسكر ، مصدر سابق .

وعلى ضوء التحولات التي شهدتها منطقة القرن الأفريقي والتي من أبرزها الأزمة الداخلية في إثيوبيا ، والإطاحة بنظام الرئيس البشير في السودان إثر ثورة ديسمبر المجيدة في أبريل 2019 ، وتصاعد التنافس الدولي والإقليمي في القرن الأفريقي لا سيما التنافس الأمريكي الصيني ، فضلاً عن تصاعد التوتر بين الولايات المتحدة وإيران وانعكاساته على أمن واستقرار القرن الأفريقي والبحر الأحمر مما يسهم في إعادة ترسيم خارطة التحالفات وتوازنات القوى في المنطقة ، وهو ما جعل الرئيس الإريتري يسارع بعودة أسمرة للعب دور إقليمي بارز لتكون قوة سياسية فاعلة في جيوسياسة القرن الأفريقي الجديد .

على الصعيد الإقليمي ، يهدف الرئيس أفورقي نحو الانفتاح السياسي وتعزيز علاقاته مع دول الجوار الجغرافي من خلال توقيع إتفاقيات تعاون وشراكات مختلفة وذلك بهدف إضفاء شرعية سياسية لنظامه إقليمياً ودولياً ، بجانب الظهور كقوة إقليمية مع إثيوبيا في المنطقة فقد نشط الحراك الدبلوماسي الإريتري بصورة ملحوظة وتوالت الزيارات بين المسؤولين الإريتريين ونظرائهم من دول الجوار ، فحرصت إريتريا على لعب دور دبلوماسي إقليمي في المنطقة لحل الأزمات وعلى ضوء ذلك قامت إرتريا بالموافقة على الانضمام للهيئة الحكومية للتنمية (IGAD) وتحمل مسؤولياتها في مجموعة شرق أفريقيا .

قام وزير الخارجية الإريتري بزيارة رسمية إلى السودان بعد سقوط نظام البشير في تطور جديد على صعيد العلاقات السودانية الإريترية التي شهدت توترات عديدة أثناء النظام السابق ، وعليه تم فتح قنوات إتصال جديدة مع الحكومة الانتقالية في السودان بعد البشير وإعادة فتح الحدود المغلقة بين البلدين منذ فبراير 2018 .

وتنظر إريتريا إلى الصومال باعتباره ساحة مهمة لتعزيز دورها الإقليمي كطرف فاعل في القرن الأفريقي حيث توالت الزيارات الفاعلة بين مسؤولي البلدين خلال الفترة السابقة ، وأشارت بعض التقارير إلى موافقة أفورقي على إرسال جنود إريتريين لدعم الحكومة الصومالية في إطار التفاهمات بين الأطراف الثلاثة (إثيوبيا وإريتريا والصومال) ، وفي ذات الوقت تعمل إريتريا على تطوير علاقاتها بإقليم أرض الصومال حيث تعمل

إريتريا على تعطيل التقارب السياسي بين الصومال وجيبوتي والضغط على الرئيس الجيبوتي إسماعيل جيلة بتغيير موقفه بشأن النزاع الحدودي مع إريتريا ([1]) .

ترغب إريتريا في سبيل استعادة دورها الإقليمي باختراق المنظمات الدولية واستعادة مكانتها في تلك المنظمات وذلك بمساعدة ودعم بعض القوى الإقليمية والدولية ، فقد قدمت الحكومة البريطانية مشروع قرار أمام مجلس الأمن ينص على رفع حظر استيراد الأسلحة لإريتريا ورفع تجميد الأصول وغيرها من العقوبات التي كانت مفروضة عليها بناء على قرار مجلس الأمن الدولي رقم (1907) الصادر في عام 2009 تحت الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة ، ونجح كذلك النظام الإريتري في الحصول على مقعد في مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة في أكتوبر 2018 ضمن المقاعد الخمسة المخصصة لأفريقيا بالرغم من السجل السيء للنظام الإريتري في مجال حقوق الإنسان .

على الجانب الاقتصادي تمتلك إريتريا مقومات اقتصادية جيدة والعديد من الموارد والثروات الطبيعية ، فضلاً عن موقعها على البحر الأحمر ، بجانب امتلاكها لبعض المؤاني البحرية أبرزها ميناء عصب ومصوع ، وعليه تعمل من خلال تنشيط هذه الموانئ لجذب الكثير من الاستثمارات الأجنبية إضافة إلى لعب دور فاعل في عملية التكامل الإقليمي في المنطقة بما ينعكس إيجاباً على الأوضاع الاقتصادية ومشروعات التنمية والبنية التحتية في الداخل الإريتري. وشهدت إريتريا خلال عام 2019 نمواً ثابتاً نتيجة الاستثمارات في قطاعي التعدين والصناعات الاستخراجية ، وتراوح معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي السنوي بين 4-5% بين 2019 و2024 وذلك بشهادة المؤسسة الأفريقية للتمويل ، كما أعلنت مؤسسة التمويل الأفريقية (AFC) التحاق إريتريا بالمؤسسة لتكون العضو رقم (24) فيها بعد أن صادق الرئيس الإريتري على القرار في نوفمبر 2019 ([2]).

---

[1] نفس المصدر السابق .

[2] . إرتريا صفحة جديدة تجاه الريادة والانفتاح ، ديسمبر 2019 ، شبكة العين الإخبارية على الموقع www.al-ain.com

- **خامساً – الدور الإريتري الفاعل في القرن الأفريقي ..رؤية مستقبلية :**

يتضح في الوقت الراهن أن هنالك تراجعاً ملحوظاً في القبضة الأمنية لنظام الرئيس أفورقي عكستها بعض الدلالات مثل رفض بعض قيادات الجيش الإريتري لأفورقي أثناء زيارته إلى إثيوبيا ، ثم صدور كتاب (إريتريا وطني) للوزير السابق برهاني أبرهي الذي سلط الضوء على جرائم النظام . وهناك اتجاهان لتفسير تلك التطورات في الداخل الإريتري :

1. أن تكون هنالك بعض التحركات المعارضة لنظام أفورقي داخل الجيش الإريتري ، وبالتالي يتجنب الرئيس الإريتري أي تصعيد مع المعارضة الداخلية لتجنب إثارة موجة من الاحتجاجات التي قد تستدعي تدخل الجيش وإمكانية تنحيه .
2. ضغوط خارجية من قوى دولية وإقليمية على نظام أفورقي للتخفيف من القبضة البوليسية تجنباً لانفجار الوضع الداخلي ، وذلك لبقاء النظام الذي تحتاجه تلك القوى في الفترة المقبلة بعد تمرد جيبوتي .

هناك العديد من الفرص التي تتيح لإريتريا المضي قدماً في لعب دور إقليمي فاعل في منطقة القرن الأفريقي تتمثل في الاستفادة من التحولات المحورية التي تشهدها المنطقة عقب عملية المصالحة الإقليمية بين إثيوبيا وإريتريا كما يأتي :

- يمكن للرئيس أفورقي استغلال حالة التدافع من قبل القوى الدولية نحو إريتريا في تعزيز علاقاته مع تلك القوى ، وطلب مساندته لها في الانضمام للمنظمات الدولية وفي التصدي للانتقادات الدولية التي توجه لسياساته الدخلية خاصة في مجال حقوق الإنسان والديمقراطية ، إضافة إلى تسهيل دخول الستثمارات الأجنبية إلى إريتريا وتطوير البنية التحتية .
- يمكن الانخراط في تسوية بعض القضايا والنزاعات العالقة من خلال الانفتاح الإقليمي لإريتريا ، سواء في إطار العلاقات الثنائية ، أو تحت مظلة إقليمية من خلال الاتحاد الأفريقي أو الإيقاد لخلق دور إقليمي قوي وفاعل في المنطقة .

وحتى تتمكن إريتريا من لعب دور فاعل في المحيط الإقليمي وفقاً للمتغيرات التي حدثت في البيئة الإقليمية ، عليها تبني سياسة داخلية تعمل على تحقيق التكامل السياسي القومي والوحدة الوطنية والقضاء على الحركات المتمردة والمعارضة المسلحة والحروب الأهلية ، وسياسة خارجية ذات محددات خاصة تقوم على تحديد طبيعة العلاقة مع الدول الكبرى المتنافسة على ثروات القرن الأفريقي وتحجيمها في التدخل في كل ما يتعلق بالشأن الداخلي ، خاصة أن العديد من الدول الكبرى مثل الولايات المتحدة وإسرائيل انحازت للدور الإثيوبي مما كان له كبير الأثر في تهميش إريتريا التي كانت في لحظة الاستقلال مؤهلة للعب دور إقليمي رائد في المنطقة ، بجانب التعاون مع دول الجوار الجغرافي في مجالات التنمية الاقتصادية والبنى التحتية وربط تلك التحركات بتصورات واضحة لعلاقاتها مع تلك الدول كسبيل لدعم السلام والاستقرار بالمنطقة .

على إريتريا كذلك طرح صيغ تعاونية مع دول الشرق الأوسط ودول القرن الأفريقي من خلال المنظمات القارية والدولية وحرصها على عضويتها في هذه المنظمات مثل الاتحاد الأفريقي والأمم المتحدة وحركة عدم الانحياز ومجموعة دول أفريقيا والكاريبي والمحيط الهادي . كذلك على إريتريا بناء جسر للتواصل مع أوروبا والعالم العربي ودول حوض النيل خاصة أن تغير موازين القوى بين دول حوض النيل أسهم في محاصرة الدور الإريتري إقليمياً لا سيما مع توافق وانحياز العديد من القوى الإقليمية والدولية لسياسات وطموح إثيوبيا إقليمياً .

وعليه يمكن لإريتريا تعزيز دورها الإقليمي والدولي خلال الوقت الراهن والمقبل من خلال الانخراط في التعامل مع القضايا الأفريقية المهمة ، والتعاطي بشكل جيد مع عدد من الملفات التي تتقاطع مع اهتمامات واستراتيجيات القوى الدولية الكبرى لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي ، وعلى رأسها ملفات الإرهاب والهجرة غير الشرعية وأمن البحر الأحمر .

وفي المقابل هنالك تحديات محتملة تواجه صعود الدور الفاعل لإريتريا في المنطقة من شأنها التأثير على التطورات الإيجابية التي تعيشها المنطقة منذ توقيع إتفاق السلام مع إثيوبيا مما يهدد أمن واستقرار المنطقة كما يلي :

أولاً : تظل شخصية الرئيس الإريتري مثار جدل بالنسبة للكثيرين مما يدفعهم إلى التنبؤ بتراجعه عن إتفاق السلام مع إثيوبيا في أي وقت في حال أنه أحس عدم حصوله على مكتسبات ترضي غروره ، خاصة أن إريتريا تعتبر دولة الرجل الواحد وليست دولة مؤسسات.

ثانياً : إنفلات الأوضاع الأمنية في إثيوبيا واستمرار الأزمات الداخلية قد تدفع قومية التيجراي إلى محاولة زعزعة إتفاق السلام بين البلدين ، وفي ظل اقتناع المسؤوليين الإريتريين بأن أبي أحمد لا يسيطر على زمام الأمور([1]) .

يمكن القول إن المتغيرات الراهنة تعكس الاتجاه إلى صياغة نظام جديد في منطقة القرن الأفريقي ، فالتنافس الدولي في المنطقة فتح الأعين على أفكار جديدة لتكامل الأمن القومي لدول المنطقة وعلى ذلك جاء اتفاق السلام الإقليمي في المنطقة حيث حقق مكتسبات للطرفين على المستوى الإقليمي والدولي فضلاً عن الدعم الإقليمي والدولي الذي حظي به الإتفاق من أجل أمن واستقرار المنطقة ، الأمر الذي يمكن معه التأكيد على عودة الدور الإقليمي لإريتريا في منطقة القرن الأفريقي خلال الوقت الراهن .

قائمة المراجع :

1. أيمن السيد عبد الوهاب ، إرتريا وإشكاليات بناء الدولة والتفاعل مع بيئة إقليمية مضطربة ، المركز العربي للبحوث والدراسات ، أبريل 2016 ، على الموقع www.acrseg.org
2. محمد عثمان أبوبكر ، تاريخ إريتريا المعاصر ، القاهرة : المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، 1994 .
3. عدلان موسى ، تحولات إريتريا تعيد تشكيل خريطة القرن الأفريقي ، مركز التقدم العربي للسياسات ، سبتمبر 2018 ، على الموقع www.arabprogress.org .

[1] جاءت هذه التصريحات من قبل مستشار الرئيس الإريتري يماني قبراب خلال مشاركته في اجتماع مع الجالية الإريتريه في العاصمة السعودية الرياض في أبريل 2019

4. محمد عاشور مهدي ، دليل الدول الأفريقية ، القاهرة : معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، 2007.
5. تيمور خان ، المصالحة الإثيوبية – الإريترية وتنامي النفوذ الإقليمي للأمارات العربية المتحدة ، واشنطن : معهد دول الخليج العربي ، 2018 ، على الموقع www.agsiw.org
6. أحمد عسكر ، مستقبل الدور الإريتري في القرن الأفريقي في ضوء التحولات الراهنة ، قراءات أفريقية ، مايو 2019، على الموقع www.qiraatafrican.com
7. أماني الطويل ، هندسة جديدة لتوازنات القوى في القرن الأفريقي، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ، يوليو 2018 ، على الموقع www.acpss.ahram.org.eg
8. الشافعي ابتدون ، مذكرة تفاهم صومالية إرترية–إعلان نوايا أم اتفاق قابل للتنفيذ؟ ، يوليو 2022 ، على الموقع www.alaraby.co.uk
9. ياسر قطيشات ، التنافس الإقليمي والدولي في القارة السمراء – القرن الأفريقي نموذجاً ، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية ، فبراير 2020 ، على الموقع www.politics-dz.com
10. حمدي عبد الرحمن حسن ، الصومال وإعادة الصياغة الجيواستراتيجية للقرن الأفريقي ، يوليو 2022 ، على الموقع www.trendresearch.org .
11. إرتريا صفحة جديدة تجاه الريادة والانفتاح ، ديسمبر 2019 ، شبكة العين الإخبارية على الموقع www.al-ain.com

النخب واستخدام القبيلة في اوطاننا ... مقاربات من واقع الحال

اعداد/ د. ادريس همد ادم ابراهيم

مدير مركز البحر الاحمر للتنمية والبحوث لندان

ملخص:

ارتبطت نظرية النخبة بالمجال السياسي وتفسير ونقد الأيدولوجيات التي ظهرت في بداية تبلورها في اوروبا في القرن التاسع عشر ، وكان لأهم رواد نظرية النخبة الاوائل مواقف مناصرة للفاشية في إيطاليا، أو بمواقفهم الجذرية الرافضة للتفسيرات الليبرالية، والتنبؤات الماركسية، وكذا العمل على اطار وبناء إطار نظري منافس للنظرية الماركسية التي اخذت حيزا واسعا في اطروحات الفلاسفة الالمان في ذلك الوقت بشكل أثّرَ على افتراضاتها وتعميماتها، ثم تخلي روادها المحدثين عن النقد المحافظ للإيديولوجيات، وهو الامر الذي فتح آفاقا واسعة أمام انتشار هذه النظرية، وتوظيفها لدراسة الأنظمة السياسية، لاسيما بعد تراجع المقاربات القانونية والمؤسساتية بعيد الحرب العالمية الثانية، وسعي علماء السياسة والمؤسسات البحثية في الدول الغربية إلى بناء مقاربات، وتطوير نظريات، قادرة على تفسير دول العالم الثالث او ما يطلقون عليها ب(الدول النامية) وخصوصياتها([1]).

[1] - احمد بلا طالب باحث في العلوم السياسية والتواصل السياسي – جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء - دراسة منشورة في موقع بوابة علم الاجتماع 20 فبراير 2020م.

The paper sheds light on the elites in the leadership of the societies in our region. We took the example of Eritrea as a model for that. The paper stood on the suspicions between neighboring societies, dropping direct examples through what some writers dealt with in this regard, and it came to the conclusion that what we called the elites were unable to play a role A pioneer in the major transformations facing societies in their stages of development and for factors related to the social and economic development of their societies, which affected their thinking and consequently their performance in the leadership of society.

عرف معجم المعاني الجامع النخبة على انهم المختارون من المجتمع الذين لهم مؤهلات معينة. والنخبة في قاموس الكل وهو قاموس عربي عربي فيعرفها على انها مجموعة غالبا ما تكون صغيرة ومنتقاة بدقة وتمتاز بالثروة أو التكوين والثقافة أو التدريب أو المركز الاجتماعي أو السلطة السياسية إلى غير ذلك. من هنا يمكننا القول تبارت العديد من الاقلام في توصيف ما اسمتهم بالنخب في اوطاننا منطلقين من طبيعة التحولات التي شهدتها منطقتنا خلال العقود الماضية التي تلت ظهور حركات التحر الوطني وحالة المد الثوري الذي اخذ اشكالا مختلفة، وأوغلت هذه الاقلام في ايجاد المبررات للاخفاقات والانكسارات المتكررة التي وقعت فيها هذه الفئة من الناس ، واوجزت جل تبريراتها في التطور الاجتماعي الذي مازال في خطواته الاولى في معظم شعوب اقطارنا وهو تبرير قد يكون صحيحا الى حد ما ولكن التفسير المنطقي في تقديرنا يرجع الى عوامل تراكمية في العقلية المسيطرة والتفكير الذي لايبرح مكان النمو الزهني التقليدي ، وعلى النقيض من ذلك فئة اخرى من حاملي الاقلام أيضا ترى لا وجود للنخب اصلا، لانعدام مقومات ذلك على الارض وانما ما نراه لا يعدو اكثر من هوامش على قارعة

الفشل المتكرر الذي يجتر ما صنعه السابقون دون ان يكون لهم ابداعهم الخاص ، ويذهب أصحاب هذا الرأى الى ان ما يطلقون عليهم النخب ما هم الا طبقة وسطية في المجتمع اخذت على عاتقها تقدم المشهد معتبرة نفسها البديل الطبيعي الذي عليه ان يقود المجتمع نحو افاق المستقبل باعتبارهم نتاج مخلفات الاستعمار الابيض الذين ورثوا منه ما يعرف الان بالدولة القطرية ، وفي احسن الاحوال ولجوا الى الرآي العام في مرحلة التحرر الوطني دون مرتكزات فكرية ناضجة، ولم تكن تمتلك تلك الفئة مقومات قيادة المجتمع فكريا او بالاحرى ثبات فكري، بالاضافة الى انها تنشط وسط مجتمع ورث تركة التخلف والجهل اثقلت كاهله واعاقت نموه الطبيعي المتمثل في التطور الاجتماعى، ونقصد هنا بالتطور الاجتماعي النمو الطبيعي للتحولات التي يجب ان يمر بها المجتمع في كل مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، كما ان مزاجه الجمعي التراكمي غير موجود لان دوله صنيعة استعمارية لم تتاح فيها لتلك المجتمعات التي كونت منها الدول القطرية ان تمارس حريتها في الاختيار من حيث المزاج الثقافي وانماط الحياة الاخرى ، ولأنها لم تكن تدار بنمط اداري واحد او حتى متشابه وهذه مسؤلية اضافية لمن يرون في نفسهم نخبة (كيفية ادارة التنوع). أمر يجعلنا نفكر اكثر من مرة بان من يتبنى وعيا جمعيا عليه الغوص في اعماق العقل السائد وتفكيك طلاسم التفكير وامكانية مواءمته ليخلق مع الاخر المختلف وعيًا جمعيًا، فمثلا بلدا كارتريا يرزح تحت وطأة الجهل والفقروالامراض المستوطنة بالاضافة الى معاناة الحروب التي لم تتوقف منذ ان رسمت حدوده الدولية في العام 1890م ولم تتاح لسكانه فرصة التعرف على بعضهم البعض الا فترة النضال التحرري والتي انصب الجهد فيها على مقارعة المحتل ، وبالتالي لم ينل حظه من الاستقرار الذي يجعل منه مجتمع متجانس نسبيا ، لا نستغرب هنا ان ينتج نظاما مسخًا كالذي نراه اليوم ، على الرغم من النضال الجمعي لزهاء الثلاثين عاما(حرب التحرير)، وهى الاخرى افرزت منتوجا مشوها لايتسند الى واقع المجتمع من حيث الموروث الثقافي

والقيمي المبنى على التسامح والتفاعل الحى مع ضرورات الحياة ، ذلك النظام المتمثل في اسياس وحزبه الحاكم باسمه كما اسلفنا ،واذا سلمنا بان الذي نراه ناتج طبيعي لتطور المجتمع في وعيه الفكري والثقافي يمكن ان نقول ان اليات التصدي لهذا المنهج المشوه هى الاخرى لم تبارح محطة القديم المشترك، ولم تنتج وعيا مختلف للانتقال بالمجتمع من ثقافة الانا والاقصاء التي ظلت قائمة. نستدل على ما نقول ان الاليات التي تبنتها قوى التغيير معارضة لما اطلقنا عليه الوليد (المسخ) هى نفسها التي كانت في السابق على الرغم من ان طموحات المجتمع الارتري المتشوق لحياة الحرية وضع كل طموحاته الحالمة والمتمثلة في التغيير للافضل على قوى التغيير، ونعتقد السبب في انها لم تجري اى مراجعة فكرية لاساسيات المنهج السياسي الذي ساد في فترة النضال التحرري وتحديد العثرات التي تخللت تلك الفترة بقصد تجاوزها والاتيان بنموذج مختلف في ترتيب الاولويات وخلق ارضية لحياة سياسية في مناخ مختلف وهو الامر الذي يتيح المجال لبناء تحالفات على اساس البرامج وفق مقتضيات الراهن السياسي وما هو متاح من فعل على الارض ، فادوات الامس لايصلح تطبيقها اليوم لأن المرحلة مختلفة وطبيعة النضال الذي تخوضه قوى التغيير مختلف ، وهذا يقودنا الى ان البعض يتبني التغيير في دولنا ونخص هنا النموذج الذي ذكرناه(ارتريا) ضمن مفاهيم المدرسة الغربية دون دراسة الواقع الماثل امامها على الارض ومراعات اولويات التطور الاجتماعي الذي يجب ان يستند على ارضية الوعى بالحقوق والمواطنة ، هذا يجعل هؤلاء متماهين مع حلقة التقليد الاعمي ومعتبرين النموذج الاوروبي في الحكم اكثر نضجا دون الرجوع الى حقيقة وصول الحضار الغربية الى نموذجها الحالي فيما نعرفه بالديمقراطية الغربية والذي اتى بعد حروب وصراعات بينها دام لاكثر من مئأة عام، وبالعودة الى النخب او ما نطلق عليهم كذلك او الطبقة الوسطى في المجتمع الارتري وبان نضجها ونموها الفكري قد اكتمل ولهذا يمكنها تطبيق النموذج الاوروبي لادارة مجتمها أمر يحتاج الى وقفة ليس من منظور

الذاتية في التعامل، ولكن تطبيق القوالب الجاهزة دون الاخذ في الاعتبار واقع مجتمعك يؤدي الى منزلقات غير مضمونة العواقب ، وقد يكون مفيدا بأن نشير إلى أن العودة الى الذات واجراء تقييمات ومراجعات حقيقية لحركة هذه النخب يمثل حجر الزاوية في احداث اختراق في الوعي الجمعي والفردي لمن يتصدر المشهد، وامامنا تجربة الثورة الارترية التي تبنت مدارس فكرية متعددة ولكنها فشلت في التطبيق، وفي تقديرنا السبب المباشر لذلك الفشل يرجع الى تطور وعى من تبنى تلك الافكار دون الاخذ في الاعتبار حركة تطور المجتمع الذي ينتمي اليه ولهذا من تبنى تلك الافكار سرعان ما انقلب عليها وعاد الى عوامله الاولية كما يقولون ، فكان لزاما على من يطلقون عليهم النخب او الوسطين في توصيف اخر ان يعملوا ادوات التشريح والتحليل من منظور نظرية اجتماعية تضع المقاربات التي تساعد في الوصول الى تقييم التجربة، وقد نعود الى ذلك في موقع اخر من هذه الورقة لنقدم ما نراه حول هذا الامر، مثلا الدكتور ناجي ابراهيم المفكر الاسلامي المصري والذي كان عضوا قياديا في الجماعة الاسلامية والتي اجرت مراجعات فكرية كبيرة في فكرها واعلنت تخليها عن العنف ، وصلت الى حقيقة ان فشل التيارات الاسلامية في الحكم يرجع الى ان فقه الجماعة منقلق ولا يستطيع ان يتأقلم مع فقه الدولة وذكر ان الجماعة لا يمكن ان تبتلع الدولة ولكن يمكن الدولة ان تبتلع الجماعة, وذكر انه كتب في 2004م مقال قال فية ان الحركات الاسلامية لم تصل الى السلطة ولو وصلت سوف تجبر على تركها نتيجة حتمية ولهذا لم يتفاجأ بمآلات حكم الاخوان المسلمين في مصر(1). والحال نفسه ينطبق على من تبنوا الايدلوجيات في ارتريا ابان الثورة المسلحة ، نعتقد لم يكن بمقدورهم الوقوف على واقع مجتمعهم ومدي قدرتهم لايصال ما يرونه من ايدلوجيات تساعد في النهوض بالمجتمع فلا حزب العمل الديمقراطي الارتري والذي كان ناشطا بل ومسيطرا في جبهة التحريرالارترية اجري تقييما ووقف على التجربة بكل

[1] - الدكتور ناجي ابراهيم ، مفكر اسلامي في حوار تلفزيزني بقناة العربية

ماصاحبها من تردي ولا حزب الشعب الثوري في الجبهة الشعبية والذي تحول نظامه فيما بعد الى نظام فرد مستبد ، وبالمقابل الاحزاب الاخري مثل البعثين الذين اوجدوا لنفسهم تنظيم توفرت له كل امكانية الاستمرار والفعل في الساحة الارترية بعد العام 1979 وقيام تنظيمهم المعروف ب(اللجنة الثورية)، مارسوا نفس الخطأ الذ وقع فيه الاخرون برفض الاخر وجعل التنظيم حويصلة يصعب حتى الفكر النمو فيها، والتجربة امتدت لنفس الفشل عند الاسلامين بشقيهم السلفي والاخواني !! وهم الذين تبنوا مشروع اسلامي على انقاض كل هؤلاء في تقديرهم على الاقل فكانت تجربتهم شزرا مزرا كما نرى. نعتقد كل هذه الافكار المتبناه من قبل من نقول انهم نخب كانت في غير محلها وميقاتها ونستدل على ذلك بان مرحلة التحرر الوطني برنامجها مختلف فهى محتاجة الى حشد كل الطاقات في برنامج وطني جامع لايستثني أحدا ، وكان برنامج جبهة التحرير الارترية المقر في المؤتمر الوطني العام الاول والذي تم تطويره في المؤتمر الثاني في العام 1975م شاملا بان تبنى رؤية الجبهة الوطنية الديمقراطية التي تستوعب الجميع في تحقيق اهداف الثورة المتمثلة في تحرير الارض الارترية من المحتل الاثيوبي وحشد كل الطاقات من اجل ذلك بالاضافة الى تحرير الانسان الارتري من قيود الجهل والتخلف، ولكن سيطرة حزب العمل واعتبار كل ما هو خارجه غير ثوري او في احسن الاحوال يحمل افكارا رجعية ومحاولة ابعاد الاخر اضر بكل التجربة ومالاتها معلوم للجميع ، ولم تكن تجربة الجبهة الشعبية باحسن حال ان لم تكن هى الاسواء على الاطلاق في التعامل مع الاخر المختلف في رأيه وافكاره حتى انتهى بها الامر الى اقامة حكم فرد مستبد. فاذا كان الامر كذلك ما هى الاسباب وراء ضعف الممارسة الديمقراطية بكل انماطها في مجتمعاتنا خاصة النموذج الارتري الذي نتحدث عنه في هذا المقال ؟؟ سؤال يحتاج الى اعمال التشريح لعقل هذه الطبقة "النخبة" ونعتقد السبب الجوهري يرجع الى ضعفها وهشاشتها من حيث النمو الفكري وتخلف وعيها وهلاميته وسوف نصوغ مبرراتنا في ذلك. لم تعمل هذه الشريحة

الوسطى على دراسة المجتمع وانماط نموه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وبالتالي تكييف رؤاها بما يناسب وعي المجتمع ، والقضية الاهم هنا ان هذه الفئة من المجتمع منقسمة على نفسها منها من يتبى التغيير الديمقراطي على النمط الغربي اى رفع شعار التغيير الديمقراطي كحالة مرحلية ولكن وفق حالة تمييزية لان نظرته للوطن لا تتعدى حدود جغرافية معينة في الخريطة الارترية، وقد افضت عليها الصبغة الاستعلائية المفرطة في الشوفينية ، ولهذا نراها تنسج افكارها خارج الحدود وترى مستقبلها هى فقط في خارج الحدود ، ويصعب عليها الاستماع لاي صوت اخر يعمل من اجل التغيير وبنفس النمط الذي اصبح تقليدا متبعا (النمط الغربي)، ونرى الفئة الاخرى التي تعمل من اجل التغيير الذي يشمل الجميع وبالجميع ولكنه ليس من خارج الحدود ، طبعا مع ضعف الوسائل التحليلية المستندة على واقع المجتمع وضعف الوسائل العملية وذلك لغياب الاولويات وشح القدرات ، وعدم قدرتهم على التشريح السليم.

واذاء هاتين الشريحتين نجد عقلين مختلفين في التفكير وانماطه الامر الذي يتطلب معه معرفة وتشريح عقل كل مجموعة وطريقة التفكير ومنطلقات ذلك ، فالشريحة الاولي يسيطر عليها عقل حياة اقتصادية واجتماعية اقرب الى الحضرية منه الى البداوة، ونحن نعلم ان الحضر وانماط الحياة مختلفة عن البداوة من حيث وسائل الانتاج والنظم الادارية المتبعة ، تسكن هذه الفئة في تجمعات تسودها حياة مستقرة بعض الشيئ وتأثرت كثيرا بالحياة المدنية او شبه المدنية وادركت فائدة الحياة المستقرة وبالتالي انصاعت الى القوانين المنظمة لحياة سكان الحضر، وقد استفادت من ذلك الاستقرار خاصة في مجال التعليم وبالتالي قربهم من السلطة، وقد اولى الاستعمار الابيض لهذه الفئة من المجتمع اهتماما خاصة لعوامل الاستقرار كما ذكرنا وتقبل فكرة المستعمر في نشر ما يراه من افكار واكسبهم ذلك الكثير من الامتيازات خاصة في التعليم والوظيفة العامة والقطاع الخاص

وهو الامر نفسه الذي يرون فيه اهمية السلطة وضرورة المحافظة عليها بشتى الوسائل، وبالتالي تنظر الى مصالح الوطن من منظور مصالحها الضيقة فان وجدت هى على السطح لانها الاحق وهذا قد يكون نتيجة الفرص التي نالتها تلك الفئة خاصة في مجال التعليم والالتصاق بالمستعمر الابيض عندما كان محتلا لارتريا ، وبعد اعلان الدولة الارترية وتمركز كل السلطات الادارية والامنية والعسكرية في ايديها، وترى ان سيطرت ثقافتها الاحادية تمثل الجميع ، وأن تحقق هذا فإن حلم التغيير قد تحقق ،ليس هذا فحسب بل نجد منهم من يطرح ابعاد من يختلف معهم في الدين واللغة والثقافة الجامعة ، أما الشريحة االثانية فنظرتها للوطن رومنسية حالمة وتعتقد ان التمسك بكل ما مثل رؤية كمشروع وطني أمر يستحق ان يعطى الاولوية دون الرجوع الى حقيقة العقل الاخر الذي نفى وجودها، طبعا مع تأكيد اهمية التمسك بالمشروع الوطني الا انها لم تخاطب العقل الاخر بصراحة بل تتوارى خلف العبارات العاطفية دون أن تضع النقاط فوق حروف التباين بينها والفئة الاولى ، وهذه العقلية تسبح في فضاء رحب متاثرة بانماط الحياة الاقتصادية والاجتماعية التي عاشتها او مازالت تعيشها وهى حياة البداوة. وللحقيقة فان الفئتين تنطلقان من تفكير العقل الرعوى ونقصد بالعقل الرعوي هنا بان الفئتين تنطلقان من انماط الحياة التي عاشتها و كل من زاويته. وقد يكون مفيدا ان نتعرف هنا لما ذهب اليه الدكتور النور حمد وهو كاتب ومفكر سوداني ينتمي لجماعة الفكر الجموري الذي اسسها الراحل محمود محمد طه في تشريحه للعقل الرعوي في السودان حيث عرف العقل الرعوي: "بانه السلوك البشري، و جملة الادوات و الابداعات والوسائل التي ابتكرها الانسان عبر التاريخ ، لتحسين حياته ، و لتطويرها ، و لحماية نفسه، و تشمل ابتكارات الانسان: الاسرة الصغيرة ، والاسرة الممتدة، والفخيذة والقبيلة، والثروة والعبيد، وتملك النساء و الغيرة علي المرأة .. الخ .، هذه الابتكارات في وقتها تعتبر عملا مجيدا، و لكنها بمرور الزمن تحولت الي عقبات في طريق تطور الانسان ، فالقبيلة كانت في الماضي مؤسسة

تقدمية (في وقتها) ، و لكنها اصبحت عقبة عندما تطورت المجتمعات من القبيلة الي الدولة ، الي العولمة و الكونية ، و قد دفعت البشرية دماءا غزيرة بسبب العقل الرعوي و تجالياته المتمثلة في العنصرية و القبلية ، اضطهاد المرأة ، العبودية ...الخ ([1]).

انتهى اقتباس الدكتور النور حمد ونحن هنا نعتقد أن التوصيف اعلاه ينطبق تماما على الحالة الارترية ايضا للتشابه بين المجتمعين من ناحية التركيبة الاجتماعية في تنوعها الثقافي واللغوي وان كلا الفريقين في الحالة الارترية لايبارحان تفكير العقل الرعوى فالفئة الاولى التي قلنا عنها تختلف في انماط حياتها وهى اقرب الى الحياة الحضرية لم تتخطي التفكير النمطي المبني على ثقافة الانا المغلفة بذاتية الطائفة او المجموعة السكانية التي تكسبت من تحوصلها حول نفسها تقارب وتفكر بعقلية الانا المميتة والتي ترى فيها الحماية والسيطرة معا وهو ما يمكن ادراجه في العقل الرعوي كما سماه الدكتور النور حمد باعتبار ان ما تطرحه كحل للمشكل الإرتيري يقضي على الاحلام المشتركة بين الارتيريين ، ونحن هنا نتحدث عن الذين يرون في المشروع القومي الشوفيني حلا للازمة الإرتيرية القائمة وان تغيير ما هو قائم يمر عبر هذا الطرح مثل (تقراى تقرينية) وهو طرح سياسي قديم متجدد تطرحه بعض الفئات وتعني به اقامة كيان سياسي مستقل للناطقين بالتقرينة في كل من ارتريا واثيوبيا،وغير بعيد عن هؤلاء نجد طرح ما يطلقون على نفسهم بـ(الاقازيان) اقازين تعني اللأجعازيان أى الذين تعود اصولهم الى المجموعة السامية التي تنتمي قبيلة احعازيان اليمنية المعروفة والتي نزحت ى الى هذه المنطقة قبل الميلاد واحتفظت بلغتها الجئزية والتي منها لغة التقرينية والتي يتحدث بها سكان اقليم التقراى الاثيوبي وجزء من سكان بعض الاقاليم الإرتيرية المتاخمة لإقليم التقراى والتي ينتمى اليها السيد أسياس افورقي والفئة الحاكمة الان في أريتريا، وهذه المجموعة اكثر وضوحا في

[1] - راجع ..الدكتور النور حمد العقل الرعوي

غلوها حيث ترى ان ارض ارتريا ملك للاقازيان وبقية السكان ما هم الا مهاجرين اليها وبالتالي يعاملوا معاملة المهاجرين وترى ايضا عليهم العمل ازاحة ماهو قائم الان من اجل تنفيذ ما يطرحون، والجماعة الجديدة التي اطلقت على نفسها (فلسي سلام) وتعني نبة السلام وهى تتألف من مجموعات صغيرة تدور في نفس فلك الفكرتين السابقتين ، يضاف اليهم بعض من يطلق عليهم بالمثقفين الذين يرون الحل في سيطرة ثقافتهم وصدارتهم لقيادة الدولة بالعمل مع قوى لم تكن جزء من الخريطة الارترية ، وان التغيير يجب ان يكون على يدهم وهى تجربة لم تكن وليدة المعارضة الحالية ولكنها صاحبت النضال الارتري منذ اربعينيات القرن الماضي وسيطرت على توجهات هذه الفئة ، وكانت تجربة الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا بكل ما تحمله من اشراقات واخفاقات مثلت هذه الحالة، وتجلياتها نراها اليوم في الحراك السياسي القائم. الاستاذ فتحي عثمان وهو اعلامي وكاتب وباحث ودبلوماسي ارتري تطرق الى ذلك في كتابه ارتريا من حلم التحرير الى كابوس الدكتاتورية، شارحا الفرق بين تجربتي الجبهة الشعبية تحرير الارترية وجبهة التحرير الارترية ذاكرا على ان التجربتين قادتمهما عقليتين مختلفتين او فلنقل قيادات عاشت انماط حياة مختلفة وبالتالي تفكيرين مختلفين ، فاذا كانت الفئة الاولى التي قلنا عنها تمثلها تجربة الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا من حيث التواجد البشري وانماط التفكير نجد بالمقابل ان الفئة الثانية هى الاخرى لن تخرج من تفكير العقل الرعوى حسب التعريف المذكور اعلاه حيث لم يبارح البعض القبلية والمناطقية والبعض الاخر يستخدم الدين وسيلة للوصول الى غاياته ، ولكنها تختلف عن الفئة الاولى ببساطة التفكيروالميل الى التسامح والعفوية ويغلب عليها منط حياة البداوة وتجدني هنا اتفق مع الاستاذ فتحي بان هذه الفئة مثلتها تجربة جبهة التحرير الإريترية واقصد هنا العقل القيادي في الجبهة . وهى ايضا الوجه الغالب في المعارضة التي تنادي بالتغيير الديمقراطي الذي يشمل الجميع. وقد يكون مفيدا لنا ان نعرج على توضيح مفهوم القبيلة حيث يعرفه البعض بانه

يتأسس على مجتمع يمارس اقتصاد الكفاف البدائي ويتمتع بحكم ذاتي محلي.. أى غير مقيد بقوانين جمعية في حله وترحاله وبناءا على هذا التعريف نستنتج أن ظاهرة القبيلة بعد دخول الاستعمار أفريقيا قد طرأ عليها تغيير جوهري، حيث أدخل الاستعمار الأوروبي النظام الرأسمالي المالي إلى افريقيا مصحوباً بتقسيم العمل وأنماط جديدة للإنتاج ونظام لتوزيع السلع بالإضافة لتغيير علاقات القوة السياسية، التي غيرت في البناء المادي والاجتماعي للمجتمعات الأفريقية وفي الحالة الارترية ان القبيلة في ارتريا لم يطرأ عليها ذلك التغيير الذي حدث في معظم اجزاء القارة السمراء وذلك لاختلاف انماط الانتاج حيث ما لبس الاقتصاد هنا بادواته البدائية ولم تكن هناك ثورة تغيير قد تمت في انماط الاقتصاد الا في اطار محدود جدا في فترة الاستعمار الايطالي وهى المشاريع التي منحت للمستثمرين البيض وبعض المصانع المحدودة جدا حول مراكز السلطة فى ذلك الوقت ليعيش عامة السكان في طور الانماط البدائية للانتاج. واذاء هذا المشهد تصدرت النخب في افريقيا عامة وفي نموذجنا الذي نتحدث عنه (ارتريا) قيادة المجتمع واعملت مشرط التشريح على شاكلة ما اراكم الا ما ارى ولتحافظ على وجودها في الصدارة رجعت لعقلها الباطني المشبع بحماية القبيلة ودورها في قيادة المجتمعات المحلية وهو ما كان سائدا قبل الدولة المدنية او الحديثة وهذا ما نراه ينطبق على الفئة الثانية التي اتينا على ذكرها . ولفهم تأثيرات التغيير في التركيبة السياسية يقدم عدد من الكتاب والباحثين أمثلة لتدعيم وجهة نظرهم ، يقول (مافيجي) أن رجل القبيلة الذي كان يكافح من أجل القضايا الأساسية للمجتمع التقليدي الذاتي والمندمج أصبح يستخدم أيدولوجية القبيلة للحفاظ على قوة المنصب في المدن، هنا يفرق (مافيجي) بين القبيلة في الريف، ومصالح القبيلة في المدن التي تتصدر النخبة الأفريقية من الطبقة الوسطى استغلال اسم القبيلة فيها، وهو ما يمكن ان نسميه باستخدام القبيلة للوصول الى اهداف سياسية وبالتالي تحقيق اغراض شخصية. أما ما طرحه المفكر (أرشي) يشير إلى مسألة مهمة في موضوع القبيلة حيث

ذكر ان أهمية المسألة تتمثل في أن إدخال الاستعمار للرأسمالية كنظام اقتصادي حديث لم يفكك العلاقات والنظم التقليدية للقبيلة التي كانت قائمة كما فعل في أوروبا، المعروف أن ظهور الرأسمالية كنظام خلق ثورة شاملة في أوروبا وهى ما عرفت بالثورة الصناعية على المستوي الاقتصادي والحداثة وعلى المستوى القيمي الثقافي حيث فكك العلاقات الاجتماعية للإقطاعية في أوروبا لتقوم على أساس الحداثة والعقلانية أما في أفريقيا فإن الرأسمالية لم تفكك البنى الاجتماعية للقبيلة القائمة على علاقات القرابة بل اعتمدت عليها وقوتها في سبيل خدمة مصالحها. الكاتب (عدنان شيرخان) في مقال له بعنوان جذر المشكلة الديمقراطية في العالم الثالث تناول اطروحات بعض من يوصفون بالنخب وتبنيهم فكرة ان لكل بلد ديمقراطيته وفق الخصوصية ولكنه ايضا رأى ان العله تكمن في تبني نفس هذه الفئة طرح الحكم الرشيد بدلا من الديمقراطية الطرية التي لا توفر الامن والامان للتصدي للفساد الاداري والمالي والسياسي ، جذر المشكلة اذن لا يكمن في جوهر الديمقراطية كفكر وممارسة، وانما في الاسلوب المشوه لتطبيقها، ولكن بالمقابل يري الكاتب البريطاني (تيموثي جاردون) : "**مطلوب الاثنين معا، المجتمعات التي تريد الخروج من حالة الاستبداد تحتاج الى الديمقراطية والحكم الرشيد معا ، ولايمكن ان يستقر حكم رشيد من دون بيئة ديمقراطية حاضنة له، ولايمكن للديمقراطية ان تؤتي اكلها ان لم يكن هناك حكم رشيد يسندها**([1])" توصل العديد من هؤلاء الذين استشهدنا بارائهم الى تلك النتائج بعد متابعة وتقييم للمارسة السياسية والتجارب العملية التي عاشوها ولكننا قد نجد نفسنا في موقف غير الذي رأه السيد عدنان شريخان من ان الخصوصية لكل بلد تجعلها تطبق انماطا مختلفة من الديمقراطية . فالديمقراطية في تعريفها العام هى حكم الشعب لنفسه وهو أمر قد لا نجد له تبريرات متباينة ولكننا قد نتفهم ان الخصوصية المقصودة

[1] - تيموث جاردون الديمقراطية في العالم الثالث – مطابع المملكة لندن 1998– ص 75.

هى خصوصية النشأة والبئة وليس الممارسة لان الكل عليه ان يذهب الى صناديق الاقتراع اثناء ممارسة الديمقراطية لاختيار من يحكمه.

فانماط الديمقراطية أن جاز لنا التعبير قد تكون في كثير من الاحيان التفاف على الممارسة نفسها مثلا هناك انظمة تدعي انها تمارس الديمقراطية وتدعو الشعب الى الانتخابات برلمانية كانت ام رئاسية ولكنها تلوي عنق الحقيقة لانها تمارس تكريس السلطة ، على شاكلة ما اسموه الديمقراطية الشعبية وهذا النموذج مطبق في ارتريا كالذي جرى مؤخرا باسم اختيار الشعب لممثليه وهى ممارسة محصورة في رغبة السلطة وتختار لها من يحق له الترشح في الانتخابات البلدية ونتائجها معروفة سلفا، أما في حالة ما نطلق عليهم النخب تتحصن برفع شعار الممارسة الديمقراطية وان القبول بنتائجها مرهون بمدى موافقتها اهوائهم ولهذا يمارسون ما اصطلح عليه بالفساد السياسي واخطر هذا الفساد استخدام القبيلة وقد ظهر اخيرا المالي السياسي. نشرت مجلة الدراسات الانسانية التي تصدرها كلية الاداب والدراسات الانسانية بجامعة دنقلا بالسودان الصادرة في يناير 2011م دراسة بحثية بعنوان دور النخب في العالم وعلاقتها بالتغيير للدكتور حسن على الساعور([1]). تقوم فرضية الدراسة على أن التغيير في أي مجتمع، تاريخياً كان أو معاصراً، يعتمد اعتماداً كبيراً على الدور الذي تؤديه النخب أو الصفوة الموجودة في هذا المجتمع. وأن التغيير سواء كان جزئياً أو كلياً، ثورياً كان أو تدريجياً، لابد له من قيادة تعد له العدة بسند جماهيري أولي تلقائي، أو سند جماهيري التفاعل فيه يتم بالتدريج عبر ظرف الزمان والمكان. فالنخب إذن هي المتغير المستقل، والتغيير عامل تابع. بناء على هذه الفرضية الأساسية تجئ محتويات هذه الدراسة (دراسة دكتور الساعوري). البداية بالمفهومين النخب والتغيير، ثم يتلوها العلاقة بين النخبة والتغيير في التجارب البشرية

[1] - دكتور الساعوري حسن علي – محلة الدراسات الانسانية جامعة دنقلا – السودان يناير 2011م.

وحسب ما جاء في الفكر السياسي سيكون منهج البحث هو المنهج الوصفي والتاريخي المقارن للإجابة على التساؤل الرئيس: إلى أي مدى تكون النخب هي قائدة التغيير في المجتمعات المختلفة مهما كانت الفروق الظرفية؟. اما الدكتور راشد الراشد وفي مقال له تحت عنوان دور النُخب في الإصلاح الاجتماعي .. مواجهة التحديات وتحقيق التغييرات الكبرى في الأمة في مجلة الهدى التي تصدر من دار الهدى للثقافة والنشر بتاريخ 23 أكتوبر 2017م تحدث عن التحديات التي تواجه النخب في المجتمع واجملها في: عدم وعي النُخبة بأهمية وخطورة الدور الذي يقومون به في حياة المجتمع، والذي يعود بطبيعة الحال إلى مستوى وعي وثقافة المجتمع حيث تشكل النُخبة جزءاً من هذا المجتمع، يؤدي في كثير من الأحيان لعدم تصدّي هؤلاء النُخبة لمسؤولياتهم، والقيام بما يجب القيام به. ضعف إرادة النُخب للتصدي وتحمل المسؤولية كنخبة اجتماعية خاصة عندما تتشكل قناعة لديها بأن المجتمع ليس مؤهلاً لتكون هناك تضحيات تقدمها هذه النُخب من أجل حماية المجتمع وتطويره والارتقاء به. عدم وعي المجتمع بأهمية الدور الذي تلعبه النُخب في حياتها.عدم الإدراك بالمخاطر التي تنجم من عدم قيام النُخب بمسؤولياتها ومهامها الأساسية في حمايتها، وهنا تتضاعف حجم مسؤوليات النُخب في رفع مستوى وعي المجتمع بحيث تصل إلى مرحلة يمكن من خلالها للنخب أن تمارس دورها وتقوم بمهامها في الإصلاح على أرضية صلبة من الدعم الشعبي ومساندة كل فئاته ومكوناته. قمع السلطة عادة ما تواجه السلطة النُخب في المجتمع بالقمع والبطش والتنكيل، خاصة عندما تكون الإجراءات القمعية بهدف صدّ الحركة من أجل إصلاح مواطن الفساد في المجتمع، وتصل هذه الإجراءات إلى مستويات قياسية في القسوة، عندما تطال الحركة الإصلاحية، متنفذين ولهم مكانتهم البارزة في السلطة، وهنا تتحمل النُخب ما تتحمله من معاناة وألم بالنيابة عن المجتمع برمته.

ضعف التنظيم في هذه الحالة يعاني المجتمع ونخبته خصوصاً من ضعف التنظيم والتنسيق في المواقف والمبادرات وخطط العمل، فيتيه المجتمع في مساحة واسعة من المبادرات والأعمال الفردية التي تشكل بطبيعة الحال عبئاً وتحدياً إضافياً على ما يجب أن تقوم به النُخب من مهام ومسؤوليات في إصلاح المجتمع، حيث بغياب التنظيم تغيب العديد من المزايا والمنافع الهامة للحركة من أجل التأثير والتغيير وعلى رأسها التخطيط. تحدي المنافسة لا التعاون فعادة ما يتشكل المجتمع من مجموعة من الأطياف الفكرية والأيديولوجية، ولكل مكون من مكونات المجتمع طابعه وذوقه ومستوى وعيه الخاص به، وفي كثير من الأحيان يكون التنوع الإثني والعرقي والإيديولوجي في المجتمع أحد أخطر التحدّيات التي تواجهها النُخب في مسيرة حركتها نحو الإصلاح والتغيير. فتصبح مهمة التوفيق بين الجماعات التي يتشكل منها المجتمع ضرورة أساسية لنجاح الحركة المطلبية للتغيير والإصلاح وهو بحد ذاته من التحدّيات ليست بالهينة أو السهلة أمام النُخبة([1]). وباسقاط ما ذكره الدكتور راشد الراشد على النخب الارترية نجد كلها محققة من حيث التوصيف أو ما نتصوره ، ليس لها القدرة على مواجهة الواقع والعمل علي تغييره وفي كثير من الاحيان ترمي اللوم على العامة وعدم تفاعلها لاحداث التغيير ونحن نقصد بالتغيير تغيير حال المجتمع ورفع وعيه وقدرته على مواكبة الحياة بكل تعقيدات تطورها ، بل نجد هذه النخب تجارى العامة لاسباب من ضمنها المصالح الخاصة. ويجدر بنا هنا ان نضع مقارنات في العقل الرعوى التقليدي مقروءا بمفهوم النظارة في السودان مثلا وهو ما يعرف بنظام الادارة الاهلية لنتعرف على مكامن الضعف والقوة فيه وهو نموذج اخر في بحثنا هذا بحكم التشابة بين النموذجين ، فقد تناول هذا الامر الكاتب الدكتور عبدالله علي ابراهيم وهو كاتب سوداني كان من كوادر الحزب الشيوعي السوداني ثم تخلى عنه ولكنه يساري الهوى مازال ويعمل ادوات التحليل للظواهر الاجتماعية من منظور معتقده

[1] - راشد الراشد – مجلة الهدى – الصادرة من دار الهدي للنشر 23 اكتوبر 2017م.

الفكري، يعيش في امريكا محاضرا في احدي جامعاتها وقد ذكر في مقال عن الصراع القبلي الاخير في بعض اجزاء السودان وخص بالذكر اقليم النيل الازرق في جنوب شرق البلاد والقتال الذي نشب بين قبيلة الهوسا ومكونات اخرى في المنطقة وارجع ذلك قائلا: " فهمنا لماذا قدح مطلب الهوسا بالنظارة شرارة نار سياسية موقدة في النيل الأزرق وهنا علينا توضيح ان الهوسا احدى قبائل السودان.

طالبت في الفترة الاخير بان يكون لها نظار من ابنائها في تلك البقعة من الجغرافية السودانية ، وقد حدث صدام بينها وبعض المكونات الاجتماعية الموجدة هناك ، حيث قال الدكتور: الإدارة الأهلية هي المسمى عندنا ل"الحكم غير المباشر" الذي أدار به الاستعمار الإنجليزي "الأهالي" في أرياف مستعمراته في أفريقيا بتكلفة زهيدة. ففيه يعهد الاستعمار لزعماء العشائر مهمة إدارة أهلهم بما اتفق لهم من أعراف. فينظر في قضاياهم ويفصل فيها بسقف معلوم، ويقوم بتقدير الطلبة (يقصد ضريبة الانعام والحرث) وجمعها، وغيرها من المهام تحت إشراف مباشر لمفتش المركز لإنجليزي في الجهة. ولم يقع الإنجليز في السودان على الحكم غير المباشر، الإدارة الأهلية، إلا بعد نحو ثلاثة عقود من حكمهم في أعقاب ثورة للمتعلمين من خريجي مدارسهم في 1924. وهم الذين ادخرهم الإنجليز ساعداً لهم في إدارة المستعمرة بصورة مباشرة. وأزهدت تلك الثورة الإنجليز في المتعلمين من عضوا يد إحسانهم لهم. فانتقلوا منذ آخر عشرينات القرن الماضي للتحالف مع الزعامات القبلية.أدى قيام الإدارة الأهلية إلى نشوء ثلاث صور للمواطنة في السودان. فالصورة الأولى هي أهل المدينة الذين يتحاكمون إلى قانون يرعى الحقوق المدنية والسياسية العالمية. وهم بذلك خلاف "الأهالي" في الأرياف الذين يحتكمون إلى أعراف إثنية تقوم عليها إدارة أهلية. ونشأت بسبب نظام الإدارة الأهلية، من الجهة الأخرى، مواطنتان في الريف نفسه بسبب تشريع الإنجليز لعرف تقليدي تاريخي يفرق بين "الأهالي" أنفسهم.

فالمواطنة الأولى هي مواطنة الجماعة صاحبة الدار (أو الحاكورة في مصطلح إقليم دارفور) التي تقطنها. أما المواطنة الثانية فهي مواطنة الضيف على أهل تلك الدار. وتخضع الجماعة الضيف للجماعة صاحبة الدار في علاقة معروفة ب"التبع client) " tribe). وورد أفضل تقنين لعلاقة التبع في العهد الاستعماري في حكم أصدره القاضي كفن دي سي هيز حول خلاف نشب بين صاحب دار وضيف عليها عام ١٩٥٣. فرد القاضي الجماعة الضيف عن مطلبها بالنظارة فوق أرض تقتطعها من دار مضيفها، والزمها بأعراف التبع. ومن أعرافه دفع مكوس معلومة للقبيلة سيدة الدار للزراعة في أرضها والسقيا من مائها مقابل انتفاع التابع من أرض لا حق أصالة له فيها. ومربط الفرس هنا في النظارة. وهي الوظيفة التي تقصرها الأعراف وقانون الإدارة الأهلية تاريخياً على الجماعة صاحبة الدار لا يطمع فيها طامع من غيرها. فالنظارة جاه سياسي يدير به شاغله "دولته" الصغيرة من المواطنين والرعايا. ويكتفي الرعايا من الإدارة الذاتية في غير دارهم ب"شياخة" أو "عمودية" مرجعيتها الناظر في ضرائبها للحكومة، وقضائها، وكل تصريف لشأنها. وفي أعراف التبع ما يشي بأن الدار دولة لأهلها. فمحرم على التبع مثلاً أن يضرب نحاسه القبلي في عرض الدار مثلما لا تأذن دولة بعلم آخر يرتفع فوق ساريتها. وصح القول أن الجماعة التبع مما يخضع لعلاقة استعمار داخلي، لو شئت، تُفرض عليها الضرائب بينما تتجرد من الصوت السياسي حتى في نطاق عيشها اليومي. ولذا كان مطلب القبيلة التبع للنظارة، بدار أو بدونها، بمثابة "حركة وطنية" للخلاص من استعمار مالكي الدار. وكان منح بعضهم النظارة منذ ثلاثة أعوام بعد قرن من المطالبة الحثيثة بها، في قول زعيمها، بمثابة تحرر وطني وعيداً للاستقلال. انتهى حديث الدكتور عبدالله علي ابراهيم وهذا يقودنا ان العقل الرعوي الذي عرفه الدكتور النور حمد نجده ماثلا امامنا من خلال ممارسات نظم الادارة الاهلية التي وضعها الاستعمار الابيض بل واعلاء شأنها ، فالصراعات القبيلة في اجزاء متفرقة من السودان ناجمة من سيطر العقل الرعوي

القبلي على من يقودون المجتمعات المحلية بل وان السلطة المركزية نفسها اصلت لذلك بان شرعت للقبيلة باعترافها بالادارة الاهلية كشريك بسلطات في ظاهرها رمزية وباطنها سلطات قد تفوق سلطات الدولة المركزية التي تراضى عليها الجميع ويحملون هوياتها ويأتمرون بتشريعاتها. وقد يكون مفيدا اذا علمنا ان ماكان قائما في العهد الاستعماري والسنوات التي تلت الاستقلال الى مجيئ سلطة مايو برئاسى جعفر نميري والذي كان قد ابقى على دور للادارة الاهلية قد تم الغاءه ولم يعد للادارة الاهلية دور حتى جاءت سلطة (الانقاذ) برئاسة عمر البشير واعادتها بصلاحيات وامتيازات بل ووسعتها بان منحت بعض المكونات التي كانت تحت ادارات اهلية نظارات وعموديات منفصلة، كل ذلك من اجل بسط سيطرة الانقاذ هيمنتها على المشهد واستمر الامر الى سقوط الانقاذ ومازال المشهد كما هو بل قد نجد سطوة النظار اقوى من سلطة الدولة خاصة في الاون الاخيرة مع دعم كامل من ما يمكن انطلق عليهم بالنخب في تلك المجتمعات ودورهم السلبي في اشعال الفتن بين المكونات الاجتماعية ، وهو ما يمكن ان نطلق عليه تغليب المصالح الخاصة على مصلحة المجتمع السوداني في احسن الاحوال ومجتمعاتهم الخاصة على وجه الخصوص التي يوردونها المهالك بافتعال الازمات مع من ساكنهم من المكونات الاخرى متخذين من الإدارات الاهلية واقيا من فعلتهم هذه. اما في الحالة الارترية دور الادارة الاهلية قد كان كذلك في فترة الاستعمار الابيض ولكن تغيير الحال بعد ما عرف بالثورة الاجتماعية في الاربعينيات التي قادها الزعيم ابراهيم سلطان علي وبقت رمزية الادارة الاهلية اقل تأثيرا على الرغم من تعدد الادارات وسرعان ما انتقل المجتمع الى الثورة لمقارعة المحتل الاثيوبي ، فكانت ادوات الثورة في الريف قابضة بل وبسطت سلطة سميت بالسلطة الشعبية من حيث المشاركة في ادارة قراهم ومناطقهم ، ففي جبهة التحرير الارترية قسمت الثورة ارتريا الى 12 وحداة ادارية بعد المؤتمر الوطني الاول ولكل وحدة ادارية لجنة تدير شئونها منتخبة تحت اشراف المشرف السياسي للوحدة الادارية المعين

من قيادة التنظيم ولجان اخري متدرجة منطقة ثم قرية ، ولم يختلف الحال في الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا حيث جهاز الارشاد القومي هو من كان يتولى ادارة المناطق المحررة من خلال لجان ايضا ، هذا كله قلل من تاثير القبيلة في الشأن العام ، ولكن ونتيجة لانكسارات المشاريع السياسية الفكرية التي كانت تعمل سريا فس جسم الثورة ونشوب صراعات داخل كل تنظيم بين قياداته اخذ امر القبيلة يطل براسه كما اسلفنا في هذه الدراسة وهو امر قد لايصمد كثيرا اذا التف الناس الى حقيقة ممارسة النخب، والامر نفسه ينطبق على السودان خاصة وان كلا المجتمعين محافظين ويقران ان القبلية دمار للشعوب ان الدين يامر بتركها (دعوها فانها منتنة) ، وامامنا تجارب الشعوب المجاورة لنا في قارتنا كالصومال وروندا والان الحرب المستعرة في اثيوبيا بين المكونات الاثنية.

المراجع :

1. احمد بلا طالب باحث في العلوم السياسية والتواصل السياسي – جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء – دراسة منشورة في موقع بوابة علم الاجتماع 20 فبراير 2020م
2. الدكتور ناجي ابراهيم ، مفكر اسلامي في حوار تلفزيزني بقناة العربية
3. الدكتور النور حمد العقل الرعوي
4. تيموث جاردون الديمقراطية في العالم الثالث – مطابع المملكة لندن 1998.
5. دكتور الساعوري حسن علي – محلة الدراسات الانسانية جامعة دنقلا – السودان يناير 2011م
6. راشد الراشد – مجلة الهدى – الصادرة من دار الهدي للنشر 23 اكتوبر 2017م.

اللاجئون في أفريقيا
دراسة حالة لدول (أوغندا- رواندا)

إعداد

د. محمد فؤاد رشوان(*)

د. محمد إدريس عبد العزيز(*)

الملخص

تركز هذه الدراسة على معرفة المفاهيم الأساسية المتعلقة بكيفية تنقل اللاجئين حول العالم، ومعرفة ماذا قدمت المفوضية السامية لشؤون اللاجئين والدول حالة الدراسة من خطط واستراتيجيات للحفاظ على حقوق اللاجئين، والتحديات التي تواجههم.

Summary

This study focuses on knowing the basic concepts related to how refugees move around the world, and knowing what the UNHCR and the case study countries provided plans and strategies to preserve the rights of refugees, and the challenges they face.

مقدمة:

اللاجئون هم الأشخاص الذين فروا من أوطانهم بسبب المخاطر التي تواجههم، سواء هرباً من الصراعات والحروب، أو غيرها من الظروف التي تهدد الأمن والحياة، وغالباً ما يواجه اللاجئين في رحلتهم بحثاً عن وطن آخر يشعرون فيه بالأمن والأمان،

* د. محمد فؤاد رشوان، باحث في الشئون الأفريقية، ورئيس برنامج الدراسات الأفريقية بمركز رع للدراسات الاستراتيجية.
* د. محمد إدريس عبد العزيز، أستاذ مساعد بقسم العلوم السياسية، جامعة طبرق، ليبيا.

العديد من التحديات؛ من أهمها، عدم الحصول على الاحتياجات الإنسانية الأساسية مثل المياه النظيفة والغذاء والسكن المناسب والرعاية الصحية والتعليم.

لقد تضاعف عدد اللاجئين حول العالم بداية هذا العقد عن العقد الماضي، ووفقاً لتقرير المفوضية السامية لشؤون اللاجئين لعام2021 ((لقد أجبر أكثر من 84 مليون شخص حول العالم على الفرار من ديارهم، من بينهم أكثر من 26.6 مليون لاجئ)).

وللدول الأفريقية تقاليد طويلة في قبول اللاجئين سواء فيما يخص عملية استقبالهم من داخل القارة أومن خارجها، وفي هذا الجانب تعتبر أوغندا من الدول الرائدة في استقبال اللاجئين، إذ تصنف في المرتبة الثالثة عالمياً كدولة مستضيفة للاجئين، وعلى جانب آخر دائماً ما تعلن رواندا استعدادها لاستقبال اللاجئين مثلها مثل كثير من الدول الأفريقية، وقد شهدت القارة الأفريقية في شهر أبريل الماضي (2022م) توصل حكومتي كل من بريطانيا ورواندا إلى اتفاق يقضي بإرسال المهاجرين وطالبي اللجوء الذين يعبرون بحر المانش إلى رواندا، في الوقت الذي تحاول فيه بريطانيا وضع حد لتدفق الأعداد القياسية من طالبي اللجوء والهجرة غير الشرعية.

الإشكالية:

ما هي الحلول التي قدمتها مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين؛ لحماية اللاجئين وفقاً للقانون الدولي؟ وما هي أفضل هذه الحلول؟ وما مدى نجاح المفوضية والدول الأفريقية المستضيفة للاجئين (أوغندا ، رواندا) في تنفيذها؟

أسباب اختيار الموضوع:

1. بروز حلول مستحدثة لمشكلة اللاجئين لم تكن معروفة أو معمول بها من قبل بسبب مخالفتها للتعهدات الدولية وفقاً للعديد من الاتفاقيات والوثائق الدولية.

2. انتشار ظاهرة العداء من قبل بعض المجتمعات الأفريقية للاجئين على اعتبار أنهم منافسون للسكان المحليين في موارد الدولة مما يسبب لهم مشاكل اقتصادية.

الأهداف :

- بيان مدى نجاح المفوضية السامية لشئون اللاجئين في حمايتهم وفقاً للقانون الدولي.
- بيان مدى نجاح تجارب بعض الدول الأفريقية حالة (أوغندا ورواندا) في التعامل مع مسألة اللاجئين.
-

المنهج المستخدم (المنهج الوصفي التحليلي)

ويعتمد هذا المنهج على تحليل جزئيات الموضوع ووصف المشاكل العلمية بدقة، وصولاً لاستنتاجات إيجابية.

وتقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة مطالب يتناول المطلب الاول الإطار المفاهيمي للدراسة فيما يتناول المطلب الثاني تجربة دمج اللاجئين في أوغندا وأخيرًا يتناول المطلب الثالث اتفاق إعادة توزيع اللاجئين في رواندا.

المطلب الأول : الإطار المفاهيمى للدراسة

مصطلحات " إعادة الاندماج " و " إعادة التوطين " و " إعادة التوزيع "، تأتي عادة لتعبر عن الكيفية التي قد يتحرك بها اللاجئون في جميع أنحاء العالم.

أولاً : إعادة الاندماج

عملية دمج اللاجئين هي عملية تفاعلية تعتمد على كل من اللاجئين وأفراد الوطن المضيف لهم ومؤسساته، حيث يندمج اللاجئون مع مواطني الدولة المضيفة، مشكلين مجتمعاً واحداً يحتضن اختلافاتهم[1].

وعملية دمج اللاجئين لها بُعد قانوني وبُعد اقتصادي وبُعد اجتماعي.

فأما البُعد القانوني، فيتمثل في منح الدولة المضيفة اللاجئين المقيمين بها مجموعة من الحقوق التي تساعد على دمجهم وتتوافق مع تلك الحقوق الممنوحة للسكان الأصليين وذلك وفقاً لاتفاقية اللاجئين لعام 1951م [2].

وأما البُعد الاقتصادي فيتمثل بشكل أساسي في دمج اللاجئين في سوق العمل للبلد المضيف، ويعتبر دمجهم في سوق العمل مع السكان الأصليين هو أحد العوامل الهامة لدمجهم في المجتمع[3].

أما البُعد الاجتماعي فيرتكز على دمج اللاجئين في المجتمع المضيف بحيث يصبحون جزءاً لا يتجزأ من المجتمع، مع المحافظة على هويتهم القومية، وثقافتهم وعاداتهم الأصلية، وهذه العملية لا تعتمد على المجتمع المضيف وحده، ولكن على اللاجئين أنفسهم أيضاً[4].

وباعتبار الإدماج المحلي عملية معقدة وتدريجية ذات أبعاد قانونية واقتصادية واجتماعية تفرض متطلبات كبيرة على الفرد والمجتمع المستضيف، وفي كثير من

[1] سلمى علي سالم إبراهيم ، اندماج اللاجئين في المجتمعات المضيفة: دراسة مقارنة بين الأفارقة والسوريين في المجتمع المصري، المركز الديمقراطي، 13 يوليو 2017.
https://democraticac.de/?p=47637

[2] المرجع نفسه.
[3] المرجع نفسه.
[4] المرجع نفسه.

الحالات، يكون اكتساب جنسية بلد اللجوء ذروة هذه العملية، وحسب تقدير المفوضية، فإن 1.1 مليون لاجئ في جميع أنحاء العالم أصبحوا خلال العقد الماضي مواطنين في بلدان لجوئهم[1].

- **تداعيات إعادة الاندماج**

1- التداعيات الإيجابية لإعادة اندماج اللاجئين في المجتمعات المضيفة لها

من أهم التداعيات الايجابية لدمج اللاجئين تقديم العديد من المنظمات الدولية والدول المانحة معونات انسانية واقتصادية مختلفة لا يقتصر مجالها على اللاجئين فحسب بل يمتد للدول المضيفة ذاتها وتقديم برامج ومعونات للقضاء على الفقر فى الدول المضيفة من أجل تعزيز التعايش السلمى وتقديم معونات فردية للاجئين وبرامج لإعادة تأهيلهم بما يثرى القوى العاملة فى الدول المضيفة وانعاش التنمية المستدامة بها من خلال إدراج الدول المضيفة ضمن الدول ذات الاولية فى جداول أعمال التنمية، كذلك زيادة البرامج المتعلقة بتعزيز القدرات الانتاجية والاعتماد على الذات لدى اللاجئين[2].

وتكون التداعيات إيجابية حال قيام اللاجئين بسد فجوات سوق العمل، وخلق قنوات جديدة للاستثمار الأجنبي والمحلى وتزيد من الانتاج، وكذلك زيادة الاستهلاك فى الدولة المضيفة ودفعهم للضرائب وهو ما يساهم في ازدهار اقتصاد البلد المضيف كذلك فإن عملية الدمج من الممكن أن تثرى المجتمع من الناحية الثقافية بسبب انفتاحه على ثقافات مغايرة وعادات وأفكار ولغات وفنون جديدة.

2- التداعيات السلبية لإعادة اندماج اللاجئين في المجتمعات المضيفة لهم

[1] المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين 2021-2022 .
https://www.unhcr.org/ar/abe7cc2762F.html.

[2] overview of Part 1 . Main Concepts and Issues, P.P., 4-5 at :
https://www.unhcr.org/44c4854b2.pdf

تتمثل أبرز مظاهر التداعيات السلبية لدمج اللاجئين على الدول المضيفة في عملية الخلل الذي قد يحدث في عملية التوازن المجتمعي خاصة في الدول التي تعانى من الصراعات الداخلية المبنيه على الخلافات المذهبية او الطائفية، فقد يكون اللاجئين من طائفة أو مذهب معين وبالتالى يتم تقوية أهل تلك الطائفة فى البلد المضيف على حساب باقى الطوائف وهو ما قد يخلق حالة من عدم التوازن فى ذلك المجتمع ويؤدى إلى تفاقم الأوضاع والانقسامات الداخلية .

أيضاً يعتبر من المظاهر السلبية لدمج اللاجئين التنافس بين أبناء البلد المضيف واللاجئين على الموارد الاقتصادية المختلفة وفرص العمل كذلك الضغط على البنيه التحتية للبلد المضيف والخدمات المختلفة سواء الخدمات الصحية أو التعليم والاسكان والمواصلات وهو ما يقلل من فرص أبناء البلد المضيف بالتمتع بتلك الخدمات فضلاً عن زيادة نسب البطالة بين أبناء الدولة الأصليين .

كما أن دمج اللاجئين قد ينتج عنه ارتفاع فى معدلات العنف والجريمة وانتشار الاسلحة والمقاتلين أو الارهابين فى الدول المضيفة فى صورة لاجئين عاديين ثم يعملون على نشر أفكارهم المتطرفة داخل المجتمع بين باقي أفراده[1].

ثانيا: إعادة التوطين

تعتبر إعادة التوطين عملية تؤدي إلى حل دائم في بلد ثالث للاجئين الذين يستطيعون الاندماج محلياً أو العودة إلى بلدهم الأصلي، وممن لديهم احتياجات حماية مستمر في البلد الذي يعيشون فيه[2].

[1] سلمى على سالم ابراهيم ، اندماج اللاجئين في المجتمعات المضيفة، مرجع سبق ذكره.
[2] إعادة التوطين ، المفوضية السامية للاجئين UNHCR ، نشرة الهجرة القسرية/ 10أكتوبر 2016.
https:www.fmreview.gor/ar/resettlement-cfa

وتتضمن عملية إعادة التوطين اختيار اللاجئين ومساعدتهم على السفر من البلد الذي فروا إليه والتمسوا الحماية فيه، والذهاب إلى بلد آخر قام بتدقيق ملفاتهم وافق على قبول الفرد/ الأسرة وتوفير الإقامة الدائمة لهم[1].

وينطبق هذا المفهوم فقط على من يتم الاعتراف بهم كلاجئين من قبل وكالة الأمم المتحدة لشئون اللاجئين [2].

وعادة ما يحدث خلط بين **إعادة التوطين وإعادة التوزيع** ولكن يكمن الفرق فيما إذا كان الشخص الذى يتم نقله إلى بلد أخر متحصل على حق اللجوء أو غير ذلك، ففي حال لم يحصل الشخص على حق اللجوء أو لم يتمكن من الحصول عليه وتم نقله الى بلد اخر فهنا يقصد به إعادة التوزيع خاصة وأن هناك العديد من الدول تتعرض لضغوط كبيرة بسبب ازدياد أعداد طالبى اللجوء وبالتالى يتم نقلهم الى بلد أخر للبت في طلب اللجوء [3].

ومع أن عدد اللاجئين المعاد توطينهم على المستوى العالمي لا يتجاوز (1%)، يمكن لإعادة التوطين أن يمثل تعبيراً عن التضامن والالتزام الدوليين بالتشارك بمسؤولية حماية اللاجئين، لكن الوقائع والمواقف الجيوسياسية أثرت على الطريقة التي نُفذت بها إعادة التوطين (خاصة إزاء دول إعادة التوطين ودول الأصل) ما فرض إحداث تغييرات على الاستراتيجيات والأولويات والمنهجيات مع مرور الوقت، ففيما يتعلق باللاجئين ،

[1] سلمى علي سالم إبراهيم، اندماج اللاجئين في المجتمعات المضيفة: دراسة مقارنة بين الأفارقة والسوريين في المجتمع المصري، مرجع سبق ذكره

[2] Reem El-Radi, The Resettlement Experiences of Southern Sudanese Women Refugees in Minnesota, PhD Thesis, (Minnesota, University of Minnesota, 2015) P.P., 16-17

[3] -https://arab deutschland.com/%D8%A5%D8%B9%D8%A7%D8%AF%D8%A9

يمكن لإعادة التوطين أن توفر أداة للم الشمل الأسري أو تمكين وصول الأسر إلى الخدمات الخاصة غير المتاحة لهم في بلد اللجوء الأول[1].

وتعمل مفوضية الأمم المتحدة السامية للاجئين مع بلدان اللجوء والدول التي يحتمل قبولها لإعادة التوطين فيها والمنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية بمختلف الطرق لتحديد اللاجئين، ومن ثم إعادة توطينهم، وعادة ما يقع الاختيار لإعادة التوطين على الفئات الأكثر استضعافاً من اللاجئين[2].

وبناء على ما سبق فيمكن تعريف إعادة توطين اللاجئين على أنه " العملية التى يستطيع اللاجئ بعدها عقب وصوله الى مكان اللجوء الدائم أن يعود لدية الإحساس بالسيطرة على مقاليد حياته وان الحياة تعود الى طبيعتها" [3].

وهناك ثلاث اساليب مختلفة لاعادة التوطين على المستوى الدولي وهى كالتالي :

أولاً : وهى فكرة الاستيعاب والتى نادرًا ما تستخدم الآن فى العالم حيث يطلب فيها من اللاجئ أن يتعلم ويتبع المنظومة المعتمدة في المجتمع المستقبل بحيث يعمل هذا المجتمع على استيعاب اللاجئين ومعاملتهم معاملة المواطنين من حيث اعطائهم كافة الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ولا يتم اى تفرقة بينهم وبين المواطنين العاديين.

ثانياً : التكامل بحيث ينظر إلى إعادة التوطين على أنه طريق ذو اتجاهين بحيث يقوم اللاجئى بالتكيف مع ظروف وأوضاع المجتمع المستقبل كما يتكيف المجتمع مع بعض عادات الوافد الجديد ويتعلمها، وتعد عملية التكامل بناء معقد ومتعدد الابعاد حتى يتم

[1] إعادة التوطين، نشرة الهجرة القسرية، مرجع سبق ذكره.
[2] سلمى علي سالم، اندماج اللاجئين في المجتمعات المضيفة، مرجع سبق ذكره.
[3] Dr Brooke McDonald, (et.al), (Eds) Refugee Resettlement in Regional and Rural Victoria: Impacts and Policy Issues (Carlton, Victorian Health Promotion Foundation, March2008) P.12

التكامل على المتسويات الاجتماعية والصحية والاقتصادية والتعليمية، وتشير التجارب الى ان اللاجئين ذوى الخبرات العالية والمؤهلات التعليمية الاعلى يمكنهم التكيف بشكل اسرع مع المجتمعات الجديدة بينما تظل مشكلة العنصرية والجهل هى ابرز تحديات التكامل التي تواجه اللاجئين. [1]

ثالثاً: التعددية الثقافية والتي تقوم على دعم الوافدين الجدد للاحتفاظ بثقافتهم الأصلية (ضمن بعض المعايير) بينما يمكنهم فى نفس الوقت أن يكونوا قادرين على المشاركة بالتساوى فى المجتمع بشكل عام.

إلا أن التجربة العملية اظهرت أن هناك فجوة كبيرة بين الخطاب وممارسة التعددية الثقافية، فينصب التركيز على المظاهر الشكلية للتبادل الثقافى، ولا يوجد حوار ثقافى حقيقى بين كافة أطياف المجتمعات وخاصة بين اللاجئين والمواطنين.

فقد أثبت تجربة العيش فى مجتمع متعدد الثقافات في أوروبا فشلها، ففي أكتوبر 2010 أعلنت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل فشل جهود تحقيق مجتمع متعدد الثقافات واضطرت ألمانيا لاستخدام نهج التكامل كسياسة للتعامل مع اللاجئين ، وتم التعامل مع اللاجئين كأجانب عليهم العودة الى موطنهم فى نهاية المطاف وبالتالى لا يتم بذل المزيد من الجهد لدمجهم فى المجتمع الألمانى ، وكذلك الحال فى فبراير 2011 أعلن رئيس وزراء بريطانيا ديفيد كاميرون فشل سياسة التعددية الثقافية على المستوى الوطني في بريطانيا[2]. .

[1] Mihaela Robila, Refugees and Social Integration in Europe, (New York, Paper presented to The United Nations Expert Group Meeting , 15-16 may 2018), P 10

[2] Fumiko Tsutaki, Issue of Immigration and Refugees and Multiculturalism in Europe, at:www.iop.or.jp/Documents/1626/%5B112-124%5DJournal26_Tsutaki.pdf

المطلب الثاني: تجربة دمج اللاجئين فى أوغندا

أوغندا لها تاريخ طويل في استضافة اللاجئين(*)، بدأ هذا في أوائل الأربعينيات مع اللاجئين البولنديين الذين فروا من أوروبا أبان الحرب العالمية الثانية، ويعتبر مخيم ناكيفالي للاجئين الذي تم تشكيله عام 1959م في جنوب غرب أوغندا أقدم مخيم للاجئين في أفريقيا[1]. وقد استضافت أوغندا أيضاً أعداداً ضخمة من اللاجئين في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، منهم حوالي 80 ألف لاجئ سوداني، هرباً من الحرب الأهلية الأولى، لقد كانوا فقط الموجة الأولى من موجات عديدة من اللاجئين في مختلف البلدان المجاورة [2].

على مدى خمس عقود، وفرت أوغندا اللجوء للأشخاص الفارين من الحرب والاضطهاد في بلدان عديدة، بما في ذلك البلدان المجاورة لها، وهي طرف في اتفاقيات اللاجئين الرئيسية والمعاهدات الدولية لحقوق الإنسان، وتستضيف حالياً أكثر من 1.35 مليون لاجئ، غالبيتهم من جنوب السودان (75%) وجمهورية الكونغو الديمقراطية (17%) والصومال (3%) (حتى نهاية عام 2015) [3].

وتعد أوغندا من أكثر الدول تقدماً فى دعمها لاجئين وذلك منذ توقيع الحكومة الأوغندية على اتفاقية حماية اللاجئين عام 1951 والبروتوكول الملحق بها فى عام 1967 والتى تلتزم فيها بحماية اللاجئين والفارين من الاضطهاد، ثم تلى ذلك توقيعها

* بدأ مع تصديقها على الاتفاقيات الدولية والإقليمية المعنية بحقوق اللاجئين وما تلاها من تشريعات داخلية تعد الأنجح في القارة الأفريقية من حيث استضافة ودمج اللاجئين.

[1] UGANDA
http://www.unhcr.org/uganda.html,

[2] Uganda has a remarkable history of hosting refugeesm but its efforts are underfunded.
https://theconversation .com/Uganda-has-a-remarkable-history-of-hosting-refugees-but-its-efforts-are-underfunded-166706.

[3] أوغندا: تطبيق الإطار الشامل للاستجابة للاجئين.
https:www.unhcr.org/ar/5agbdo424.html

على اتفاقية منظمة الوحدة الافريقية عام 1969، وفى عام 2006 أقر البرلمان الأوغندى قانون اللاجئين وما تلته من لوائح 2010 التى تتوافق مع ما وقعت عليه الحكومات السابقة من اتفاقيات دولية وإقليمية ويتيح هذا القانون دمج اللاجئين فى أوغندا ووصولهم إلى الحقوق الاساسية والاجتماعية والخدمات على قدم المساواة مع المواطنين بما فى ذلك حرية التنقل والوصول إلى الخدمات الصحية والتعليمية الوطنية.[1]

وبحلول عام 2015 قدمت الحكومة الأوغندية خطتها لتفعيل الاطار القانونى للاجئين والذى يسعى لتحقيق التنمية الاجتماعية فى أوغندا عبر عدة محاور منها اعتماد اللاجئين على ذاتهم بدلاً من اعتمادهم على المساعدات الانسانية والدعم، وذلك عبر تحقيق عدة أهداف منها إدارة الأراضي، توفير سبل الحياة الكريمة، الحكم وسيادة القانون، التعايش السلمى، حماية البيئة، وتعزيز الأمن الغذائى وتمكين اللاجئين من المشاركة النشطة فى الأسواق المحلية، وقد نجحت الحكومة فى دمج خطتها لتطوير مستوطنات اللاجئين مع خطة التنمية الوطنية الثانية وبالتالى دمج اللاجئين فى خطط التنمية الوطنية الشاملة.[2]

وقد تم حشد الجهود لدعم خطة تطوير مستوطنات اللاجئين فى أوغندا عبر برنامج اللاجئون وتمكين السكان المضيفين بقروض ميسرة بقيمة 50 مليون دولار أمريكى من البنك الدولى، وكذلك عملت الحكومة على دعم مناطق استضافة اللاجئين بتمويل من المؤسسات الدولية للتنمية مما يسهل سبل زراعة الأراضى وتوفير الغذاء وتعزيز الاعتماد

[1] UNDP, Uganda's Contribution to refugee protection and management , (kampala, united nation Development programme ,2017) P.P.,1-3

[2] UNHCR, Comprehensive refugee Response framework :The Uganda Model, Comprehensive Response case study , P.P.,3-4

على الذات، بحيث يصبح اللاجئون فى غضون خمس سنوات غير معتمدين على المساعدات الإنسانية. [1]

كذلك تسمح أوغندا للاجئين الراغبين فى الحصول على عمل خارج المستوطنة بالحصول على الوظائف أو فرصة العمل مقابل عدم حصولهم على المساعدات المقدمة لهم داخل المستوطنة، وبالتالى تتوافر للاجئين فرص أفضل للمعيشة حيث تتحصل الأسرة التى لديها عامل أو أكثر بأجر خارج المستوطنة على دخل أكبر من المساعدات الإنسانية وهو ما يوفر شئ من الرفاهية إلى تلك الأسرة .

للاجئين الحق في نفس الخدمات الاجتماعية مثل الأوغنديين، بما في ذلك الرعاية الصحية والتعليم الابتدائي المجاني، كما أنهم لا يقتصر وجودهم على المخيمات فقط، ولكن يمكنهم أيضاً العيش في المناطق الحضرية، لذلك تلقت البلاد الكثير من الاهتمام الإيجابي (لتعزيز) اعتماد اللاجئين على أنفسهم[2].

وعلى الرغم من الحقوق على الورق في أوغندا، لا يزال اللاجئون يعانون، حيث لا يتم الاعتراف بهم قانونياً كلاجئين إذا كانوا يعيشون في مدن بجانب العاصمة كمبالا، وكاللاجئين حضريين "مستقرين بأنفسهم" فإنهم يواجهون خطر التعرض لسوء تصنيفهم كمهاجرين اقتصاديين، حيث أنه غالباً ما يفتقر اللاجئون في المناطق الحضرية إلى المساعدة بسبب افتقارهم إلى وضع اللاجئ الرسمي ((ما لم يكونوا مسجلين في مستوطنة)) [3].

[1] The Republic of Uganda , Uganda's Refugee Response: Our story based on the facts and Experiences , (kampala, CRRF , 2018) P.13

[2] Uganda has a remarkable history of hosting refugeesm but its efforts are underfunded, Op.Cit.

[3] Idem.

وفى 24 مارس 2017 أطلق مكتب رئيس الوزراء الأوغندى الاطار الشامل للاستجابة للاجئين كاستجابة لإعلان نيويورك بشأن اللاجئين والمهاجرين من أجل التنسيق بين أصحاب المصالح المتعددين بشأن اللاجئين والذى يركز على الاحتياجات الإنسانية والانمائية لكل من اللاجئين والمجتمعات المضيفة؛ ويشمل هذا الاعلان الجهات الفاعلة الحكومية والمنظمات غير الحكومية واللاجئين ووكالات الأمم المتحدة والقطاع الخاص والمؤسسات المالية الدولية والمجتمع الدولى بما فى ذلك مراكز الفكر والأوساط الاكاديمية والقادة الدينين وذلك من أجل تخفيف الضغط على الدول التي ترحب باستضافة اللاجئين، ودعم عملية اعتماد اللاجئين على ذاتهم، وتوسيع الوصول إلى إعادة التوطين فى بلدان ثالثة وتعزيز الظروف التى تمكن اللاجئين من العودة طوعًا الى بلدانهم الأصلية.[1]

في 30 نوفمبر 2021، استضافت أوغندا أكثر من 1.5 مليون لاجئ وطالب لجوء معظمهم من جنوب السودان وجمهورية الكونغو الديمقراطية وبوروندي وهي الدولة التي تستضيف معظم اللاجئين في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى[2].

كما استقبلت أوغندا أكثر من 35000 وافد جديد فروا من الحرب والاضطهاد في جنوب السودان وجمهورية الكونغو الديمقراطية منذ يناير 2022، هذا بالإضافة إلى 1.5 مليون لاجئ تم استضافتهم بالفعل في البلاد، مما يجعل أوغندا أكبر دولة مضيفة للاجئين في أفريقيا[3].

---

[1] https://opm.go.ug/comprehensive-refugee-response-framework-uganda/

[2] Uganda, https://unhcr.org, Op. Cit

[3] Uganda countryrefugee response plan-emergency appeal, April-June2022 uganda http://relifweb.int/report/uganda/uganda-country-refugee-response-plan-emergency-appeal-april-june-2022

يتم استضافة أكثر 80% من اللاجئين في 13 منطقة في المناطق الشمالية والجنوبية الغربية، وفي العاصمة كمبالا، حيث يعيش اللاجئون في قرى تعرف باسم المستوطنات، حيث يتعايشون مع المجتمعات التي تستضيفهم، هذا النهج جنباً إلى جنب مع قوانين وحريات اللاجئين التقدمية، يوفر للاجئين في أوغندا آفاقاً كبيرة للكرامة والاعتماد على الذات[1].

أولاً : الأثر الاقتصادي لمستوطنات اللاجئين في أوغندا

يقوم برنامج الأغذية العالمي بتوزيع الأموال النقدية على اللاجئين، بالتعاون مع حكومة أوغندا والمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، منذ عام 2014، وهنا التحولات القائمة لا تعمل فقط على تمكين الناس من خلال منحهم القدرة على تقرير ما يأكلونه بأنفسهم، لكنها تعزز قوتهم الشرائية، هذا التعزيز، يزيد من قوة مساهمة اللاجئين في الاقتصاد المحلي لأوغندا[2].

ومن السمات الفريدة لسياسة دعم ودمج اللاجئين فى أوغندا هى عملية توزيع أراضى لتأسيس منازل للاجئين كذلك هناك بعض المتسوطنات مثل مستوطنة رواموانجا قادرة على توفير أراضى صالحة للزراعة، والتى يقوم فيها للاجئون بزراعة تلك الأراضى ونظرًا لتوفر العمالة الرخيصة بين اللاجئين فإن إنتاجية الفدان أصبحت أعلى بكثير من الأراضى الأخرى التى يزرعها المواطنون الأوغنديون وهو ما يوفر المحاصيل الزراعية والمواد الغذائية، وكذلك توظيف العمالة من الأسر الأخرى ويشترون البذور والأسمدة اللازمة للزراعة من الشركات المحلية الأوغندية وبالتالى يؤدى الى زيادة كبيرة فى الدخل

[1] Uganda, https://unhcr.org, Op. Cit
[2] Economic Impact of Refugee Settlements in Uganda-uganda https://reliefweb.int/report/uganda/econmic-impact-refugee-settlements-uganda.

المحلى الأوغندى، الأمر الذى أدى إلى زيادة فى دخل تلك الأسر إلى قرابة 785 دولار أمريكى .[1]

كما تستفيد أوغندا من أنشطة منظمات الإغاثة فوفقاً للحكومة الأوغندية، يجب على وكالات الإغاثة توسيع خدماتها إلى المجتمع المضيف بنسبة 30 : 70 ، وهذا يعني أن كل بئر أو عيادة تخدم 700 لاجئ تحتاج أيضاً إلى خدمة 300 من السكان المحليين على الأقل[2].

وفي الختام يجب القول بأنه: " لم تكن سياسات الترحيب باللاجئين في أوغندا قائمة على الفوائد الاقتصادية، بل أنها قد بدأت كالتزام أخلاقي "[3].

ثانياً : التحديات التي تواجه عمليات دمج اللاجئين في أوغندا

تواجه أوغندا العديد من التحديات في عملية دمج اللاجئين، ومن أبرز تلك التحديات ما يلي:

1. تحديات اللغة

تظل الحواجز اللغوية عقبة كبيرة أمام اندماج اللاجئين في أوغندا، على سبيل المثال، لدى أوغندا أكثر من 56 لغة أصلية، معظمها لا يتحدث ولا يفهمها اللاجئون،

[1] Heng Zhu , Mateusz Filipski,(et.al), Economic Impact of Refugee Settlements in Uganda, (Los Angeles, University of California, world food programme,28 october 2016) P.P., 3-5

[2] How Uganda sees refugees a benefit, not a burden
http://www.care-international.org/stories/how-uganda-sees-refugees-benefit-not -burden.

[3] idem

وهذا له تأثير ضار كبير على دمج اللاجئين في المجتمع الأوغندي، اللاجئون الأكثر ضعفاً هم أولئك الذين لم يحصلوا على حد أدنى من التعليم والكفاءة في اللغة المحلية[1].

2. زيادة تدفق اللاجئين إلى أوغندا

تقع أوغندا في منطقة غير مستقرة سياسياً وأمنياً، حيث أن هذه المنطقة تشهد العديد من الصراعات والحروب التي لم تتوقف، وقد أدى هذا الوضع إلى الزيادة المستمرة في عدد اللاجئين من الدول المجاورة على رأسها (الكونغو الديمقراطية، وجنوب السودان، والصومال)، وقد شكلت هذه الزيادة ضغطاً كبيراً على الحكومة الأوغندية، من حيث الضغط المتزايد على موارد الدولة والخدمات الأساسية التي تقدمها.

ومع زيادة أعداد اللاجئين بشكل مضطرد باتت سياسة الحكومة فى دمج اللاجئين وتخصيص الأراضى لهم مهددة بالفشل خاصة أن الأرض الصالحة للزراعة من الموارد المحدودة ومع الزيادة السكانية الكبيرة فى أوغندا فقد تضطر الدولة إلى ايقاف برنامج تخصيص الاراضى للاجئين، وبالفعل فقد تم تقليص مساحة الأرض المخصصة لبناء المنازل من أجل استيعاب العدد المتزايد اللاجئين، ومن المرجح أن يزداد الوضع سوءًا مع استمرار تدفق اللاجئين الفارين من النزاعات في البلدان المجاورة.[2]

3. تحديات اللاجئين المستقرين ذاتياً

يواجه اللاجئين المستقرين ذاتياً عدة تحديات، وذلك لأن سياسة الحكومة في أوغندا تهتم أكثر باللاجئين المستوطنين وتوفر لهم المساعدة والحماية، وهذا يعني أن الذين يعيشون مستقرون بأنفسهم ليس لديهم حقوق محددة في الحماية من الحكومة أو المفوضية

[1] Refugee intergration and globalization: Uganda and Zimbabwean perspectives- Journal of Human Rights and Social Work .
https://link.springer.com/article/10.1007/s41139-021-00189-7

[2] Frank, Ahimbisibwe, Uganda and the refugee problem: challenges and opportunities, in African Journal of Political Science and International Relations, (Lagos, Academic Journals,Vol.13, NO .5 ,December 2019) ,P.64

السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، وغالباً ما يعيشون في ظروف رهيبة، ويكونون عرضة للتحيز، أيضاً يواجه اللاجئون المستقرون بأنفسهم تحديات في الوصول إلى الخدمات الصحية والمأوى والتعليم لأن المجتمعات المضيفة تعتقد أنه يجب على اللاجئين الإقامة في مستوطنات معينة، ومما يثير القلق أيضاً افتقار الحكومة إلى الاستثمار في التدخلات الحاسمة للحد من الصراع بين اللاجئين والمجتمعات المضيفة، وكل ذلك يؤثر تأثيراً سلبياً عملية دمج اللاجئين في أوغندا بطبيعة الحال[1].

4. ضعف الموارد الاقتصادية والدعم الدولي

على الرغم من كون أوغندا أكبر دولة مضيفة للاجئين فى أفريقيا ولذلك فهى تواجه مطالب كبيرة لتلبية احتياجات هؤلاء اللاجئين وتمثل سياسية دمج اللاجئين فى أوغندا والنموذج المتقدم الذى تقدمة تحديًا مضاعفًا نتيجة لضعف الدعم الدولى لها بالتزامن مع الزيادة الكبيرة فى تدفق اللاجئين والإقامة المطولة لهم مما يمثل ضغطًا مضاعفًا على موارد الدولة المرهقة والعاجزة عن تلبية حاجات مواطنيهم .[2]

حيث تشير الاحصاءات الى أن 21% من الشعب الأوغندى يعيشون تحت خط الفقر وتزيد هذه النسبة بالتاكيد داخل مستوطنات اللاجئين ومناطق العبور والتى تحتوى على أعلى مستويات للفقر وأدنى مؤشرات للتنمية البشرية، بالاضافة إلى أن 64% من الشباب فى سن العمل يعانون من البطالة ، ونظرًا لكون أكثر من نصف اللاجئين فى أوغندا من الأطفال والذين يمكن لـ 46% فقط منهم فى سن المدرسة من الوصول إلى التعليم سواء الرسمى أو غير الرسمى مع وجود فجوة كبيرة بين الجنسين فى الالتحاق بالمدارس.

[1] Refugee intergration and globalization: Uganda and Zimbabwean perspectives-Journal of Human Rights and Social Work, Op. Cit.

[2] https://www.un.org/africarenewal/magazine/december-2018-march-2019/uganda-stands-out-refugees-hospitality

ومع فشل منظومة دعم اللاجئين دوليًا والتغاضى عن مبدأ تقاسم المسئولية الدولية وخاصة فى الشمال المتقدم، حيث فشلت المفوضية السامية لحقوق اللاجئين فى توفير الدعم المادى الكافى للاجئين فى الدول النامية من أجل تخفيف العبء على الدول المستضيفة للاجئين.

ففي يونيو 2017 دعا الرئيس الأوغندي يورى موسيفيني والأمين العام للأمم المتحدة إلى مؤتمر التضامن مع اللاجئين فى كمبالا على أمل جمع 2 مليار دولار لدعم اللاجئين وجذب انتباه المجتمع الدولى لتلك المشكلة المتفاقمة وخاصة مع تناقص الموارد التى يمكن توفيرها لهم لم يتمكن إلا فى الحصول على 358 مليون دولار فقط أى قرابة 18% من المبلغ المطلوب.[1]

5. الأزمات الاجتماعية والاقتصادية

في أوغندا، يبدو تخصيص الأراضي للاجئين من أجل تعزيز تنميتهم واكتفائهم الذاتي نموذجاً مثالياً للاندماج، ولكن يتم تقويضه بسبب ندرة الأرض وجودتها الرديئة مما يؤدي إلى تدهور العلاقة بين اللاجئين والمجتمعات المضيفة مما ينتج عنه كراهية الأجانب والعداء لهم، وأخيراً المواجهة العنيفة، وتشكل هذه العدائية عقبة أمام الاندماج[2].

6. التحديات الامنية والبيئية

تواجه أوغندا أعباء أمنية وبيئية جراء استضافة اللاجئين حيث يمثل هؤلاء اللاجئين تهديدات مباشرة وغير مباشرة، فالتهديدات المباشرة من خلال المحاربين الفارين واللاجئين إلى أوغندا حيث يشتركون فى أعمال انتقامية ببلدانهم الأصلية مما يؤدى إلى

[1] International Rescue Committee , A New Response to the Protracted Refugee Crisis in Uganda A case study of World Bank financing for refugee-hosting nations, (Washington, DC, November 2018) P. 9

[2] Refugee intergration and globalization: Uganda and Zimbabwean perspectives- Journal of Human Rights and Social Work, Op. Cit.

نشوب أزمات بين أوغندا ودول الجوار واتهامات بدعم الارهاب وقوات التمرد، ومن ناحية أخرى فقد ينخرط هؤلاء المحاربين أنفسهم فى أنشطة متمردة عسكريًا على أراضى الدول المضيفة نتيجة نقص الموارد المخصصة لهم وضعف الموارد المتاحة لهم .

ومن بين التهديدات غير المباشرة هو تورط اللاجئين فى جرائم مثل السرقة والتنافس على فرص العمل مع المواطنين ومن بين الأسباب البارزة للنزاعات بين اللاجئين والسكان المضيفين هو التنافس على الاراضى خاصة مع محدودية مساحة الارض وزيادة اعداد السكان وكذلك تعد تلك الأراضى مصدر رئيسي لكسب العيش للاجئين والمواطنين على حد سواء .[1]

المطلب الثالث : اتفاق إعادة توزيع اللاجئين إلى رواندا

أعلنت بريطانيا فى 14 أبريل 2022 أنها توصلت إلى اتفاق مع رواندا يقضى بإرسال المهاجرين وطالبى اللجوء الذين يعبرون بحر المانش الى رواندا، فى الوقت التى تحاول فيه بريطانيا وضع حد لتدفق أعداد قياسية من طالبي اللجوء والهجرة غير الشرعية.

قبل هذا الاتفاق بأشهر قليلة وجهت المملكة المتحدة إدانة إلى تلك الدولة الأفريقية، بسبب فشلها في التحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان على أراضيها[2].

لكن صفقة جديدة بملايين الجنيهات الإسترلينية، ستتيح للسلطات البريطانية ترحيل مهاجرين يبحثون عن ملاذ لهم في المملكة المتحدة، مسافة 4 آلاف ميل إلى الدولة الواقعة "شرق القارة الأفريقية"، كي تتم معالجة طلباتهم المتعلقة باللجوء، في عملية

[1] Frank Ahimbisibwe, The Refugee Dilemma: Refugee Rights versus State Security in Uganda, in research Journal of social science &management (Singapore, the international Journals, Vol. 3, No. 6, October 2013) P.P.11- 12

[2] لندن دانت رواندا لانتهاك حقوق الإنسان ثم أبرمت اتفاقاً معها
https://www.independentarabia.com/noode/322051.

وصفتها وزيرة الداخلية البريطانية " بريتي باتيل " بأنها شراكة رائدة عالمياً في موضوع الهجرة[1].

بعد هذه الصفقة أشاد " جونسون " برواندا، واصفاً إياها بأنها إحدى أكثر الدول أماناً في العالم، ومشيراً أنها بلد " معترف عالمياً بسجله في مجال الترحيب بالمهاجرين ودمجهم في المجتمع "[2].

وتعيد هذه الاتفاقية إلى الأذهان ما لاقاه الأفارقة قديما من استعباد من قبل المستعمر الغربى والذى تاجر ونقل أعدادًا كبيرة من شباب القارة الأفريقية لبناء نهضتهم الحديثة واستخدامهم نظرًا لقوتهم البدينة والعضلية فى زراعة قصب السكر والقطن فى المناطق الجديدة التى يتم اكتشافها ، وعقب ظهور الثورة الصناعية والتحول من الصناعة اليدويةة الى قوة الماكينة خلال الفترة من (1760- 1840) باتت الحاجة إلى كل هذه الأعداد من العبيد ضعيفة جدًا فتم اللجوء إلى ماسمى بمرسوم عتق العبيد عام 1833 وهو ما يتزامن مع تحول الرأسمالية الأوروبية من الرأسمالية التجارية الى الصناعية ، وهو ما يتطلب ضرورة بقاء تلك الأيدى العاملة داخل أفريقيا والعمل فى مزارعها ومناجمها تحت الإدارة الاستعمارية.[3]

ومن الواضح الآن أن أوروبا تحاول التنصل من التزاماتها بشأن توفير الحماية الدولية للاجئين، والتي تكفلها لهم الاتفاقيات والتعهدات الدولية والإقليمية التي أقرتها منظمة الأمم المتحدة، والتي من أهم بنودها عدم إعادة اللاجئين أو ما يعرف بحظر الطرد إلى أي بلد آخر غير بلد اللجوء؛ حيث قد تشكل عملية نقلهم خطراً على أمنهم وحياتهم.

---

[1] **نفس المرجع**

[2] **نفس المرجع.**

[3] https://www.albayan.ae/paths/books/2008-07-20-1.658515

وفي إطار السياق السابق يمكن القول أن الاتفاقية الجديدة التي أقرتها الحكومة البريطانية هو عبارة عن إعادة لتوزيع طالبى اللجوء إلى رواندا لحين الفصل فى طلبات اللجوء الخاصة بهم وكان كل من وزيرة الداخلية البريطانية بريتى باتل قد قدمت فى مقال مشترك مع وزير الخارجية الرواندى فنسنت بيروتا نشر فى صحيفة التايمز أنهما اقترحا حلًا مبتكرًا لمواجهة الاتجار فى البشر، موضحين أن النظام العالمى للجوء ينهار تحت ضغط الازمات الانسانية والاتجار بالبشر . [1]

ورغم أن هناك سوابق مماثلة غير معلنة[*] في هذا الشأن إلا أن ردود الأفعال على هذه الخطة المزمعة قد أتت بمجملها لتدين الخطوة البريطانية سواء من منظمات وجماعات محلية أو دولية[2].

لقد أبدى مدير عام مجلس اللاجئين أنور سولومون ذهولة من قرار الحكومة الذى وصفة بالبغيض والذى لن يحول دون وصول اللاجئين إلى بريطانيا، خاصة وأنه قد أُثيرت

---

[1] https://www.bbc.com/arabic/world-61139833

[*] يتردد أن صفقة هجرة مماثلة عُقدت بين رواندا وإسرائيل ما بين عامي 2014، 2017م، انتهت بمغادرة فورية تقريباً لجميع المهاجرين الذين تم إرسالهم إلى تلك الدولة الأفريقية بعد وصولهم إليها، فقد حاول كثيرون منهم العودة إلى أوروبا عبر طرق تهريب البشر، كليبيا على سبيل المثال، حيث تفشى آفة الإتجار بالأفراد وانتهاكات حقوق الإنسان.

لندن دانت رواندا لانتهاك حقوق الإنسان ثم أبرمت اتفاقاً معها، مرجع سبق ذكره.

كما وقعت رواندا مع الدنمارك اتفاقية تعاون بخصوص الهجرة واللجوء مع رواندا ولم يتم الاعلان عن تفاصيلهما وسط تخوفات من أن تكون في إطار خطة الحكومة الدنماركية لإقامة مركز استقبال لطالبي اللجوء في بلد ثالث، وأشارت العديد من التقارير إلى الزيارة الرسمية التي أجراها كل من وزير الهجرة والاندماج "ماتياس تسفاى" ووزير التنمية "فليمنج مولر" إلى رواندا لتعزيز العلاقات بين البلدين وتعاون أوثق في قضايا الهجرة .

https://www.enabbaladi.net/archives/5658

40

كما وقعت مفوضية شئون اللاجئين عام 2019 مذكرة تفاهم مع الاتحاد الافريقي تتضمن إجلاء لاجئين وطالبي لجوء مسجلين فيها من ليبيا إلى رواندا بحسب السكرتير الدائم في الوزارة المسئولة عن إدارة الأزمات في رواندا وشملت الدفعة الأولى 306 شخص أغلبهم من القرن الأفريقي وبينهم أطفال وشباب معرضون للخطر، وقد عادت عملية نقل اللاجئين مرة أخرى بعد توقف بسبب إغلاق الحدود نتيجة لجائحة كورونا حيث تم نقل أكثر من 114 لاجئ أخر وجارى استكمال نقل العديد من اللاجئين من الفئات الأكثر تعرضاً للخطر.

https://www.unhcr.org/ar/news/briefing/2020/11/5fb7c6be4.html

[2] لماذا ترغب بريطانيا في ترحيل طالبي اللجوء، ردود فعل دولية،

https://roayahnews.com.

شكوك عديدة حول سجل حقوق الانسان فى رواندا ساخرًا من التناقضات فى السياسة البريطانية إذ كانت الحكومة البريطانية عبرت عن قلقها العام الماضى فى الأمم المتحدة بسبب استمرار القيود المفروضة على حقوق الانسان والحقوق السياسية وحرية الصحافة فى رواندا وذلك قبل أشهر قليلة فقط من توقيع الاتفاق الجديد.

كما أعلن زعيم حزب العمال "سير كير ستارمر" عقب الإعلان عن الاتفاق عن كون المشروع غير قابل للتنفيذ، وأن الهدف منه هو صرف النظر عن فضيحة الغرامات التي فرضت على أعضاء في حزب المحافظين بسبب مخالفتهم قوانين الإغلاق في بداية جائحة كورونا، فيما أعرب المدير التنفيذي لمنظمة الصليب الأحمر البريطاني عن قلقة مشيرًا أن تكلفة مشروع الترحيل " المادية والانسانية" ستكون كبيرة خاصة بعد الوعود البريطانية بتوفير استثمارات مباشرة تقدر بحوالي 150 مليون جنيه استرليني في رواندا من أجل توفير فرص العمل لهؤلاء اللاجئين .[1]

أما عن الهاجس الأكبر بشأن رواندا، فكشف " كريستيانو دي أدرس " الخبير في القانون واللجوء، أن البلد لا تعطي آفاقاً جيدة لاستقبال اللاجئين بسبب ضعف الفرص المهنية، وتردي الوضع الاقتصادي، ما سيجعل اعتماد اللاجئ على ذاته أمراً شبه متعذر، علاوة على عدم قدرة البلد على استقبال اللاجئين ودمجهم مع السكان، لكل هذه الاعتبارات يرى العديد من الخبراء أن الخطة لا يجب أن تنفذ[2].

لقد تم إحباط المملكة المتحدة في محاولاتها الأولية لترحيل المهاجرين إلى رواندا بعد أن أصدرت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان أوامر قضائية في اللحظة الأخيرة.[3]

[1] ترحيل المهاجرين من بريطانيا إلى رواندا / انتقادات لاذعة وترحيب دانماركي : 18/4/ 2022على الرابط :
https://www.infomigrants.net/ar/post/39936

[2] لماذا ترغب بريطانيا في ترحيل طالبي اللجوء، ردود فعل دولية، مرجع سبق ذكره.

[3] Row and Vows to resettle UK a sylum-seekers despite criticism dw.com.

ولقد أثارت الصفقة اتهامات بأن الاتفاق يسمح للبلدين بالانخراط في الاتجار بالبشر، لكن كلاً من المملكة المتحدة ورواندا تجادلان بأن الاتجار هو بالضبط ما تهدف الاتفاقية إلى مكافحته.[1]

خاتمة

لقد قدمت المفوضية السامية لشؤون اللاجئين ثلاثة حلول رئيسية دائمة للاجئين، وهي: إما العودة الطوعية إلى الموطن الأصلي، أو الاندماج في البلد المضيف، أو إعادة التوطين وهذه الحالة الأخيرة الذي يتم اللجوء إليها عندما تصبح العودة أو الاندماج غير ممكن، وعادة ما تفضل المفوضية العودة الطوعية للوطن الأصلي على الخيارات الأخرى.

ودائماً تحاول المفوضية السامية لشؤون اللاجئين أن تعمل مع بلدان اللجوء والدول التي من المحتمل أن تقبل بدمج اللاجئين، أو إعادة توطينهم، وكذلك تتعامل المفوضية مع المنظمات الدولية والإقليمية بمختلف الطرق لتحديد اللاجئين ومن ثم إعادة توطينهم أو دمجهم في المجتمعات والدول التي تقبلهم.

وفي هذا السياق ومن خلال عملها لحماية حقوق اللاجئين تواجه المفوضية السامية لشؤون اللاجئين العديد من التحديات من أهمها، تغاضي الكثير من الدول خاصة الدول المتقدمة عن مبدأ تقاسم المسئولية الدولية تجاه اللاجئين، وهذا أدى إلى ارتفاع الفجوة التمويلية من المساهمات والاحتياجات، حيث أن المساهمات السابقة رغم أنها كبيرة ولكنها لا تتواكب مع الزيادة الكبيرة في عدد اللاجئين بسبب الحروب والصراعات المستمرة في العالم لاسيما في القارة الأفريقية.

وفيما يتعلق بالدول حالة الدراسة، نجد أن أوغندا وعلى الرغم من تاريخها وخبرتها الكبيرة في استقبال اللاجئين إلا أنها تواجه العديد من التحديات منها ضعف الدعم الدولي

[1] Idem.

مقارنة بالأعداد الكبيرة من اللاجئين التي تستقبلها أوغندا، وهذا ما أدى إلى إضعاف البرامج المخطط لها لعملية دمج اللاجئين في أوغندا.

أضف إلى ضعف الدعم الدولي، الصعوبات الداخلية نتيجة لضعف البنية التحتية، وزيادة التنافس على الأراضي بين اللاجئين والسكان المحليين، مما أدى أو قد يؤدي إلى اضطرابات من شأنها إفشال عملية اندماج اللاجئين في المجتمع الأوغندي.

أما بالنسبة للاتفاق الأخير بين المملكة المتحدة ورواندا، فليس هناك أي ضمانات على عدم انتهاك حقوق اللاجئين في رواندا، إلا تعهدات المملكة المتحدة بتقديم دعم مالي كبير لتوفير الحماية الكافية للاجئين، إلا أن مصير هؤلاء اللاجئين يثير العديد من التساؤلات حال عدم وفاء المملكة المتحدة بالتزاماتها تجاه اللاجئين في رواندا، وعلى جانب أخر ما هو الضامن الحقيقي لعدم قيام الحكومة الرواندية بترحيلهم مرة أخرى إلى بلدانهم الأصلية رغم الأخطار المحدقة بهم عند العودة، نتيجة لفشل المنظومة الدولية لدعم اللاجئين.

ولهذه الأسباب وغيرها واجهت الاتفاقية بين المملكة المتحدة ورواندا انتقادات كثيرة سواءً داخلياً أو خارجياً.

وختاماً يمكن القول أن المفوضية السامية لحقوق اللاجئين، والدول المستقبلة للاجئين تحاول الحفاظ على حقوق اللاجئين، وإيجاد حلول بين دمج، وتوطين اللاجئين، إلا أن مجموعة التحديات التي تواجههم تؤدي إلى فشل كثير من الخطط والبرامج الخاصة بحماية حقوق اللاجئين، سواء كانت هذه الخطط صادرة من المفوضية السامية، أو متعلقة بكل دولة على حدة.

وأخيراً يجب التأكيد على أن مشكلة اللاجئين لا يمكن معالجتها بمعزل عن الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتي أدت إلى تفشي هذه الظاهرة في العالم.

المراجع:

1. سلمى علي سالم إبراهيم ، اندماج اللاجئين في المجتمعات المضيفة: دراسة مقارنة بين الأفارقة والسوريين في المجتمع المصري، المركز الديمقراطي، 13 يوليو 2017.
   https://democraticac.de/?p=47637
2. المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين 2021-2022 .
   https://www.unhcr.org/ar/abe7cc2762F.html.
3. overview of Part 1 . Main Concepts and Issues, P.P., 4-5 at :
https://www.unhcr.org/44c4854b2.pdf
4. إعادة التوطين ، المفوضية السامية للاجئين UNHCR ، نشرة الهجرة القسرية/ 10أكتوبر 2016.
   https:www.fmreview.gor/ar/resettlement-cfa
5. Reem El-Radi, The Resettlement Experiences of Southern Sudanese Women Refugees in Minnesota, PhD Thesis, (Minnesota, University of Minnesota, 2015) P.P., 16-17
6. https://arab-deutschland.com/%D8%A5%D8%B9%D8%A7%D8%AF%D8%A9%D8%AA%D9%88%D8%B2%D9%8A%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%A6%D9%8A%D9%86/
7. Dr Brooke McDonald, (et.al), (Eds) Refugee Resettlement in Regional and Rural Victoria: Impacts and Policy Issues (Carlton, Victorian Health Promotion Foundation, March2008) P.1
8. Mihaela Robila, Refugees and Social Integration in Europe, (New York, Paper presented to The United Nations Expert Group Meeting , 15-16 may 2018), P 10

9. Fumiko Tsutaki, Issue of Immigration and Refugees and Multiculturalism in Europem at:
www.iop.or.jp/documents/1626*%5B112-124%5DJournal26_Tsutaki.pdf.
10. UGANDA
http://www.unhcr.org/uganda.html,
11. Uganda has a remarkable history of hosting refugeesm but its efforts are underfunded.
12. https://theconversation .com/Uganda-has-a-remarkable-history-of-hosting-refugees-but-its-efforts-are-underfunded-166706.
13. أوغندا: تطبيق الإطار الشامل للاستجابة للاجئين.
https:www.unhcr.org/ar/5agbdo424.html
14. UNDP, Uganda's Contribution to refugee protection and management , (kampala, united nation Development programme ,2017) P.P.,1-3
15. UNHCR, Comprehensive refugee Response framework :The Uganda Model, Comprehensive Response case study , P.P.,3-4
16. The Republic of Uganda , Uganda's Refugee Response: Our story based on the facts and Experiences , (kampala, CRRF , 2018) P.13
17. Uganda has a remarkable history of hosting refugeesm but its efforts are underfunded, Op.Cit.
18. https://opm.go.ug/comprehensive-refugee-response-framework-uganda/
19. Uganda countryrefugee response plan-emergency appeal, April-June2022 uganda

http://relifweb.int/report/uganda/uganda-country-refugee-response-plan-emergency-appeal-april-june-2022

20. Economic Impact of Refugee Settlements in Uganda-uganda https://reliefweb.int/report/uganda/econmic-impact-refugee-settlements-uganda.
21. Heng Zhu , Mateusz Filipski,(et.al), Economic Impact of Refugee Settlements in Uganda, (Los Angeles, University of California, world food programme,28 october 2016) P.P., 3-5
22. How Uganda sees refugees a benefit, not a burden http://www.care-international.org/stories/how-uganda-sees-refugees-benefit-not -burden.
23. Refugee intergration and globalization: Uganda and Zimbabwean perspectives-Journal of Human Rights and Social Work . https://link.springer.com/article/10.1007/s41139-021-00189-7
24. Frank, Ahimbisibwe, Uganda and the refugee problem: challenges and opportunities, in African Journal of Political Science and International Relations, (Lagos, Academic Journals,Vol.13, NO .5 ,December 2019) ,P.64
25. https://www.un.org/africarenewal/magazine/december-2018-march-2019/uganda-stands-out-refugees-hospitality
26. International Rescue Committee , A New Response to the Protracted Refugee Crisis in Uganda A case study of World Bank financing for refugee-hosting nations, (Washington, DC, November 2018) P. 9
27. Frank Ahimbisibwe, The Refugee Dilemma: Refugee Rights versus State Security in Uganda, in research Journal of social science

&management (Singapore, the international Journals, Vol. 3, No. 6, October 2013) P.P.11- 12

28. لندن دانت رواندا لانتهاك حقوق الإنسان ثم أبرمت اتفاقاً معها

https://www.independentarabia.com/noode/322051.

29. https://www.albayan.ae/paths/books/2008-07-20-1.658515

30. https://www.bbc.com/arabic/world-61139833

31. https://www.enabbaladi.net/archives/565840

32. https://www.unhcr.org/ar/news/briefing/2020/11/5fb7c6be4.html

33. لماذا ترغب بريطانيا في ترحيل طالبي اللجوء، ردود فعل دولية،

https://roayahnews.com.

34. ترحيل المهاجرين من بريطانيا إلى رواندا / انتقادات لاذعة وترحيب دانماركي : 4/18/ 2022على الرابط :

https://www.infomigrants.net/ar/post/39936

35. Row and Vows to resettle UK a sylum-seekers despite criticism dw.com.

الفن والمقاومة في الحياة السياسية الأفريقية

إعداد: د. محمد فؤاد رشوان

باحث في الشئون الأفريقية، ورئيس برنامج الدراسات الأفريقية بمركز رع للدراسات الاستراتيجية.

Abstract

The relationship of art to political life, a phrase that needs a lot of reflection. Is art merely the paintings and music full of beauty that feed the soul and fly away in dreamy perfect worlds that take us out of the ugliness of the reality we live in? Or is art at the heart of society's problems and creating solutions to them in more creative ways to achieve a more beautiful and life-friendly reality.

The use of art in resistance is not a new fad, nor is it one of the fruits of an era or of a people. If we follow the literary monuments from time and place since the creation of the literary arts, there are classes and arts from the use of literature to resist, which indicates a close link between creativity and man's material and moral needs

مقدمة

علاقة الفن بالحياة السياسية، عبارة تحتاج إلى كثير من التأمل هل الفن هو مجرد اللوحات الفنية والموسيقى المليئة بالجمال والتي تغذى الروح وتحلق بها بعيدًا فى عوالم مثالية حالمة تخرج بنا من قبح الواقع الذى نعيشه؟ أم أن الفن هو الخوض فى قلب

المشاكل التي يعيشها المجتمع وخلق حلول لها بطرق أكثر ابداعية وصولًا إلى واقع أكثر جمال وملائمة للحياة.

وتوظيف الفن في المقاومة ليس بدعة جديدة ولا هو أحد سمات عصر من العصور ولا بشعب من الشعوب، فلو تتبعنا الآثار الأدبية عبر الزمان والمكان منذ نشأة الفنون الأدبية لوجدت صنوف وفنون من توظيف الأدب للمقاومة وهو ما يدل على وجود ثمة صلة وثيقة بين الإبداع واحتياجات الانسان المادية والمعنوية.

أما عن المقاومة بالفن فتتوقف على أربعة عناصر هي طبيعة الفنان وخصوصيته وثقافته ونفسيته ومدى استعداداه للتضحية في سبيل موضوع المقاومة ومدى إيمانه به، كذلك طبيعة موضوع المقاومة ذاته وخصائصه وهو النضال ضد الاستعمار أو الاحتلال أو مقاومة الفساد مع ضرورة الانتباه إلي أن ثمة فرق بين نضال المبدع بفنه ونضاله في ساحة المعركة، وأيضًا طبيعة الفن ذاته فما يمكن أن يؤديه الشعر من مقاومة يختلف عما تؤديه القصة أو المقال أو الأغنية ولذلك يتم توظيف كل فن من الفنون بما يتناسب مع طبيعته في مجال المقاومة، وأخيرًا الغاية المعلقة على هذه المقاومة فهناك فرق كبير بين المقاومة من أجل طرد المستعمر أو المحتل وبين مقاومة الفساد أو مقاومة أوضاع سياسية خاطئة.[1]

ومن هنا جاءت فكرة الدراسة عن دور الفن في حياة الشعوب الافريقية وكيف عاش معهم سنوات نضالهم ضد الاستعمار وإنهاء الإرث العنصري في جنوب أفريقيا وإلهاب الثورات الأفريقية سواء ضد الاستعمار أو ضد حكام مستبدين، ثم التحولات الحالية

[1] عزت السيد أحمد ، المقاومة في الفن والمقاومة بالفن، **مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية**، (اللاذقية ، جامعة تشرين ، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 27 العدد (1) ، 2005) ص ص177 – 179

من ترشح للانتخابات الرئاسية ، أو اغتيال أحدهم ليصبح فتيل لثورة ضد حكومة أبى أحمد فى إثيوبيا.

أولًا : ارتباط التاريخ النضالى لأفريقيا بالفن .

1- الفن والثورات المصرية

ارتبطت تاريخ الثورات المصرية ضد الاحتلال بالأغاني الوطنية التي ألهبت حماس الشارع المصري مثل أغاني الراحل سيد درويش خلال ثورة 1919 والتي تعد أول الثورات الأفريقية ضد الاحتلال، ومثلت مرحلة هامة فى تاريخ النضال المصري والأفريقي ضد الاحتلال الانجليزي، حيث قامت بريطانيا بإعلان الأحكام العرفية على مصر ووضعتها تحت الحماية البريطانية ومن ثم بدأت بعدها سلسلة من الانتهاكات والظلم للشعب المصري والاستيلاء على ثرواته، ومقدراته حيث كبدت بريطانيا مصر أعباء حربها التي كانت تخوضها خلال الحرب العالمية الأولى، و تم مصادرة أملاك الفلاحين المصريين للمساهمة فى تكاليف تلك الحرب وإجبار الفلاحين على زراعة محاصيل معينة تتناسب مع متطلبات الحرب وتم شرائها بأسعار زهيدة، وكذا إجبار المصريين على التجنيد للعمل خلف خطوط الجيش البريطاني[1]

وقد اندلعت شرارة الثورة المصرية في أعقاب اعتقال سعد زغلول وثلاثة من زملائه وهم؛ محمود باشا واسماعيل صدقي باشا وحمد الباسل باشا ونفيهم إلى جزيرة مالطا في الثامن من مارس 1919 وهنا ألهبت أغاني سيد درويش والتي تعاون فيها مع بيرم التونسي وبديع خيرى روح الوطنية لدى الشعب الثائر مثل أغنيات " بلادي بلادي، لك

[1] أسباب ونتائج ثورة 1919 فى مصر على رابط :

https://www.almrsal.com/post/858583

حبى وفؤادي وأغنيه قوم يامصري مصر دايما بتناديك" وكذلك" أنا المصري كريم العنصرين بنيت المجد بين الاهرامين " وقد كانت أغنياته بمثابة الهتافات السياسية التي يطلقها المواطنون في الشوارع فور تلحينها فلعبت دور الضمير الوطني الذى يحرك الشارع المصري في ذلك الوقت.

ووفقًا للعديد من المؤرخين يعد عام 1919 الأكثر إنتاجًا فنيا فى حياة سيد درويش إذ قدم اكثر من 75 لحنًا فى هذا العام وهو ما يدل على تفاعله الشديد مع مجريات الأحداث السياسية فى البلاد بأعماله الفنية.[1]

وتكلل ذلك النضال في نجاح المصريين في انتزاع استقلالهم من الاحتلال الانجليزي مع احتفاظ انجلترا ببعض المسائل كالدفاع عن المصالح الأجنبية والسودان والأقليات، كذلك نجح الشعب المصري في وضع دستور 1923 ومن ثم تأسيس هيئة تشريعية من مجلسين .

ومن سيد درويش إلى أغاني أحمد فؤاد نجم والشيخ إمام عيسي والتي كانت تمثل مقاومة من نوع أخر فقد اشعلت أغانيهم الوطنية والثورية الجامعات والنقابات العمالية وتجمعات المثقفين لمقاومة التطبيع مع الكيان الصهيوني والدفاع عن القضايا القومية العربية في الغناء لكل من فلسطين والجزائر ولبنان ويصرخ من وجع نكسة يونيو 1967. والتي تحولت أغانيهما إلى أيقونة وشعار للثورة الشعبية فى 25 يناير 2011 والتى رددها الشباب الثائر فى الميادين للثورة على الظلم والفساد.[2]

[1] سيد درويش صوت ثورة 1919 الذى أشعل حماس الجماهير في مصر :
https://www.bbc.com/arabic/art-and-culture-47604041

[2] محمود دوير " أغنية المقاومة : من سيد درويش الى محمد حمام .. أيونه النضال التى انطفأت" 27 فبراير 2019 :

فكانت تلك الأغانى الوطنية ملهمة للتغير الداخلى والثورة على الأوضاع الاقتصادية والسياسية المتردية من ناحية ومقاومة الاحتلال سواء المعلن أو المقنع فى صور التبعية الاقتصادية والسياسية.

1- الفن في مواجهة نظام الفصل العنصرى فى جنوب أفريقيا

يتميز تاريخ جنوب أفريقيا تحت الحكم البريطاني الأبيض بوجود أكثر أنظمة الفصل العنصري وحشية التي عرفها العالم على الإطلاق، وهو ما يعرف بنظام الفصل العنصري والذى جعل الأفارقة سجناء داخل أوطانهم لصالح قلة من الأجانب الملونين حيث أجبرت قوانين الفصل العنصري الملايين من العيش فى معازل فقيرة حرموا فيها من أبسط حقوق الإنسان وسيطرت خلالها الأقلية البيضاء على كافة مفاتيح السلطة السياسية والاقتصادية.

وخلال 46 عامًا من وجود نظام الفصل العنصري تطورت حركات المقاومة من نقابات غير محكمة التنظيم، للاحتجاجات السلمية وصولًا إلى تحالفات قوية ومسلحة مثل المؤتمر الوطني الأفريقي ANC، وخلال كافة تلك المراحل غذى الفن بأشكاله المختلفة سواء الموسيقى أو الرسم الحركة الوطنية ووحدتها .[1]

---

https://aswatonline.com/2019/02/27/%D8%A3%D8%BA%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%88%D9%85%D8%A9-%D9%85%D9%86-%D8%B3%D9%8A%D8%AF-%D8%AF%D8%B1%D9%88%D9%8A%D8%B4-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF/

[1] vershbow, Michela E. "The Sounds of Resistance: The Role of Music in South Africa's Anti-Apartheid Movement." ***In Inquiries Journal ,Student Pulse*** (London, Routledge , Vol(2) No(6), (2010).

حيث شكلت أغانى المقاومة للفصل العنصرى زيادة الوعى الجمعي وتوليد الدعم للحركة ضد الفصل العنصرى،حيث جسدت تلك الأغانى والموسيقى الاحتجاجية فى الخمسينيات مشاكل السكان الأصليين من قوانين العبور والترحيل القسرى بعد مذبحة شاربفيل عام 1960[1]

ظهرت الأغانى الاحتجاجية للرد على تصرفات هندريك فيرويرد رئيس وزراء جنوب أفريقيا منذ 1958 وحتى اغتيالة فى 1966 والذى يطلق عليه مهندس الفصل العنصرى فى جنوب أفريقيا لدورة فى تنفيذ عملية الفصل العنصرى خلال فترة تولية منصب وزير شئون السكان الأصليين، وكان هندريك موضوع لأحد أعظم أغانى المقاومة فى جنوب أفريقيا للملحن فايوسيلى مينى Vuyisile mini وأصبحت الأغنية التى تحمل اسم "Ndodemnyama we Verwoerd" أو احترس فيرويرد، ها هو الرجل الأسود قد ولدت أيامك" واحدة من أكثر الاغانى الشعبية فى جنوب أفريقيا.

وكان مينى منخرطًا فى نشاط حزب المؤتمر الوطنى الجنوب أفريقي وكان من أوائل الذين تم تجنيدهم فى تأسيسة العسكرى عام 1961 واعتقل عام 1963 بتهمة الجرائم السياسية

[1] فى بلدة شاربفيل السوداء بالقرب من جوهانسبرج بجنوب أفريقيا فتحت شرطة الافريكانرز النار على مجموعة من المتظاهرين غير المسلحين فى جنوب أفريقيا مما أسفر عن مقتل 69 شخص واصابة 180 أخرين وكان المظاهرونيحتجون على القيود المفروضة على حرية التنقل لغير البيض وفى اعقاب تلك المذبحة اندلعت الاحتاجاجت فى كيب تاون وتم اعتقال أكثر من 10000 شخص قبل ان تستعيد القوات الحكومية النظام وقد اقنعت الحادث زعيم مناهضة الفصل العنصرى نيلسون مانديلا عن موقفة اللعنفى وتنزيم مجموعات شبه عسكرية لمحاربة نظام نظام الفصل العنصرى والقيام ببعض الاعمال العسكرية الصغير ة وأدين بسببها نيلسون مانديلا بالخيانة وحكم عليه بالسجن مدى الحياة ، وأطلق سراحه بعد 27 عام .للمزيد انظر :

Massacre in Sharpeville at :
https://www.history.com/this-day-in-history/massacre-in-sharpeville.

والتخريب وحكم علية بالإعدام عندما رفض الاعتراف على رفاقه ويصفة أحد رفاق السجن بأنه كان يمشى بتحد الى المشنقة وهو يردد أغنيته الشهيرة. [1]

وانتقلت حركة المقاومة للعنصرية إلى مجال أخر وهو المسرح حيث تم تشكيل حركة المسرح الأسود مع بداية سبيعينات القرن الماضى والتى تكونت على يد مجموعة من الطلاب فى منتصف الستينيات بأحد الكليات الجامعية للهنود فى جزيرة سالزبورى والذين بدأوا فى النظر إلى حياتهم فى الحرم الجامعى والتى تختلف عن حياتهم الاجتماعية التى نشأوا فيها حيث وجدوا أنه لا يوجد سوى المسرح الأوروبى الذى ينقل مشكلات وقضايا الرجل الأبيض دون أى تركيز على ظروف ومشكلات الرجل الأسود وباعتبار المسرح يمثل انعكاس للواقع فكان لابد من قيام نهضة مسرحية تعكس حياة الرجل الأسود وطريقة حياته وجعل المسرح انعكاس لوعى الرجل الأسود والتعبير عن الأفكار التى لم يجرؤ على الحديث عنها من قبل وأن يدرك السود من خلاله بأدميتهم وأنهم ليسوا مجرد أشياء أو كائنات مهمشة.[2]

ومن هنا بدأت حركة المسرح الأسود تكشف عن التمييز العنصرى الموجود فى مجتمع جنوب أفريقيا وكان على المسرح الأسود أيضا أن يتكلم لغة الثورة والتحرير كتعبير عن الوعى الأسود وكان الهدف الرئيسى لهذه الحركة هو كسر الإطار المرجعى الأوروبى المركزى للفنون ومحاولة تطوير منهج أفريقي للفنون.

[1] vershbow, Michela E. The Sounds of Resistance **, OP.CiT**,P.8

[2]https://www.researchgate.net/publication/323112944_In_steadfast_allegiance_Adam_Small_and_the_Cape_Flats_Players/fulltext/5a9adcb70f7e9be379661cdc/In-steadfast-allegiance-Adam-Small-and-the-Cape-Flats-Players.pdf

وأخيرًا فى مجال الفنون البصرية فقد نشأت مقاومة من نوع أخر تزعمها ثامى منيل Thami Mnyele[1] والذى رأى منذ بداياته أن المواهب السوداء فى جنوب أفريقيا مُنتجة للبيض، وموجهة للبيض، وحتى مملوكة للبيض، وكانت النتيجة الطبيعة لذلك هو فنون محرفة لاتدور حول الحياة السوداء وتطلعات السود فى جنوب أفريقيا حيث كان السائد أن كل ماهو سلبى كان أسود وتم استغلال الرجل الأسود بوقاحة ودون خجل وذلك بالتزامن مع ظهور حركة المسرح الأسود.

سعى ثامى منيلى من خلال الرسم إلى توثيق ما يحدث فى جنوب أفريقيا فكان يرى أن يجب تصميم رسوم تعبر عن كاف المواقف التى يتعرض لها الإنسان الأسود سواء فى البطاقات البريدية وبطاقات عيد الميلاد، وقد سعى إلى ذلك من خلال تصميم المعارض لتلك الرسوم التى تعبر عن السكان السود ففى يونيو 1976 أقام منيلى، وفيكجيل، وبن أرنولد معرضًا فنيًا حضرة آلاف الأشخاص فى جنوب أفريقيا فى سابقة جديدة على السكان السود وتدافع الناس لمشاهدة لوحاتهم والتى اعتبرها ثامى نوع جديد من أنواع التواصل مع الشعب وزيادة الوعى لديه.

ونتيجة لنشاطة اللافت للنظر تم نفية إلى بوتسوانا ومن هناك أصبح أحد الكوادر الهامة فى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقي وخلال فترة المنفى استمر فى الحركة النضالية من خلال تنظيم العديد من المعارض إلى جانب مشاركته فى التنظيم العسكرى لحزب المؤتمر وانضم للعديد من معسكرات التدريب على القتال فى أنجولا ولوساكا جنبًا إلى جنب مع

[1] ولد ثامى منيلي فى العاشر من ديسمبر 1948 وهو الثالث بين خمسة اطفال فى الكسندرا بالقرب من جوهانسبرج، كان والدة كاهناً وامة عاملة منزلية فى الستنيات انفصل والده عن والدته وارسل للعيش مع أخية وبعد ذلك عمه، وفى اواخر الستينيات أرسلته والدته الى مدرس داخلية فى بريتوريا وبدا تعلم الرسم فيها فى سن الرابعة عشة فى سنته الاخيرة بالمدرسة وترك المدرسة لعدم قدرة والدته على تحمل مصاريفها ، وفى عام 1971 انضم الى مسرح ملوتى الأسود ...للمزيد عن حياة ثامى أنظر:
https://www.sahistory.org.za/people/thamsanqa-thami-mnyele

توثيق ذلك من خلال لوحاته الفنيه وشارك فى تصميم المسودة الأولى لشعار حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى.[1]

وفى مطلع 1985 شارك منيلى فى مؤتمر أمستردام تحت عنوان " سيتم فتح أبواب الثقافة" والذى نظمتة حركة مناهضة العنصرية، وفى 14 يونيو 1985 تم اغتياله قى جابورون عاصمة بوتسوانا عن عمر ناهز 36 عامًا وتم قتله مع أحد عشر شخصًا من ضمنهم أطفال، وقد تم تنفيذ الهجوم من قبل جيش جنوب أفريقيا تحت قيادة الجنرال كونستاند فيلجوين، وفى اليوم التالى لعملية الاغتيال ظهر العقيد كريج ويليامسون فى بث تليفزيونى حاملًا إحدى لوحات ثامى كدليل على نشاطة الإرهابي.[2]

ثانيًا : الفن ومقاومة الفساد والأوضاع السياسية

1- أغتيال هاشالو هونديسا والثورة فى إثيوبيا

تشهد الحياة السياسية فى إثيوبيا اضطرابات إثنيه فى عدد من الأقاليم نتيجة لممارسات آبى أحمد ومحاولته أحكام سيطرته على البلاد وإسكات أى صوت للمعارضة داخل إثيوبيا حتى وإن كانت من داخل جماعته الأثنية (جماعة الأورومو) كما حدث فى اغتيال المطرب هاشالو هونديسا والذى ينتمى لجماعة الأورومو والذى ركزت أغانية على حقوق الأورمو باعتبارها أكبر المجموعات العرقية فى إثيوبيا والتى برزت خلال موجة الاحتجاجات التى أدت الى سقوط رئيس الوزراء السابق هايلى مريام ديسالين، والتى بدأت منذ 2015 وحتى عام 2018 وصعود آبي أحمد للحكم، وينظر إلى هونديسا باعتباره

[1] **Idem**

[2] https://www.zammagazine.com/perspectives/blog/959-studio-zam-how-35-years-after-his-killing-south-african-artist-thami-mnyele-came-to-life

بطلًا فى جماعة الأورمو[1]، وعقب سماع نبأ اغتياله قام محبوه بإغلاق تام لمداخل العاصمة أديس أبابا التى شهدت مظاهرات عارمة، وتم وضع الحواجز وأحرقت الإطارات على الطرق الرئيسية تعبيرًا عن الغضب، وتم خلالها اعتقال أكثر من 9000 شخص وراح ضحيتها أكثر من مائة وستون قتيلًا منهم أكثر من 11 فردًا من الشرطة الإثيوبية.[2]

وقد جاءت عملية الاغتيال بعد مقابلة أجراها مع شبكة أوروميا الاعلامية والذى أدان فيها الأنظمة السابقة والقيادة الحالية لرئيس الوزراء آبي أحمد بسبب اعتقالة للصحفيين وحجبه للإنترنت وقمع المتظاهرين، وكذلك تقاعس الحكومة عن تقديم ظباط الشرطة المتهمين فى قتل عشرات فى الاحتجاجات المناهضة للحكومة إلى العدالة، مما دعى العديد من منظمات حقوق الانسان لاتهام قوات الأمن بتنفيذ عملية الاغتيال، ليزيد الضغوط على حكومة آبي أحمد والتى تواجه احتجاجات فى عدة أقاليم ومحاولات للانفصال وخطر تفكك الدولة.[3]

من الجدير بالذكر أن هاشالو هونديسا ولد فى إقليم أمبو عام 1986 وهو الأقليم الذى كان فى صدراة الحملة التى يخوضها شعب الأورومو من أجل الحكم الذاتى في بلد يشعرون فيها بالتهميش والاضطهاد، وعندما بلغ 17 عامًا تم سجن هاشالو لمدة خمس سنوات لنشاطه السياسى وانضمامة للحركة الطلابية فى ذلك الوقت، وقد أعتبر هاشالو

[1] مقتل هاشالو هونديسا: الاحتجاجات على اغتيال المغنى الشهير أسفرت عن 166 قتيلًا ، فى 5 يوليو 2020 على الرابط : https://www.bbc.com/arabic/world-53303018

[2] فتنه الفنان الاثيوبى القتيل ... احتجاجات وانفجارات واختطاف الجثمان فى 30 يوليو 2020 على الرابط : https://al-ain.com/article/1593542069

[3] Hachalu Hundessa, Ethiopian Singer and Activist, is Shot Dead, at : https://www.nytimes.com/2020/06/30/world/africa/ethiopia-hachalu-hundessa-dead.html

تلك الفترة فترة لتطوير قدراته الفنية والإبداعية داخل السجن وكذلك خبراته السياسية وازداد وعية بتاريخ إثيوبيا وحكامها الأباطرة، وعقب خروجة من السجن أصدر ألبومه الأول (سبق الملك) والذى تحول بعدة لنجم موسيقى ورمز سياسي لدى شعب الأورومو، باعتباره يعبر معاناتهم وطموحاتهم.[1]

2- المطرب بوبى واين والترشح للرئاسة فى أوغندا

" **عندما تصبح حرية التعبير هدفًا للقمع، تصبح المعارضة موقفنا**" هى كلمات من أغنية المطرب بوبى واين من أغنيةٍ (Situka) والتى غناها المطرب لحث الأوغنديين على لعب دور فعال فى محاربة الفساد والظلم فى بلادهم، ففى الوقت الذى أيد أغلب المطربين المشهورين ترشيح يورى موسيفينى (76 عامًا) والذى يحكم أوغندنا منذ 34 عامًا ولكن بوبى واين رفض ذلك وتحول إلى أحد النشطاء السياسيين منذ الانتخابات العامة فى 2016 ، وتم انتخابه لعضوية البرلمان كمستقل فى عام 2017 فى كيادوندو، والذى يعتبر نفسة مدافعًا عن قضايا الشباب وبأن وجودة فى البرلمان ليمنحهم الثقة على الترشح.[2]

وقد حاول بوبى واين الفوز بانتخابات الرئاسة الأوغندية عن طريق مغازلة الشباب البالغ نسبتهم 65 % من سكان أوغندا وأكثر من 70 % من الناخبين الذين لهم حق التصويت فى الانتخابات وقام باستخدام وسائل وأساليب جديدة للوصول لهذه الفئة من الناخبين منذ عام 2017 عن طريق وسائل التواصل الاجتماعى خاصة بعد التضييق عليه من قبل قوات الأمن وبخاصة فى الأونه الأخيرة بحجة اجراءات مواجهة فيروس

[1] هاشالو هونديسا: الفنان الإثيوبي القتيل الذى غنى للحرية على الرابط:
https://www.bbc.com/arabic/world-53266077
[2] Bobi Wine: The pop star seeking 'people power' at:
https://www.bbc.com/news/world-africa-45195664

كورونا، وقد أعلن أنهه سيتم انشاء موقعًا ألكترونيًا لحملته الانتخابية وسيديره شباب إما مازالوا فى الجامعة أو تخرجوا حديثًا. [1]

وبرؤيته الشبابية ونظرته للقطاع العريض فى الدولة أحدث بوبى واين ثورة فى السياسة الأوغندية ومنذ عبر عن رغبته فى الترشح لانتخابات الرئاسة فقد تم توجيه العديد من التهم إلية مثل إثارة الذعر أو الإزعاج والسخرية من الرئيس.

وعقب موافقة اللجنة الانتخابية على ترشحة لانتخابات الرئاسة عام 2021 بفترة وجيزة ألقت الشرطة الأوغندية القبض عليه، وألقت الشرطة القنابل المسيلة للدموع لتفريق أنصارة الذين تجمعوا حوله فى كمبالا بحجة اختراق حظر مواجهة فيروس كورونا المستجد، ويرى أنصارة أن الشرطة تسمح بتكوين تلك التجمعات لمؤيدى الرئيس يورى موسيفينى الذين احتفلوا بإقرار ترشحه فى الشوارع دون ملاحقة من السلطات. [2]

ثالثاً : الفن ومقاومة الاحتلال فى أفريقيا

عانت القارة الأفريقية من ويلات الاحتلال الأوروبى للقارة الأفريقية والتى تجسد بكل ضراوته فى اعقاب مؤتمر برلين 1884 – 1885 والذى قامت بعدة سبع دول أوروبية باحتلال أكثر من 93 % من الاراضى الأفريقية ونهب خيراتها وتقييدها بسياسات استعمارية تعمل على ترسيخ الجهل والفشل مقابل انتقاء أفضل العناصر من شعوب تلك الدول وتهجيرها إلى بلادها لصناعة حضارتها ونهضتها، ففضلًا عن نهب مقدرات البلدان الأفريقية الطبيعية والبشرية سعت تلك الدول إلى طمس الهوية الأفريقية لابقائها تحت

[1] Uganda: 2021 General Election - Presidential Candidates Take Fight to New Voters at: https://allafrica.com/stories/202011090641.html
[2] https://2u.pw/CZphZ

الاحتلال ، إلا أن القارة الافريقية نجحت فى التخلص من كافة القوى الاستعمارية بفضل جهود أبنائها والتضحية بدمائهم مقابل تحررهم من بطش الاحتلال الأوروبى.

1- الفن ومقاومة الاحتلال فى الجزائر

منذ احتلال فرنسا للجزائر عام 1830 والتى كانت أول البلدان التى احتلتها فرنسا قبل انطلاقها للسيطرة على باقى دول الساحل الأفريقي، والتى واجه خلالها المحتل الفرنسى مقاومة كبيرة من قبل الشعب الجزائرى بيد أن التفوق العسكرى وقوة السلاح الفرنسى أدت إلى اخضاع المقاومة المسلحة للشعب الجزئرى أمام بطش المحتل، والذى قاوم عبر استخدم العديد من الأساليب الأخرى لمقاومة المحتل الفرنسى الذى سعى بكافة الطرق لطمس الهوية الجزائرية مستخدمًا العديد من الأساليب منها إغلاق المدارس والزوايا والمساجد التى كانت أماكن التعليم الدينى والدنيوى، كما قام بملاحقة المعلمين وحرم على الشعب الجزائرى تعلم اللغة العربية و كذلك تحريم تدريس تاريخ الجزائر وجغرافيتها كما حرم تدريس أبواب الجهاد فى الفقة الإسلامى.

كما جعل المحتل الفرنسى تعلم اللغة الفرنسية والإلمام بها هو شرط أساسى لتقلد الوظائف واكتساب الأرزاق، وفى سبيل تأكيد ذلك قام بنفى وتشريد الشيوخ والمعلمين للمناطق النائية وعمل على سجن وملاحقة الأخرين كما منع فتح المدارس القرآنية فضلًا عن نشر المدارس الفرنسية وحاولوا استمالة السكان بهدف طمس الهوية الوطنية من ناحية ودمج المجتمع الجزائرى فى الثقافة الفرنسية.[1]

وقد اضطر الشعب الجزائرى الى استخدام المقاومة عبر الكلمة الشفوية المنقولة والتى لا يمكن للمحتل قمعها بعد أن جرم وحرم استخدام الثقافة المكتوبة لذا لجأ الشعب الجزائرى

[1] محمد بن شوش ، المقاومة الثقافية فى الجزائر (1830- 1870) ، **مجلة المصادر**(الجزائر، المركز الوطنى للدراسات والبحث فى الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد 19 ، يناير 2018) ص ص 50 – 52

إلى الشعراء والقصاصون لنقل كل كبيرة وصغيرة لتوضيح مأساة الشعب الجزائرى والتى تلقفتها الأذهان المتعطشة لكل ما هو وطنى فى مقاومى المحتل.

لقد حمل الشعراء على مر العصور لواء المقاومة والتزموا الدفاع عن قضايا الشعوب المحتله فمنهم من استخدم الرمز لرسم صورة البطولة والتضحيات ومنهم من فضل لتعبير المباشر وكان القصد من وراء ذلك هو التحريض على مقاومة الاحتلال والكفاح بأشكالة المختلفة (كفاح سياسى أو مسلح) ضد المحتل المغتصب لحقوق غيره ، ويمكن تصنيف أدب المقاومة إلى ثلاث أقسام وفقًا لرؤية الدكتور غالى شكرى وهى: [1]

- أدب النبوءة الثورية وهو ذلك النوع الى يسبق الثورات ويتنبأ بوقوعها ويدعوا الى ضرورة فيامها
- الأدب المصاحب للثورة وهو ما يكون متزامنًا مع الثورة
- ويليهما الأدب المقاوم اللاحق وهو الذى يؤرخ للثورة بعد انتهائها.

وبناء على ماسبق، فقد كان الشعر فى ذلك الوقت وقودًا لحركة المقاومة وسجلًا صادقًا لأحداثها وكذلك كان الشعر أحد أبرز الدعاية لقضية الجزائر العادلة التى قامت من أجلها ثوراتها المتتابعة لطرد المستعمر والمتتبع لحركة الشعر فى الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسى يخرج بنتيجة مفادها أن الكلمة كانت الى جانب الرصاص وكان الشاعر الجزائرى من جنود الأمة، وكان له دور فعال فى بث الروح الثورية فيها وبعث الثقة فى طاقاتها ويحرض الشعب على الكفاح المسلح ويقوى إيمانه بالنصر. [2]

[1] فاطمة مقدم، ملامح المقاومة ضد الاستعمار الفرنسى فى الشعر الجزائرى المعاصر – أبو الفاسم سعد الله نموذجًا فى **مجلة الكلم** (الجزائر ، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة ، العدد السادس، جوان 2018) ص ص 9- 10

[2] د. نصر الدين براشيش ، المقاومة فى الشعر الجزائرى الحديث والمعاصر " ثورة الزعاطشة نموذجًا" ، **مجلة الحقيقة** (الجزائر ، جامعة أحمد دراية ، العدد 43، 2018) ص ص 119 – 121

ومن أبرز شعراء المقاومة فى الجزائر هو الشاعر سى محند والذى يُعد أحد أبرز رموز الشعر القبائلي وقد ولد عام 1845 فى قرية أشرعيوين بمنطقة تيزى راشد وقد قاوم الاستعمار بشتى الطرق وعمل على تحريض سكان منطقته للكفاح ضد الأستعمار ولذلك قامت السلطات الفرنسية باعتقالة وتعذيبة ثم قامت بنفى أفراد من عائلته وأقربائه إلى كايدونيا الجديدة ولكنه ظل يحرض على القضاء على الاحتلال حتى توفى عام 1906 .

ومن أبرز ما قال فى مقاومة الاستبداد الفرنسى وجور المحتل معبرًا عن حالة الاغتراب الذى يعيشها الشعب الجزائرى فقد قال :[1]

لا أحد سيجبرنى على الانقياد لحكمة الانكسار خير من الذل

اللعنة أفضل من بقاء فى بلد حكامة مستبدون

إن الغربة مكتوبة على الجبين ...

أقسمت على الذهاب بعيدًا خير من البقاء وسط المستبدين

ومن ناحية أخرى، فقد ظهر دور الشاعر الشعبى جلياً فى تلك الفترة وسجلها فى الذاكرة مثل قصيدة الشاعر عبد القادر الوهرانى والتى تصور سقوط مدينة الجزائر على يد المحتل الفرنسى والتى نظمها فى عام 1846 :

[1] رشيدة سعدونى ، أشعار سى محند أو محند الثائر الجوال ، بتاريخ 2014/3/25 على الرابط :
https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2014/03/25/324486.html

الأيام يا إخوانى تبدل ساعاتها والدهر ينقلب ويولى فى الحين

يعد مان سنجاق البهجة ووجاقها الأجناس تخافها فى البر وبحرين

أمنين راد ربى ووفى ميجالها واعاوها أهل الله الصالحين

الفرانسيس حرك لبها وخذاها لاهى ميات مركب لاهى ميتين

بسغاينه يفرص البحر قبالها كى جا من البحر بجنود قويين

عاب الحساب وادرك تلف حسابها الروم جاو للبهجة مشتدين

رانى على الجزاير ياناس حزين

والقصيدة تصور مقاومة الأهالى لاحتلال الجزائر بكل بسالة وفدائية وتصور كيف عمت الأحزان البلاد، لذلك فيستكمل القصيدة ببعض الابيات التى أنشدها المداحون فى الأسواق ومختلف المناسبات ويحرضهم على الثورة من خلالها وأن الاستشهاد فى سبيل الوطن خير من حياة الذل فى ظل الاحتلال.[1]

أهنا الناس تظهر وتبان أخبارها موت الجهاد خير من الى حيين

خور الجنان راعا تزغرت بأصواتها أبواب النعيم للأمة مفتوحين

الموت لازمتنا واحنايا زادها والصبر لاتكونوشى خيفانين

[1] العقريب نعيمة ، تجليات المقاومة والنضال فى الشعر الشعب الجزائرى ، 2 ديسمبر 2019
https://manifest.univ-ouargla.dz/archives/facult%C3%A9-des-lettres-et-des-langues-fll/38

وفى أعقاب مجزرة 8 مايو 1945 والتى جسدها الشعر حتى لا تضيع فى طى النسيان ولتبقى حيه فى ذاكرة الشعوب و ليدرك أن الثورة هى السبيل فى تحرير الوطن وأخذ الشعراء ببث روح المقاومة فى النفوس باعتبار الشعر وسيلة إعلامية ويدعوهم الى الجهاد وهى قصائد تغذى الحماس عند الجنود وتدفعهم الى القتال والاستماته فى الميدان مثل شعر أحمد كرومى.[1]

فى العدو طرطقنا لعمارة

طلعت اولاد بلادنا شدت له الكيفان

يوم اول نوفمبر ذا تاريخ الغزارة

جيش التحرير اسناه باش يدق العديان

خلقت ضربة فى باتنة كبيرة نعطيك لمارة

هذا هو التصحيح فزعوا ياناس الديوان

لقد أوقف الشعراء الجزائريون فى الفترة ماقبل عام 1962 شعرهم على خدمة وطنهم والدفع عن مقوماته والنهوض به بل سخره للإصلاح والنضال والتوجيه وتأصيل أركان مجتمعهم نتيجة لتجرتهم التى كانت محملة بهموم وطنهم واستبداد المحتل الفرنسى وتعد تلك المرحلة هى مرحلة مرحلة دفاع عن الذات والكيان وارتبط الأداء الشعرى بحركة

[1] الطيب بن دحان ، المقاومة لعبية من خلال القصيدة الشعبية ، مجلة دراسات ، (الجزائر، المجلد 9، العدد 2 ، ديسمبر 2020) ص ص 46، 47 .

الوعى السياسى، وبالتالى فلم يوحد الخطاب الشعرى لذاته أو من أجل مبدعه، بل أصبح ينجز من أجل الجماعة ومع العالم وتاريخ بلاده. [1]

وعلى صعيد أخر فقد لعبت الأغنية الشعبية دورًا بارزًا فى بلورة الفكر الثورى وعبرت عن المواقف السياسية النضالية لدى الشعب وسعت الى ترسيخ الهوية الوطنية للفرد المعايش لها الذى سيسمعها، وقد شارك كل من الرجال والنساء عبر أغانى الثورة التحريرية التى تبث الروح الوطنية لدى المواطنين لمقاومة الاحتلال الغاشم، حيث وصفت الاغنية الشعبية حياة المجاهدين فى الجيال والمعارك التى يخوضونها ضد المحتل مع ذكر المكان والزمان والاسلحة المستخدمة.[2]

يعد الفن شكل من أشكال التعبير الانسانى ووسيلة لإثراء التجربة الانسانية والترفيه والعمل على زيادة التقدير الانسانى والثقافى وصولًا للتغير الاجتماعى وتشكيل الوعى الجمعى لدى الشعوب كما أنه لعب دورًا بارزًا فى الحفاظ على الهوية الوطنية أمام كل محاولات القوى الاستعمارية لطمس الهوية الوطنية للدول الأفريقية قديمًا وحديثًا، ويعد الفن ذاكرة الشعوب حيث يعمل بشكل كبير على أزكاء الروح الوطنية وتأريخ لحركة المقاومة سواء فى مواجهة الاحتلال أو مواجهة فساد الأنظمة في العديد من الدول الأفريقية.

فقد عمل الفن تاريخيًا على بقاء واستمرار شعلة المقاومة فى حياة الشعوب حتى فى الفترات التى يضعف فيها النضال المسلح وهبوط حركات النضال فيظل الفن بتطورة

[1] مصطفى بوطرفاية ، **الشعر الجزائرى الحديث فى ضوء جمالية التلقى** ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه فى الأدب الجزائرى الحديث (جامعة وهران، لية الأداب واللغانت والفنون ، 2012) ص ص ج ، د

[2] عبد اللطيف حنى ، دور الأغنية الشعبية الثورية فى بناء الهوية الوطنية دراسة سوسيولوجية بمنطقة الطارف ، مجلة الذاكرة (الجزائر ، مخبر التراث اللغوى والأدبى فى الجنوب الجزائرى، المجلد 4 ، العدد 1) ص 237

واستمراريته يوقد تلك الروح النضالية وهو ما جعل الفنانون والأدباء والشعراء يتعرضون لكافة أنواع القمع والضغوط سواء من السلطات أو من قبل المحتل نظرًا لمعرفه تلك السطات بمدى تأثير الفنانين على بقائها دون تعرضها لمقاومة عنيفة، لذا فيتحمل الفنانين والشعراء عبء ريادة النضال بتحريكهم للشارع وزرع روح المقاومة والتحدي فى الشعب وبالتالى يقوم بدور القائد حال غياب القيادات السياسية وبأداوت أكثر ثراءً من حمل السلاح.

لقد تعددت أشكال المقاومة للاستعمار أو الأوضاع السياسية، فقد تكون تلك المقاومة فى شكل حمل السلاح أو الشعر أو الغناء أو عبر ريشة فنان وهى أدوات الفنان للتعبير عن هموم شعبة واحتياجاتهم وقضيتهم، وكون الفن أحد أدوات المقاومة يكون فيها الفنان لايسعى لتصوير المقاومة بل يريد أن يجعل الفن سلاحًا يقاوم به هو ذاته سواء كان ما يقاومه احتلالًا ، أوعدوانًا ، أوممارسة سياسية أو اجتماعية خاطئة.

ولعل ما يلفت الانتباه فى الآونه الأخيرة فى الحياة السياسية فى القارة الأفريقية هو دور الفن والفنانين فى ألهاب ثورات شعوبهم للتخلص من الأوضاع السياسية القائمة ، فكان أغتيال الفنان الإثيوبي هاشالو هونديسا مثار تغيير كبير واحتجاجات اجتاحت جماعة الأورومو الاثيوبية وراح ضحيتها أكثر من 166 ومئات من المصابين فى مظاهرات أمتدت حتى العاصمة الاثيوبية أديس أبابا.

وفى ذات السياق، فقد جاءت موافقة اللجنة الانتخابية فى أوغندا على ترشح المطرب والمشرع روبت كياجولانى المعروف باسم بوبى واين لانتخابات الرئاسة عام 2021 لتهدد باستقرار حكم الرئيس يورى موسيفينى والذى يحكم أوغندا منذ عام 1986 وحتى الآن فبدأ باستخدام أساليب قمعية لمواجهته خاصة بعد استخدامة لاساليب أكثر تقدمًا للوصول الى الناخبين .

إلا أن العامل المشترك فى ذلك الارث الطويل من المقاومة بالفن هو عدم قدرة الدول الاستعمارية على الصمود طويلًا أمام هذا الفن الذى يعبر عن طموحات تلك الشعوب فيتم ملاحقة تلك الأصوات التى تنادى بالحرية ولااستقلال إما بالاغتيال أو التنكيل أو السجن لفترات طويلة وهو ذات الأمر مع بعض النظم الفاسدة والمستبدة فى محاولة حفاظها على مكتسباتها والبقاء فى الحكم لأطول فترة ممكنة.

قائمة المراجع:

1. الطيب بن دحان ، المقاومة لعبية من خلال القصيدة الشعبية ، مجلة دراسات ، (الجزائر، المجلد 9، العدد 2 ، ديسمبر 2020).
2. مصطفى بوطرفاية ، الشعر الجزائرى الحديث فى ضوء جمالية التلقى ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه فى الأدب الجزائرى الحديث (جامعة وهران، لية الأداب واللغانت والفنون ، 2012).
3. عبد اللطيف حنى ، دور الأغنية الشعبية الثورية فى بناء الهوية الوطنية دراسة سوسيولوجية بمنطقة الطارف ، مجلة الذاكرة (الجزائر ، مخبر التراث اللغوى والأدبى فى الجنوب الجزائرى، المجلد 4 ، العدد 1).
4. محمد بن شوش ، المقاومة الثقافية فى الجزائر (1830– 1870) ، مجلة المصادر(الجزائر، المركز الوطنى للدراسات والبحث فى الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد 19 ، يناير 2018)

5. عزت السيد أحمد ، المقاومة في الفن والمقاومة بالفن، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، (اللاذقية ، جامعة تشرين ، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 27 العدد (1) ، 2005).

6. فاطمة مقدم، ملامح المقاومة ضد الاستعمار الفرنسى فى الشعر الجزائرى المعاصر – أبو الفاسم سعد الله نموذجًا فى مجلة الكلم (الجزائر ، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة ، العدد السادس، جوان 2018).

7. د. نصر الدين براشيش ، المقاومة فى الشعر الجزائرى الحديث والمعاصر " ثورة الزعاطشة نموذجًا" ، محلة الحقيقة (الجزائر ، جامعة أحمد دراية ، العدد 43، 2018).

8. أسباب ونتائج ثورة 1919 فى مصر على رابط :

9. https://www.almrsal.com/post/858583

10. سيد درويش صوت ثورة 1919 الذى أشعل حماس الجماهير في مصر :

11. https://www.bbc.com/arabic/art-and-culture-47604041

12. محمود دوير " أغنية المقاومة : من سيد درويش الى محمد حمام .. أيونه النضال التى انطفأت" 27 فبراير 2019 :

13. https://aswatonline.com/2019/02/27/%D8%A3%D8%B A%D9%86%D9%8A%D8%A9-

%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%88%D
9%85%D8%A9-%D9%85%D9%86-
%D8%B3%D9%8A%D8%AF-
%D8%AF%D8%B1%D9%88%D9%8A%D8%B4-
%D8%A5%D9%84%D9%89-
/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF

14. vershbow, Michela E. "The Sounds of Resistance: The Role of Music in South Africa's Anti-Apartheid Movement." In Inquiries Journal ,Student Pulse (London, Routledge , .(Vol(2) No(6), (2010

15. https://www.researchgate.net/publication/323112944_In_steadfast_allegiance_Adam_Small_and_the_Cape_Flats_Players/fulltext/5a9adcb70f7e9be379661cdc/In-steadfast-allegiance-Adam-Small-and-the-Cape-Flats-Players.pdf

16. https://www.zammagazine.com/perspectives/blog/959-studio-zam-how-35-years-after-his-killing-south-african-artist-thami-mnyele-came-to-life

17. مقتل هاشالو هونديسا: الاحتجاجات على اغتيال المغنى الشهير أسفرت عن 166 قتيلًا ، فى 5 يوليو 2020 على الرابط :

18. https://www.bbc.com/arabic/world-53303018

19. فتنه الفنان الاثيوبى القتيل ... احتجاجات وانفجارات واختطاف الجثمان فى 30 يوليو 2020 على الرابط :

20. https://al-ain.com/article/1593542069

21. Hachalu Hundessa, Ethiopian Singer and Activist, is Shot Dead, at :

22. https://www.nytimes.com/2020/06/30/world/africa/ethiopia-hachalu-hundessa-dead.html

23. هاشالو هونديسا: الفنان الإثيوبي القتيل الذى غنى للحرية على الرابط:

24. https://www.bbc.com/arabic/world-53266077

25. Bobi Wine: The pop star seeking 'people power' at:

26. https://www.bbc.com/news/world-africa-45195664

27. Uganda: 2021 General Election - Presidential Candidates Take Fight to New Voters at: https://allafrica.com/stories/202011090641.html

28. رشيدة سعدونى ، أشعار سى محند أو محند الثائر الجوال ، بتاريخ 2014/3/25 على الرابط :

29. https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2014/03/25/324486.html

30. العقريب نعيمة ، تجليات المقاومة والنضال فى الشعر الشعب الجزائرى ، 2 ديسمبر 2019

31. https://manifest.univ-ouargla.dz/archives/facult%C3%A9-des-lettres-et-des-langues-fll/38

صور فنية للنداء في سورة البقرة.. دراسة بلاغية

إعداد / د.آدم إسماعيل أحمد

Dr: Adam Ismail Ahmat

عضو هيئة التدريس بجامعة الملك فيصل –تشاد

E-mail: abouilaf7@gmail.com

مستخلص:

هذه الورقة العلمية تهدف إلى الوقوف حول بعض الصور الفنية الرائعة للنداء في سورة البقرة، حيث تناولت الدراسة تعريف النداء، وأقسامه إلى ملفوظ وملحوظ وإلى حقيقي ومجازي، وحروف النداء وأدواته لنداء القريب وأدوات نداء البعيد، والأسباب الذي يؤدي إلى ذاك، وتناولت أهم الأغراض البلاغية التي تخرج إليها أساليب النداء، مثل : التحسر والتوجع، والتعجب والاختصاص، والندبة، والإغراء، وغيرها، مع ضرب الأمثلة لذلك، أما عن سورة البقرة، فقد تحدثت عن التسمية، وفضل السورة، وسبب نزولها، وبعض ما اشتملت عليه السورة، مثل تحدثها عن صفات المؤمنين والكافرين والمنافقين، والمقارنة بين أهل السعادة وأهل الشقاء، والأحكام التشريعية في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، وعن بدء الخلق، وقصة آدم أبو البشر عليه السلام ، والحديث عن بني إسرائيل، وتناولت الورقة العلمية ذكر بعض الصور الفنية لأساليب النداء في سورة البقرة، مثل أسلوب التشويق الذي ورد عشر مرات ، وذكر صور التذكير بنعمة الله على

بنـي إسـرائيل فـي أربـع مواضـع ، وصـورة التـذكير بسـوء أخـلاق اليهـود ورد مـرة واحـدة، والنـداء بأسـلوب التحقيـر ورد مـرة واحـدة ، وخـرج النـداء إلـى أسـلوب التعظـيم مـرتين وبعـض الصـور الفنيـة التـي خـرج إليهـا النـداء إلـى أسـلوب الـدعاء ، ثـم انتهـت الدراسـة إلـى الخاتمـة والتـي فيهـا أبـرز النتـائج ، ثـم ذكـر المصـادر والمراجـع لهـذه الدراسة.

Abstract:

Artistic images of the call in Elbagara Surah This article aims to stand around some rhetorical, artistic and wonderful pictures for the call in Surat Elbagara. Where the study examined, the definition of the call, and its divisions to vocalized, real and noticeable, and metaphorical, letters call, and its tools, for calling near and remote, and the reasons that lead to it. And it dealt with the most important rhetoric purposes that come out to call methods, such as :bemoaning and aching, and exclamation and competence, and the scar and temptatior, and others, with giving examples of it.. As for Elbagara Surah, it has alked about the label, and the virtue of the surah and the reason for its revelation. And some of which the surah included such as its talking about the attributes of the believers and the unbelievers and the hypocrites, and the comparison between the people of happiness and misery, the legal provisions in beliefs and worship and transactions and ethics. And the beginning of creation, and the story of Adam, the father of mankind peace be upon him, and talk about Israeli. The study dealt with the comparison, said some technical images of the methods of appeal in Elbagara Surah, such as, thrill style, which contained ten times. Recalling grace of God Israelis in four positions, and recalling with bad manners of Jews comes once. And calling with contempt style, comes once. The call goes out to the glorification method twice. And some art images

where the call went out to pray style. Then the study comes to the conclusion, in which mentioned there are the most prominent result. Then come the resources and references.

المقدمة

الحمد لله القائل الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآَنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4).([1]) والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح العرب والعجم وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه أجمعين ·

وبعد:

فلا يزال القرآن الكريم بحرا زاخرا بأنواع العلوم والمعارف ، ولا يزال القرآن الكريم يتحدى السلاطين البلغاء ومصاقيع العلماء بأنه الكتاب المعجز على ممر الدهور والاعصار، وعلى كثرة ما كتبه العلماء في مجال الدراسات القرآنية من بحوث عديدة إلا أنه في حاجة إلى المزيد لكشف الأسرار الكامنة من ورائه.

والنداء باب حيوي من أبواب علم النحو والبلاغة لذا اخترت أن يكون هذه الدراسة في جانب من موضوعاته تطبيقا في سورة من كتاب الله تعالى بغية أن ننال شرف المشاركة في نشر العلوم الإسلامية والعربية ولو بنذر يسير منه، وعنوان هذه الدراسة: **(الصور فنية للنداء في سورة البقرة ، دراسة بلاغية).**

[1] سورة الرحمن، الآية: 1-4

أ/ أهمية البحث

تدور أهمية هذا البحث في الآتي :

1. دراسة الصور الفنية للنداء في سورة البقرة

2 . محاولة إبراز القيمة العلمية لآيات النداء

3 . تحريك عجلة التقدم العلمي في مجال الدراسات القرآنية البلاغية.

ب/ أهداف البحث

يهدف هذه الورقة العلمية إلى الآتي :

1 . دراسة بعض أساليب النداء المجازية

2 . معرفة أماكن الصور البلاغية للنداء في سورة البقرة

3. رفع الكفاءة العلمية لدى الدارس من خلال استخدام أدوات ومنهج البحث العلمي، ومن خلال الاطلاع على المكتبة العلمية .

ج / منهج البحث:

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو:

1 . المنهج التاريخي في دراسة جانب من أحكام النداء ومعرفة بعض الأحكام في سورة البقرة؟

2 . المنهج الاستقرائي في جمع المادة العلمية

3 . المنهج التحليلي في دراسة شواهد صور النداء البلاغية

الأساليب البلاغية للنداء في سورة البقرة:

تعريف النداء:

النداء اللغة: الدعاء بأي وجه كان ([1])

أما في الاصطلاح: فإن النحويين لا يتفقون على معناه ، إذ يعرفه بعضهم وظيفياً بينما يلجأ آخرون إلى تعريفه انطلاقاً من أحواله الإعرابية، فقد قال سيبويه: (إن النداء هو: كل اسم مضاف فيه نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره)([2]).

والتعريف الجامع لهذين الأمرين ، هو ما أورده ابن عقيل حيث قال : إن النداء ، هو: (طلب المتكلم إقبال المخاطب بواسطة أحد الحروف ملفوظا كان أو ملحوظا)([3]).

فمن أمثلة النداء الملفوظ :

قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ }([4]).

ومن أمثلة النداء الملحوظ :

الآية القرآنية (رَبَّنَا آَتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً)([5])، والأصل يا ربنا ، فجرى حذف حرف النداء لأنه تمكن ملاحظته.

---

[1] شرح المفصل، لابن يعيش، المكتبة العلمية، بيروت، ج3، ص: 3.

[2] الكتاب، سيبويه، ج2، ص: 182.

[3] شرح بن عقيل على ألفية بن مالك

[4] سورة الانفطار، الآية: 6

[5] سورة الكهف، الآية: 10.

والنداء لا ينقسم إلى ملفوظ وملحوظ فقط ، بل ينقسم إلى حقيقي ومجازي:

ففي قول الشاعر الحارثي: ("[1])

أيا راكبا أما عرضت فبلغن *** نداماي من نجران أن لا تلاقيا

فهنا الشاعر يدعو صاحبه وهو نداء حقيقي، وليس كذلك في الآية القرآنية الآتية (رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) ([2]) إذ المقصود هنا طلب الاستجابة لا النداء الحقيقي.

حروف النداء ثمانية هي:

(يا ، والهمزة ، وأي ، وأي ، وأيا ، وهيا ، ووا ، و آ) ([3])

وهذه الأدوات تنقسم إلى قسمين اثنين ، قسم لنداء القريب ، وقسم لنداء البعيد .

أدوات نداء القريب:

(وهما حرفان : (الهمزة ، وأي)، فتقول لمن يسمعك ، ولمن هو قريب منك : أي بدي أبني، وقد يُنزل البعيد منزلة القريب فينادي بالهمزة أو أي ، تنبيها على أنه مع بعده لا يعيب عن القلب بل هو مالك للفؤاد واللب ، كما يقول المتلهف على وحدة الأمة ، أي صلاح الدين ، أنور الدين أين أنت)([4]).

بقية الأدوات، وهي:

---

[1] البيت في حاشية الأشموني على ألفية بن مالك.

[2] سورة آل عمران، الآية: 193.

[3] البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، فضل حسن عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة 1429هـ – 2009م، ص: 167.

[4] المرجع السابق، ص: 168.

أدوات نداء البعيد:

(يا) نحو: يا أيها الناس

(أيا) نحو: أيا أحمد

(وا) نحو : وا حر قلباه ، وا معتصماه

(هيا) نحو: هيا ذكريات الماضي

(آ) نحو: افلسطين سلاما واعتذارا

(آي) آي بني اجتهد.

وقد ينزل القريب منزلة البعيد ، فينادي بإحدى أدواته، وذلك لأسباب من أهمها:

–

للدلالة على أن المنادي رفيع القدر عظيم الشأن:

فيجعل بُعد المنزلة كأنه بُعد في المكان ، كقول أبي بكر النطاح في مدح أبي دلف العجلي :

أبا دلف بوركت في كل بلدة *** كما بوركت في شهرها ليلة القدر

– لـ

لإشارة إلى أنه وضيع منحط الدرجة:

وعليه قول الفرزدق يهجو جريرا

أولئك آبائي فجئني بمثلهم *** إذا جمعتنا يا جرير المجامع

– لـ

لإشعار بأن السامع غافل لاه

فتعده كأنه غير حاضر في مجلسك، ومنه قولك: يا أيها الغافلون في لذاتكم، المفتنون بعدوكم، سيطلع الفجر)([1]).

من أهم الأغراض البلاغية التي تخرج إليها صيغة النداء:

1. التحسر والتوجع

ومنه قوله تعالى : (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ) ([2])

2 . التعجب: نحو: يا للعاصي ربه.

3 . الاختصاص:

(ويكون بحذف النداء ، مثل: أيها الرجل أي دون الرجال، وهذا هو الفروق بين النداء والاختصاص ، إذ في المنادى قد يذكر حرف النداء ، وهناك فرق آخر ، وهو أن الاختصاص خبر، والنداء إنشاء ، فإذا قلت علي اعتمد أيها الفتى ، فالمعنى أخص الفتى)([3]).

يقول الدكتور فضل حسن عباس: (وأنبهك بأن المقصود بالفتى هنا أنت، وليس من تخاطبه ، وهذا معناه الفخر فنلانك تفخر بنفسك، وقد يكون غرضه التواضع

[1] البلاغة فنونها وأفنانها، مرجع سبق ذكره، ص: 169 – 170.

[2] سورة الزمر، الآية: 56.

[3] البلاغة فنونها وأفنانها، مرجع سابق، ص: 171–172.

، وذلك كقولك : أنا من أضعف الناس أيها الإنسان ، فأنت لا تنادي غيرك هنا ، بل تتحدث عن نفسك ، فـ (أيها الإنسان) مقصود بها أنت لاء غيرك،)([1])

4 . الندبة:

كقول المتنبي:([2])

واحر قلباه ممن قلبه شبم *** ومن بجسمي وحالي عنده سقم

5 . الإغراء:

نحو قولك : يا شجاع تقدم

6 . الاستغاثة :

نحو قولك : يا للشباب، يا لذوي الغيرة، يا لحماة الوطن

وقد يخرج النداء إلى معان أخرى يفهم من خلال السياق و قرائن الأحوال.

سورة البقرة:

سنتعرض أولاً لتسمية هذه السورة، وسبب نزولها وفضلها وبعض الأحكام والقصص والأمور التي تعرض لها.

التسمية:

[1] المرجع نفسه، ص: 172.

[2] ديوان المتنبي، للمتنبي، دار إحياء التراث العربي، ص: 248.

سميت هذه السورة (سورة البقرة) في ما ورد النبي صلى الله عليه وسلم قال : [من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه] ([1])

ووجه تسميتها، إنها ذكرت فيها قصة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها لتكون آية.

- نزولها:

(نزلت سورة البقرة بالمدينة المنورة ، وهي أول ما نزل بالمدينة ، وقد عدت سورة البقرة السابعة والثمانين في ترتيب السور، نزلت بعد المطففين ، وقيل بعد آل عمران)([2]).

فضلها:

وقد ورد في فضلها أقوال كثيرة، منها: ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة] ([3])

وقال صلى الله عليه وسلم: [اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة، يعني السحرة]([4]).

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، ط 1407هـ – 1986م، حديث رقم 4723.

[2] التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ط 1984م، ج1، ص: 201.

[3] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط2010/5م، حديث رقم: 780.

[4] صحيح مسلم، حديث رقم: 804.

بعض ما اشتملت عليه السورة:

1. (سورة البقرة من أطول سور القرآن الكريم على الإطلاق ، وهي من السور المدنية التي تعنى بجانب التشريع ، شأنها كشأن السور المدنية ، التي تعالج النظم والقوانين التشريعية التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم الاجتماعية.

2 . اشتملت على معظم الأحكام التشريعية، في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق.

3 . تناولت الحديث عن صفات المؤمنين والكافرين والمنافقين فوضحت حقيق: الإيمان ، وحقيقة الكفر والنفاق ، للمقارنة بين أهل السعادة وأهل الشقاء..

4 . ثم تحدثت عن بدء الخليقة فذكرت قصة أبو البشر (آدم)عليه السلام، وما جرى عند تكوينه من الأحداث والمفاجئات العجيبة التي تدل على تكريم الله تعالى للنوع البشري)([1]).

5 . (تناولت السورة الحديث بإسهاب عن أهل الكتاب وبوجه خاص بني إسرائيل (اليهود) لأنهم كانوا مجاورين للمسلمين في المدينة المنورة ، فنبهت المؤمنين إلى خبثهم ومكرهم وما تنطوي عليه نفوسهم الشريرة من الغدر والخيانة ونقد العهود والمواثيق إلى غير ما هنالك من القبائح . وتناول الحديث عنهم ما يزيد من الثلث من السورة الكريمة ، بدءاً من قوله تعالى { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ

[1] صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط1/1117هـ – 1997م، ج1، ص: 29-30.

وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} ([1]). إلى قوله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) ([2]).

6 . أما بقية السورة فتناولت جانب التشريع، لأن المسلمين كانوا في بداية تكوين الدولة الإسلامية وهم في أمس الحاجة إلى التشريع الرباني ، مثل أحكام الصوم، وأحكام الحج والعمرة، وأحكام الجهاد في سبيل الله، وشؤون الأسرة، وما يتعلق بالزواج والطلاق والرضاع والعدة ، وتحريم نكاح . المشركات، والتحذير من معاشرة النساء في حالة الحيض إلى غير ذلك من أحكام تتعلق بالأسرة ، لأنها النواة الأولى للمجتمع الأكبر)([3]).

من ذلك قوله تعالى {ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن}([4])، وقوله تعالى { فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن }([5])

7 . (ثم تحدثت السورة عن جريمة الربا ، وختمت السورة بتوجيه المؤمنين إلى التربة والإنابة والتضرع إلى الله برفع الأغلال والإعصار، وطلب النصرة على الكفار قال تعالى: (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ).

بدأت السورة بأوصاف المؤمنين وختمت بدعاء المؤمنين ليتناسب البدء مع الخام ويلتئم شمل السورة أفضل التئام)([1]).

---

[1] سورة البقرة، الآية: 40.

[2] سورة البقرة، الآية: 123.

[3] صفوة التفاسير، مرجع سبق ذكره، ص: 30.

[4] سورة البقرة، الآية: 221.

[5] سورة البقرة، الآية: 124.

الصور الفنية للنداء في سورة البقرة:

وردت أساليب عديدة بلاغية جمالية بشكل فني رائع للنداء في هذه السورة، (وللقرآن الكريم طريقة في التعبير تعمد على التصوير، وهي طريقة فنية من طرق الأداء، لها قيمتها في إظهار إعجاز القرآن، من سماتها إتباع تصوير المعاني الذهنية، والحالات النفسية ، وإبرازها في صور حسية ، ولهذه فضلها في أداء الدعوة إذ تخاطب الحس والوجدان ، وتصل إلى النفس من منافذ الحواس بالتخييل ، فتثير الانفعالات الوجدانية ، وتشيع اللذة الفنية بهذه الإثارة ، وإجاشة الحياة الكامنة بهذه الانفعالات، وتغذية الخيال بالصور لتحقيق الغرض المنشود) [2]

قال الزمخشري:

(وبهذه الطريقة التي تعتبر فنا قائما وحده إزاء المعاني والأغراض كان القرآن في المنزلة الرفيعة من البلاغة ، وصلت إلى درجة الإعجاز التي يقتصر عنها أساطين البلاغة والبيان.

ويلاحظ استعمال النداء كثيرا في أساليب القرآن بالأداة (يا) مذكورة ومحذوفة ، وأد تعرض البلاغيون لذلك وأشاروا بأن كل ما نادى الله عباده من أوامره ونواهيه وزواجره ووعده ووعيده ، وغير ذلك مما انطق به كتابه بأمور عظام وخطوب

[1] صفوة التفاسير، مرجع سابق، ص: 30.

[2] النداء في اللغة والقرآن، أحمد محمد فارس، دار الفكر – لبنان، ص: 16.

جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم عليها وهم غافلون عنها، فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ).([1])

الأساليب البلاغية التي خرج إليها النداء في سورة البقرة

أ. التشويق

خرج النداء إلى هذا الأسلوب (10) مرات

حيث نادي المولى عز وجل عباده المؤمنين بقوله عزمن قائل (يا أيها الذين آمنوا) ليشوقهم وينبههم لتلقي ما سيأتي بعد النداء من الأوامر والنواهي والتوجيهات الإلهية السامية والوعود المغرية.

وشواهده:

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) ([2]).

قال ابن عاشور:

(حكم الصيام حكم عظيم من الأحكام التي شرعه الله للأمة ، وهو من العبادات الرامية إلى تزكية النفس ورياضتها ، افتتحت الآية ب { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا } لما في النداء من ظهار العناية بما سيقال بعده وتنبيه المؤمنين وتشويقهم إلى نداء الله.

[1] تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، م1، ص: 174.

[2] سورة البقرة، الآية: 183.

وقولـه {كُتِـبَ عَلَـى الَّـذِينَ مِـنْ قَـبْلِكُمْ لَعَلَّكُـمْ تَتَّقُـونَ } تشـبيه فـي أصـل فـرض ماهيـة الصوم لا في الكفيات)([1]).

وفيه أغراضاً ثلاثة تضمنها التشبيه:

1. (الاهتمـام بالعبـادة والتنويـه بهـا لأنهـا شـرعها الله قبـل الإسـلام لمـن كـانوا قبـل المسـلمين وشـرعها للمسـلمين ، وذلـك يقتضـي اطـراد صـلاحها ووفـرة ثوابهـا ، وإنهاض همم المسلمين لتلقي هذه العبادة كي لا يتميز بها من كان من قبلهم.

2 . إن في التشبيه بالسابقين تهوينا على المكلفين بهذه العبادة أن يستثقلوا هذا الصوم ، فإن الاقتداء بالغير أسوة في المصائب فهذه فائدة لمن يستعظم الصوم من المشركين فيمنعه وجوده من الدخول إلى الإسلام والإيمان به ولمن يستثقله من قريبي العهد بالإسلام، وقد أكد هذا المعنى الضمني قوله بعده { أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ} ([2]).

3 . إثارة العزائم بالقيام بهذه الفريضة حتى لا يكونوا مقصرين في قبول هذا الفرض بل يأخذوه بقوة التفوق)([3]). وهو أسلوب للنداء قبل جملة خبرية، ومنه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ)([4]).

(أعيد النداء بيا أيها الذين ءامنوا ، لأن هذا صنف من التشريع لأحكام ذات بال في صلاح المجتمع الإسلامي ، واستتباب نظامه وأمنه حين صار المسلمون بعد

[1] التحرير والتنوير لابن عاشور، مرجع سابق، ص: 157.

[2] سورة البقرة، الآية: 184.

[3] التحرير والتنوير، لابن عاشور، مرجع سابق، ص: 157.

[4] سورة البقرة، الآية: 178.

الهجرة جماعة ذات استقلال بنفسها ومدينتها ، فإن هذه الآية كانت من أوائل ما أنزل بالمدينة عام الهجرة ، كما ذكره المفسرين في سبب نزولها ، وابتدأ بأحكام القصاص لأن أعظم شيء من اختلال الأحوال اختلاف، حفظ نفوس الأمة)([1]).

فالنداء هنا خرج إلى معنى التشويق في سياق جملة خبرية ومنه قوله تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)([2]).

(افتتح النداء بيا أيها الذين ءامنو ، تنويهاً بهم وشرفاً ورفعة لشأنهم وأهمية ما يلقى إليهم بعد النداء وهو الأمر في الدخول في السلم والنهي ما يلقيه الشيطان من خطواته ودروب المخالفة لشرع الله ، لأن الشيطان عدو بين العداوة للإنسان وخاصة للمؤمنين).([3])

ومنه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ([4]).

(في الآية خطاب موجه للمؤمنين بأنفاق أموالهم في سبيل الله وصيغة هذه الآية أظهر في إرادة عموم الإنفاق المطلوب في الإسلام ، فالمراد بالإنفاق هنا ما هو

[1] الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود عبد الرحيم الصافي، دار الرشيد – مؤسسة الإيمان، دمشق، ط4/1418هـ، ج2، ص: 362.

[2] سورة البقرة، الآية: 208.

[3] التحرير والتنوير، 14/3.

[4] سورة البقرة، الآية: 254.

أعم من الإنفاق في سبيل الله ، ولذلك حذف المفعول والمتعلق لقصد الانتقال إلى الأمر بالصدقات الواجبة وغيرها)([1]).

فأسلوب النداء هنا لتشويق المؤمنين على بذل وعطاء أموالهم في سبيل الله قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الإنفاق، ومنه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآَخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) ([2]).

(هنا يوجه الله خطابه للمؤمنين ليتنبهوا لتلقي الأوامر التي يلقيها إليهم وهو الأمر بالصدقات ، بعد أن قدم بين يديه مواعظ وترغيب وتحذير، وهي طريقة بلاغية في الخطابة والخطاب ، فربما قدموا المطلوب ثم جاءوا بما يكسبه قبولا عند السامعين ، وربما قدموا ما يكسب القبول قبل المقصود كما هنا ، وهذا من ارتكاب خلاف مقتضى الظاهر في ترتيب الجمل ، ونكتة ذلك أنه شاع بين الناس الترغيب في الصدقة وتكرر ذلك في نزول القرآن فصار غرضا دينيا مشهوراً)([3]). ومنه قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ([4]). (في الآية نداء من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين أن يخشوا ربهم ويراقبوه فيما يفعلوه، وأن يتركوا مالهم عند الناس من الربا إن كانوا مؤمنين حقا بالله)([5]).

[1] التحرير والتنوير، 14/3.
[2] سورة البقرة، الآية: 267.
[3] التحرير والتنوير، 55/3.
[4] سورة البقرة، الآية: 278.
[5] صفوة التفاسير، 175/1.

(وقد اشتمل النداء أسلوب الأمر والنهي وفيه نوع من التهديد المبطن لهم ، وفي الآية إفضاء إلى التشريع بعد أن قدم أمامه من الموعظة ما هيئت النفوس إليه ، وأمروا بتقوى الله قبل الأمر بترك الربا لأن تقوى الله هي أصل الامتثال والاجتناب ولأن ترك الربا من جملتها ، فهو كالأمر بطريق برهاني)([1]).

ومنه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ([2]).

(وهنا خطاب من الله للمؤمنين فيه نهي لهم أن يقولوا للنبي صلى الله عليه وسلم (راعنا) وهي كلمة كان الصحابة يقولونها للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويراد به الرفق وعدم التحرج في إعادة السؤال ،وهي تشبه كلمة سب عند اليهود لذا نهوا عنه، و(راعنا) أمر من رعاه يرعيه وهو مبالغة في رعاه يرعاه إذا حرسه من الهلاك والتلف ، وأطلق مجازا على حفظ مصلحة الشخص والرفق به ومراقبة نفعه ، وشاع هذا المجاز حتى صار حقيقة عرفية ، ومنه رعاك الله ، فقول المسلمين للنبي صلى الله عليه وسلم (راعنا) هو فعل طلب من الرعي بالمعنى المجازي، أي الرفق والمراقبة ، بمعنى لا تتحرج من طلبنا وارفق بنا، وقوله (وقولوا انظرنا) أبدلهم سبحانه وتعالى بقولهم راعنا كلمة تساويها في الحقيقة والمجاز وعدد الحروف والمقصود، من غير أن يتذرع بها الكفار لأذى النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا من أبدع البلاغة، فإن نظر في الحقيقية بمعنى حرس وصار مجازا على تدبير المصالح)([3]).

---

[1] التحرير والتنوير، 94/3.

[2] سورة البقرة، الآية: 104.

[3] التحرير والتنوير، 6/1.

(وكذلك ألمعت الآية إلى فن من أجمل فنون البلاغة وأكثرها استقطابا –للمقاصد السامية والمثل الرفيعة ، وهو فن التهذيب ، أي ترداد النظر فيما كتبه الكاتب ونظمه الشاعر، فقد خلصت من الإيهام ودلت على آداب المخاطبة ليكون الكلام بريئا من المطاعن بعيدا عن الملاحن)([1]).

ومنه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) ([2]).

(نداء من الله عز وجل لعامة المؤمنين ، وافتتح الكلام بالنداء لأن فيه خبر مهم عظيم ، فإن شأن الأخبار العظيمة التي تهول المخاطب أن يقدم لها ما يهيئ النفس لقبولها لتستأنس بها قبل أن تفجأها وفي افتتاح هذا الخطاب بالاستعانة بالصبر إيذان بأنه سيعقب بالندب إلى عمل عظيم ، وبلوى شديدة ، وذلك تهيئة للجهاد ، ولعله إعداد لغزوة بدر الكبرى ، وفي النداء تهيئة للمسلمين على الصبر على شدائد الحرب وتحبب الشهادة إليهم)([3]).

ومنه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) ([4]).

[1] إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، مكتبة اليمامة للطباعة، دمشق، ط1992م–1407هـ، ج1، ص: 262.

[2] سورة البقرة، الآية: 153.

[3] التحرير والتنوير، 52/2.

[4] سورة البقرة، الآية: 172.

(هنا نداء موجه للمؤمنين خاصة بأنهم أحق بألفهم وأحرى بالاهتداء، فطلب منهم أن يأكلوا من الطيبات ويشكروا الله على ما أنعم به عليهم). وفي قوله (واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون) عدة أمور:

1. التفات من ضمير المتكلم إلى الغيبة لتربية المهابة ، وسياق الكلام يقتضي أن يقول (أشكرونا).

2 . التقديم: في تقديم إياه لإفادة الاختصاص ، أي اشكروا له لأنكم تخصونه بالعبادة وتخصيصكم بالعبادة يدل على أنكم تريدون عبادة كاملة تليق بكبريائه.

3 . اشتملت الآية على ايجازين جميلين بالحذف، وهما حذف مفعول كلوا، وحذف جواب إن الشرطية أي أشكروه، وحذف جواب الشرط شائع في كلام العرب)([1]).

وفي الآية الأسلوب البطيء في الإيقاع لأنها من الآيات التي اشتملت على بعض الأحكام .

ومنه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ

[1] إعراب القرآن وبيانه، مرجع سابق، ص: 236.

جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ([1]).

(في الآية نداء من الله تعالى إلى أوليائه المؤمنين يأمرهم فيها وينهاهم وبعلمهم أمور دينهم والمعاملة في شؤون المعايش والمداينة ، ولعل هذه من أحفل الآيات تذكر شئون لمعايش التي تنتظم بها أمور العباد وقد اشتمل على ضروب من التوكيدات نوجزها فيما يلي: –

1 . الأمر بالكتابة في الدين بقوله (فاكتبوه) حذرا من الخطأ والنسيان.

2 . ذكر (بدين) مع أنه مفهوم من قوله (إذا تداينتم) للتأكيد وليرجع إليه الضمير من قوله: (فليكتب) إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين ، وفي ذلك إخلال بحسن النظم وليدل على العموم ، أي دين قليلاً كان أم كثيرا.

3 . ذكر (إلى أجل مسمى) على سبيل التأكيد ، وليعلم من ، الأجل أن يكون معلوما بالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام .

4 . أناط الكتابة بكاتب بالعدل متسم به

5 . نهى عن أن يأبى من يطلب إليه الكتابة ما كلف به

6 . كرر الأمر بالكتابة بصيغة أخرى تشددا في الكتابة فقال (فليكتب)

7 . أمر الذي عليه أن يملي على الكاتب بالعدل لئلا تبقى له حجة

8 . تحوط للأمر بأن أمره بتقوى الله تعالى (وليتق الله ربه)

[1] سورة البقرة، الآية: 282.

9. ختم الآية بذكر الله ثلاث مرات متعاقبة (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) لإدخال الروع في القلوب ، وإحداث المهابة في النفوس ، وترسيخ الحكم في الأذهان، والإشعار بانه تعالى مطلع على السرائر)([1]).

ب/ التذكير بالنعمة:

ورد النداء بهذا الأسلوب أربع مرات في سورة البقرة

وشواهده:

منه قوله تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) ([2]).

قوله (يا بني إسرائيل) خطاب لذرية يعقوب ، وفي ذريته انحصر الأمة اليهودية ، وقد خاطبهم بهذا الوصف دون أن يقول يا أيا اليهود لكونه هو اسم القبيلة أما اليهود فاسم ديانة ، ولأن من كان متبعا دين اليهودية من غير بني إسرائيل كحمير لم يعتد به وتوجيه الخطاب إلى جميع بني إسرائيل يشمل علماءهم وعامتهم لأن ما خوطبوا به هو من التذكير بنعمة الله على أسلافهم وبعهد الله لهم.([3])

وفي قوله (أ وف بعهدكم) فن يقال له التعطف ، وفحواه إعادة اللفظة بعينها في الجملة من الكلام، ويسميه بعضهم فن المشاركة ، ويدخل في عموم العهد ، عهد الله الذي أخذه عليهم وعلى البشر كافة هو التحذير، ووزن كل ما يعرض لهم

[1] إعراب القرآن وبيانه، 2/440-442.

[2] سورة البقرة، الآية: 40.

[3] التحرير والتنوير، 1/449.

فـي حيـاتهم بميـزان العقـل والنقـل ، وهـو ميـزان لا يطـيش لا ميـزان الهـوى والغـرور وهو ميزان طائش([1]).

ومنه قوله تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) ([2]).

(أعيـد خطـاب بنـي إسـرائيل عـن طريـق النـداء ممـاثلا لمـا وقـع فـي خطـابهم الأول بقصـد التكريـر للاهتمـام بهـذا الخطـاب ومـا يترتـب عليـه ، فـإن الخطـاب قصـد منـه تـذكيرهم بـنعم الله تعـالى ليكـون ذلـك التـذكير داعيـا لامتثـال مـا يـرد إلـيهم مـن أمـر ونهـي علـى لسـان نبيـه صـلى الله عليـه وسـلم ، فـإن ذكـر الـنعم تمجيـدا للمـنعم وتكـريم للمنعم عليه وعظة له ، ولمن يبلغهم خبر ذلك تبعث على الشكر)([3]).

ومثل ما سبق قوله تعالى ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ([4]).

وقوله تعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) ([5]).

(فـي الآيـة تـذكير بنعمـة أخـرى نشـأت بعـد عقـاب علـى جفـاء طبـع فحـل المنـة والنعمـة، وهـو قولـه: (ثـم بعثنـاكم مـن بعـد مـوتكم لعلكـم تشـكرون) وفـي الآيـة إيقـاع شديد بذكر الصاعقة وهو الموت والحال ينظر بعضهم إلى بعض)([1]).

---

[1] إعراب القرآن وبيانه، 92/1.

[2] سورة البقرة، الآية: 47.

[3] التحرير والتنوير، 482/1.

[4] سورة البقرة، الآية: 122.

[5] سورة البقرة، الآية: 55.

ج/ تذكير بسوء الأخلاق

ورد النداء بهذا الأسلوب مرة واحدة في البقرة

في قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) ([2]).

(في هذه الآية يذكر الله بني إسرائيل بسوء أخلاقهم وعدم صبرهم والتعنت وسوء التدبير وجهلهم بقدر نبيهم، حيث نادوه يا موسى بدلا من نبي الله، وضرب الله الذلة والمسكنة عليهم بسبب ذلك ، وفي الآية إيقاع شديد بذكر الذلة والمسكنة)([3]).

د/ التحقير:

خرج النداء إلى معنى التحقير مرة واحدة في سورة البقرة في قوله تعالى: (ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ

[1] التحرير والتنوير، 505/1.

[2] سورة البقرة، الآية: 61.

[3] إعراب القرآن وبيانه، 112/1.

الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)([1]).

(في الآية نداء من الله سبحانه وتعالى إلى بني إسرائيل في قوله (أنتم هؤلاء) أي يا هؤلاء، وقد خرج النداء عن معناه الأصلي إلى معنى التحقير حيث نقضوا العهود والمواثيق وأمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضها ، وفي الآية وعيد وتهديد لهم بالعذاب الشديد يوم القيامة)([2]).

هـ/ التعظيم:

من صور النداء الفنية في سورة البقرة ، التعظيم، ورد في موضعين:

من ذلكما النداء في قوله تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) ([3])

(في الآية نداء صادر من المولى عز وجل لأصحاب العقول والقلوب النيرة، ليبين لهم بعض أحكام شرعه، وخاصة في القصاص، وما يترتب عليه من الخير، وفي قوله: (ولكم في القصاص حياة) كلام في غاية البلاغة. وكان أوجز كلام عند العرب في هذا المعنى . القتل أنفى للقتل، وفضل هذا الكلام عليه بوجوه:

1 . قلة الحروف

[1] سورة البقرة، الآية: 85.

[2] إعراب القرآن وبيانه، 114/1.

[3] سورة البقرة، الآية: 179.

2 . الاطراد، وأن في كل قصاص حياة ، وليس كل قتل أنفى للقتل ، فإن القتل ، للما يؤدي للقتل.

3 . صفة الطباق بين القصاص والحياة ، فإن القصاص تفويت الحياة فهو مقابلها

4 . عذوبة اللفظ وسلاسته

5 . تعريف القصاص بلام الجنس الدالة على حقيقة هذا الحكم المشتملة على المسرب والجرح والقتل، فسبحانه من علت كلمته وبهرت آياته)([1]).

قال الدكتور / محمد كريم الكواز: في الآية تلاؤم وقد شرح الرماني هذا في مقارنته بين قوله تعالى: (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) وأعدل ما قيل في معناها وهو (القتل أنفى للقتل) فذكر أن الخروج من الفاء إلى اللام في قوله (في القصاص) أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة في (القتل أنفي) لبعد الهمزة عن اللام ، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء في (القصاص حياة) أعدل من الخروج من الألف إلى اللام في (أنفى للقتل) أي ملامسة الفاء لصوت اللام، هذه الكلمات الأربع، وهو وملامسة صوت الصاد لصوت الحاء تحدثان نوعا من التمازج منعكس على بقية التعادل في حروفها)([2]).

[1] الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، مرجع سبق ذكره، ص: 362.

[2] الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكواز، دار الكتب الوطنية – بنغازي، ط1426هـ، ص: 146.

ومنه قوله تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) ([1]).

(الحج فريضة عظيمة على المؤمنين لذا خص بالنداء أولي الألباب لأنهم أجدر بالتمسك لما يرشدهم ربهم من أحكام الحج، مع أن الأمر بالتقوى ليس خاصا بأولي الألباب، وحدهم، لأن كل إنسان مأمور بالتقوى، وهذا ما يسمى بالإطناب، وهو ذكر الخاص بعد العام، للتنبيه على فضل الخاص على العام.

وقد استعمل القرآن الكريم (الألباب) مجموعة، فلم يأت بها مفردة لأنها من الألفاظ التي يعذب جمعها)([2]).

وفي الصورة الفنية، تقدم الفعل على النداء على المنادي ، ونلاحظ الإيقاع بتأن في بيان أحكام الحج ليفهمه الجميع.

و/ الدعاء:

خرج النداء في بعض أساليبه إلى معنى الدعاء في سورة البقرة إحدى عشر مرة من شواهد ذلك:

قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) ([1]).

[1] سورة البقرة، الآية: 197.

[2] الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، 411/2.

(في الآية نداء من إبراهيم لربه بأن يجعل مكة بلدا آمنا وأن يوسع الرزق لأوله المؤمنون ، والله وعده بأن يرزق من كفر أيضا ثم يمهلهم قليلا في الدنيا ويدخلهم في الآخرة النار وقبح هذا المصير)([2]).

وقد خرج هنا عن معناه الأصلي إلى أسلوب الدعاء ، ويلاحظ في الآية الإيقاع الهادي في دعاء إبراهيم ربه والإيقاع الشديد بالنسبة للكفار في الجزء الأخير من الآية.

ومن قوله تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ([3]).

في الآية ذكر مآثر إبراهيم عليه السلام المنبئة عن مكانته السامية في كمال الإيمان والطاعة، وقوله (ربنا) أي يا ربنا حذف الأداة، وهو نداء من إبراهيم إلى المولى عز ودل وقد تحول إلى صيغة الدعاء، ونلاحظ الإيقاع الهادي في الدعاء ورد المشهد الغائب حاضرا يسمع، وهو من خصائص التعبير القرآني الجميل.

ومنه قوله تعالى: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) ([4]).

وهنا أيضا نداء من إبراهيم وابنه إسماعيل ربهما بأن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة، وقوله (ربنا) أي: يا ربنا بحذف الياء لأنه تمكن ملاحظته، وصورة النداء

---

[1] سورة البقرة، الآية: 126.

[2] إعراب القرآن وبيانه، 190/1.

[3] سورة البقرة، الآية: 127.

[4] سورة البقرة، الآية: 128.

هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى الدعاء ، مشعرا بالإيقاع الهادي والتذلل والتضرع إلى الله مما يجعلها أجدر بالإجابة.

ومن قوله تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) ([1])

(بيان من الله بأنه لا يكلف نفسا أكثر من طاقتها، لها ثواب ما كسبتها من الخير، وجزاء ما اكتسبتها من الشر، قوله (ربنا) أي، يا ربنا دعاء، ويجوز أن يكون هذا الدعاء محكيا من قول المؤمنين الذين قالوا (سمعنا وأطعنا) بأن اتبعوا القبول بالرضا فتوجهوا إلى طلب الجزاء ومناجات الله تعالى، واختيار حكاية هنا عنهم في آخر السورة إيذان بانتهاء السورة ، يجوز أن يكون تلقينا من جانب الله تعالى إياهم، بأن يقولوا هذا الدعاء مثلما لقنوا التحميد في سورة الفاتحة ، فيكون التقدير قولوا (ربنا لا تؤاخذنا) إلى آخر السورة)([2]).

وفي الآية حسن الختام ، والمقابلة في قوله (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) فقد قابل بين لها، وبين كسبت واكتسبت ، فالفعل الأول يختص بالخير ، والفعل الثاني يخاص بالشر([3]).

[1] سورة البقرة، الآية: 286.

[2] التحرير والتنوير، 3/139-140.

[3] إعراب القرآن وبيانه، 3/451.

الخاتمة:

بعد البحث عن بعض الصور الفنية لأساليب النداء في سورة البقرة يمكن أن نقول أنا توصلنا إلى الآتي :

إن الأساليب والصور الفنية للنداء في سورة البقرة جميلة ورائعة جدا مما يشوق المستمع إلى الإقبال نحوه وينتبه لما يلقى إليه من الأوامر والنواهي ليعمل به وبذلك ينال رضا الله تعالى، وكما نجد صور نداء الدعاء وما فيها من أسلوب هادي وتذلل وخضوع أمام المولى جل شأنه بغية قبول أعمال العبد السائل ربه.

وهذا ما وفقنا الله لجمعه نسأله تعالى أن نكون، قد وفقنا فيه وما توفيقي إلا بالله.

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الحديث النبوي الشريف

1-الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم كواز، دار الكتب الوطنية – بنغازي، الطبعة 1426هـ.

2-إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش، مكتبة اليمامة للطباعة، دمشق، الطبعة 1992م – 1407هـ، الجزء الأول والثاني والثالث.

3-النداء في اللغة والقرآن، أحمد محمد فارس، دار الفكر – بيروت.

4-تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، المجلد الأول.

5-التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر والتوزيع – تونس، الطبعة 1984م، الجزء الأول والثاني والثالث.

6-الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود عبد الرحيم الصافي، دار الرشيد – مؤسسة الإيمان، دمشق، الطبعة الرابعة 1418هـ، الجزء 2،3.

7-ديوان المتنبي، أبي الطيب المتنبي، دار إحياء التراث العربي – القاهرة.

الأحرف المشبهة بليس (دراسة تطبيقية) في سور الزمر

إعداد/

د.عبد الله الضو عبد الله الضو/ أستاذ اللغة العربية المشارك بجامعة غرب كردفان

السودان ـ مدينة النهود

00249912661286

bdallhaldw266@gmail.com

د.محمد علي حريكة عبدالله / أستاذ اللغة العربية المشارك بجامعة غرب كردفان

00249122838945

مستخلص:

تهدف الدراسة إلى جمع الأحرف المشبهة بـ (ليس) المتفرقة في كتب النحو، وترتيبها حسب ما تقتضيه الدراسة , ثم تطبيق ذلك في آيات سورة (الزمر) مستعيناً بأقوال المفسرين وملحوظاتهم .

وقد آثرت الأحرف المشبهة بـ (ليس) وذلك لكثرة مادتها العلمية , وأن كلام النحاة والمفسرين قد كثر حولها .

وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي للحروف المشبهة بـ (ليس) وأنماطها في سورة (الزمر) .

أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة : إنَّ القرآن الكريم لم يخالف النحو في الأحرف المشبهة بـ (ليس) لأنه المصدر الأول في تقعيد القواعد النحوية . حيث وردت (ما) في سورة (الزمر) مرتين . ووردت (لا) مرة واحدة , كما وردت (ليس) ثلاث مرات , أما (لات) لم ترد في سورة (الزمر) فحسب بل في القرآن الكريم كله حاشا سورة (ص) .

وتوصي الدراسة بالبحث في الأحرف المشبهة بـ (ليس) وذلك لأهميتها في الدرس النحوي .

Abstract:

The study aims to collect the scattered letters suspicious of (not) in the grammar books, arrange them according to what the study requires, and then apply that in the verses of Surat Al-Zumar, using the words of the commentators and their observations. The study preferred the letters suspicious of (not) due to the large amount of their scientific material, and the words of grammarians and commentators abounded around them. This study, adopted the descriptive analytical and inductive method. The most important findings of the study were that: The Holy Qur'an did not violate the grammar in the letters suspicious of (not) because it is the first source in establishing grammatical rules where (Ma) is mentioned twice in Surat Al-Zumar. It was received (no) once, as it had been received (Not) three times. As for (Lat) it does not appear in Surat Al-Zumar only, but in the entire Holy Qur'an, forbidding Surat (Saad). The study recommends searching for the letters suspicious of (not) because of their importance in the grammar lesson.

المقـدمـــــة

الحمد لله رب العالمين الصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد

إنَّ اللغة العربية تميزت بصفات تفردت بها عن سائر اللغات حيث نزل بها القرآن الكريم , قال تعالى : [نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ
عَرَبِيّ مُّبِين ١٩٥][1] .

ومن هنا كانت رغبتي في اختيار بحث يتعلق بالقرآن الكريم وبعد تأمل وبحث شديدين تحققت هذه الرغبة فتوصلت إلى الدراسة والتي هي بعنوان (الحروف المشبهة بليس في سورة الزمر (دراسة تطبيقية).

تأتي أهمية الدراسة من عنوانها إضافة إلى ذلك احتوائها قدراً كبيراً من الآيات القرآنية .

حيث تهدف الدراسة إلى إشباع رغبة الباحث في جمع النحو ذلك المعين الثر لا ينضب إذ أن الآيات القرآنية تجمع كل ضروب النحو .

وقد اتبع في هذه الدراسة المنهج الوصفي الاستقرئي التحليلي للحروف المشبهة بـ (ليس) وأنماطها في سورة (الزمر) .

تناول الباحث الدراسة في أربعة محاور , حيث كان المحور الأول بعنوان :ما النافية ,وقد جاء المحور الثاني بعنوان:لا النا فية , وورد المحور الثالث بعنوان :(لات) , وأما المحور الرابع بعنوان : (إنْ) وزيلت الدراسة الدراسة بخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع .

[1] - سورة الشعراء : 193ـــ 195.

الحروف المشبهة بـ (ليس)

وهي الملحقة بـ "ليس" في النفي والجمود والدخول على الجملة الاسمية من رفع الاسم ونصب الخبر لمشابهتها لها في المعنى. وهي "ما" ، و"لا" ، "لات" ، و "إنْ"[1].

وقد أشبهت ليس في ثلاثة أمـورٍ :

أحدها :أنها تدل على النفي كما أن "ليس" تدل على النفي ، وليس الأمر قاصراً على هذه الدلالة ، بل هو أقوى من مجرد الدلالة على النفي ، فإن"ما" تدل على النفي في الحال كما أن "ليس" تدل على النفي في الحال.

الثاني: أنَّا وجدنا "ما" تدخل على المبتدأ والخبر كما أنَّ "ليس" تدخل عليهما .

الثالث: أنَّا وجدنا الخبر الواقع بعد "ما" يقترن به الباء الزائدة كما في قوله تعالى:

[مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ][2].

كما أن خبر المبتدأ الواقع بعد "ليس" ، يقترن بهذه الباء كما في قوله تعالى: **[أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ]**[3]. ؛ فلما أشبهت "ما" ليس هذا الشبه القوي عملت عملها ؛ فرفعت الاسم ونصبت الخبر[4].

المحور الأول :مـا النافية :

اعلم أن "ما" حرف نفي يدخل على الأسماء والأفعال .وقياسه أن لا يعمل شيئاً ، وذلك ؛لأن عوامل الأسماء لا تدخل على الأفعال وعوامل الأفعال لا تدخل على الأسماء على حدِّ همزة الاستفهام وهل. ألا ترى أنك لما قلت : هل قام زيدٌ ، وهل زيدٌ قائمٌ فوليه الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر لم يجز إعمالها في شيء من الأسماء والأفعال لعدم اختصاصها فهذا هو القياس في "ما" ؛ لأنك تقول: "ما قام زيدٌ" كما تقول: "ما زيدٌ قائمٌ" فيليها الاسم والفعل غير أن أهل الحجاز يشبهونها بـ"ليس" ويرفعون بها الاسم وينصبون

---

[1] ـ الاهدل ،محمد بن احمد بن عبدالبارى ، الكواكب الدرية على متممة الاجرومية ،مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت ،1420هـ ـ2000م ، 1/ 220 .

[2] ـ سورة القلم: 2.

[3] ـ سورة الزمر: 36.

[4] ـ بركات يوسف هبود مصباح السالك إلى أوضح المسالك , راجع الكتاب وصححه وصنع فهارسه يوسف الشيخ محمد البقاعي , دار الفكر للطباعة والنشر , 1414هـ 1994م ، 1/ 264.

بها الخبر كما يفعل بـ"ليس" كذلك تقول:"ما زيدٌ منطلقاً"وما أخوك منطلقاً ، وما أخوك خارجاً ، فاللغة الأولى أقيس والثانية أفصح وبها وردَ في الكتاب العزيز، قال تعالى :**[مَا هَـذَا بَشَـرًا]**[1]. وقال تعالى :**[مَـا هُـنَّ أُمَّهَـاتِهِمْ]**[2]. وقرئ بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية [3] . ويروي الأصمعي أن "ما" لم تقع في الشعر إلا على لغة تميم[4]. والحجازيون لا يعملونها مطلقاً إلا بشروط ستة **وهي :**

1. أن لا يقترن اسمها بـ "إنِ "الزائدة . فإن اقترن بطل عملها وجوباً عند البصريين.
2. أنْ لا ينتقض خبرها بـ"إلا" فإن انتقض بـ"إلا" بطل عملها ووجب رفعه نحو قوله تعالى **[وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ]**[5].
3. أن لا يتقدم خبرها على اسمها وهو غير ظرف ولا جار ومجرور . فإن تقدم وجب رفعه نحو "ما قائمٌ زيدٌ"
4. أن لا تتكرر "ما " فإن تكررت بطل عملها نحو"ما ما زيدٌ قائمٌ".
5. أن يتقدم معمول الخبر على الاسم وهو غير ظرف ولا جار ومجرور فإن تقدم بطل عملها نحو "ما طعامك زيدٌ آكلٌ"
6. أن لا يُبدَّل من خبرها موجب فإن أُبدل بطل عملها نحو "ما زيدٌ بشيء إلا شيءٌ لا يعبأ به"[6]. فما خرج من القاعدة الأولى رواية يعقوب بن السكيت:

---

[1] ـ سورة يوسف : 31.

[2] ـ سورة المجادلة : 2.

[3] ـ الزمخشري , أبو القاسم محمود بن عمر ,الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق محمد عبدالسلام شاهين , دار الكتب العلمية بيروت , 1415هـ - 1995م ,70/24 .

[4] ـ ابن يعيش ،وفق الدين بن عيش بن على ،شرح المفصل ،عالم الكتب ،بيروت ،مكتبة المتنبي ،القارة ،بدون ت،ط ، 18/1 ، انظر سيبويه ،أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ،تحقيق عبدالسلام هارون ،دار الكتاب العربي ،1388هـ ـ1986م ,2 / 131 ، والسيوطي ، جلال الدين السيوطي : الأشباه والنظائر ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان 1405هـ - 1984م , 75/2 .

[5] ـ سورة آل عمران : 144.

[6] ـ انظر شرح ابن عقيل ،بهاء الدين عبدالله بن عقيل ،شرح ابن عقيل ، تحقيق محمد محي الدين ،مكتبة التراث ،القاهرة ،ط2،يوليو 1980م، 1/ 303 - 307 ، و ابن هشام ، جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري ,شرح قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق حنا الفاخوري ، دار الجيل بيروت ط1 1992م ، ص

بَنِي غُدَانَةَ مَا إِنْ أَنْتُمُ ذَهَبَاً * ولا صَرِيفـاً ولكنْ أَنْتُمُ الخَـزَفُ**[1]

الشاهد فيه "ذهباً" بالنصب رغم اقتران "ما"النافية بـ "إنْ" الزائدة فيتخرج على أنَّ "إنْ" نافية مؤكدة لـ"ما" وهذا التخريج يتمشى مع الكوفيين "إنْ"المقرونة بـ"ما" هي النافية جئ بها بعد "ما" توكيداً[2]. ورواية البيت عند البصريين :

بَنِي غُدَانَةَ مَا إِنْ أَنْتُمُ ذَهَبٌ * ولا صَرِيفٌ ولكنْ أَنْتُمُ الخَزَفَ**[3]

برفع"ذهبٌ"و"لاصريف"على الإهمال،وإنما لم تعمل؛لأنها محمولة على ليس لا يقترن اسمها بإنْ .

2. ما يظهر أنه خرج عن القاعدة الثانية قول الشاعر: وهو مجهول:

ومَا الدَّهْرُ إلاَّ مَنْجنُوناً بإِهلِهِ * ومَا صَاحبُ الحاجاتِ إلا مُعذَّباً**[4]

الشاهد فيه: نصب "منجنوناً" و "معذباً" على أنهما خبر "ما" النافية رغم اقترانها بـ "إلا" وتخريجه من باب المفعول المطلق الواقع عامل المحذوف خبراً عن اسم مبتدأ على حد قولهم : ما زيدٌ إلا سيراً أي: ما زيدٌ إلا يسير سيراً ، والتقدير : وما الدهر إلا يدور دوران

---

139 ، والمرادى ، الحسين بن ام القاسم ،الجنى الداني للحروف المعاني ، نحقيق دكتور د. فخر الدين قباوة ، محمد كريم فاضل بيروت ط2 ,1983م، ص 323 ، والكتاب ، 1/ 59 .

[1] ـ البيت من شواهد الكواكب الدرية ، 221/1 ، والصبان ، محمد على ،حاشية الصبان على شرح الاشموني ،تحقيق ابراهيم شمس الدين ،منشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية ،بيروت ط1،بدون ،ت.، 247/1 ، وابن هشام أوضح المسالك علي ألفية ابن مالك ، راجع الكتاب وصححه وصنع فهارسه يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر بيروت،1414 هـ ، 1/ 266 ، و السيوطي ، عبدالرحمن جلال الدين ،وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع تحقيق احمد شمس الدين ،ممنشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت ،ط1418،1هـ ــ 1998م ، 1/ 391، و الشنقطي ،احمد امين ، الدرر اللوامع على همع الهوامع بشرح جمع الجوامع في العلوم العربية ،دار المعرفة للطباعة والنشر ،بدون ت ، 1/ 94.

[2] ـ انظر الدراللوامع ، 95/1 .

[3] ـ الحيدرة ، على بن سليمان ، كشف المشكل في النحو ، تحقيق هادي عطية ، ص 344 ، ط1 ، 1984م، وهمع الهوامع ، 2/ 112 .

[4] ـ البيت من شواهد الكواكب الدرية ، 1/ 223 ، و المرادى ، الحسين بن ام القاسم ،الجنى الداني للحروف المعاني ، نحقيق دكتور د. فخر الدين قباوة ، محمد كريم فاضل بيروت ،ط1983،2م ، ص 325، وهمع الهوامع ، 2/ 111 ، وأوضح المسالك ، 1/ 268 ، وحاشية الصبان ، 248/1، و ابن هشام ، جمال الدين عبدالله بن هشام الانصارى ،مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، تحقيق محمد محي الدين ،المكتبة العصرية ،1992م ، 73/1، والبغدادي , عبدالقادر عمر ,خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية بدون ت ط ,4/ 130.

منجنون. فالدهر: مبتدأ ويدور : جملة فعلية خبره ، ودوران مفعول مطلق ، وعامله يدور محذوف وأقيم المضاف إليه مقام المضاف وكذا القول في قوله "وما صاحب الحاجات إلا معذباً"فالتقدير: إلا يعذب معذباً[1] .

يقول الشنقيطي في هذا البيت : استشهد به على إعمال . ما . مع انتقاض نفيها بـ "إلا" وخرج على أنه بتقدير : وما الدهر إلا يشبه منجوناً وما صاحب الحاجات إلا يشبه معذباً فهما منصوبان بالفعل الواقع خبراً و "معذب" على هذا اسم مفعول وقيل يجوز أن يكون منجنون منصوباً على الحال والخبر محذوف أي: وما الدهر موجوداً إلا مثل المنجنون "لا يستقر في حاله وعلى هذا تكون عاملة قبل انتقاض نفيها وكذا يكون التقدير في الثاني أي: وما صاحب الحاجات موجوداً إلا معذباً ، ولا تقدر هناك "مثل" لأن الثاني هو الأول ..."[2]

3. وما خرج عن القاعدة الثالثة قول الفرزدق:

فَأَصْبحُوا قَدْ أَعَادَ اللهُ نِعْمَتَهُم * إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وإِذْ مَا مِثْلَهُم بَشَرُ**[3]

الشاهد: " مَا مِثْلَهُم بَشَرُ " حيث قدم الشاعر خبر "ما" عليها، وهذاشاذٌ وقيل إنه غلط سببه أنه تميمي وأراد أن يتكلم بلغة الحجاز[4].

وقيل: استشهد به على عمل "ما" الحجازية على مذهب الفراء[5] من غير قيد[6]. وسيبويه يقول :إنَّ "مثلهم" خبر "ما" مقدماً عليها قال: وهذا لا يكاد يعرف[7]. وقيل : إنَّ خبر "ما"

---

[1] ـ انظر الجنى الداني ، ص 325، وأبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف ، تقريب المقرب ، تحقيق د. عفيف عبد الرحمن ص 159، بيروت ، ط2 ، 1982م.

[2] ـ الدرر اللوامع ، 1/ 94.

[3] ـ البيت من شواهد الكواكب الدرية ، 1/ 224 ، والأنباري , عبد الرحمن بن محمد عبد الله ، أسرار العربية ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية – بيروت ط1 , 1418هـ – 1997م , ص 91 ، والأشباه والنظـــــائر ، 1/ 259 ، والدرر اللوامع ، 1/ 188 ، و الأعشى , أبو بصير ميمون بن قيس ,ديوانه , دار صادر , بيروت , بدون ت ط ، 1/ 185 ، وهمع الهــوامع ، 1/ 392 ، وأوضح المســـالك ، 1/ 270.

[4] ـ حاشية الصبان ، 1/ 259 .

[5] ـ هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي ، "140هـ – 207 هـ " أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب ، أشهر كتبه "الجدود" ، و"المعاني " ، و" الجمع والتثنية في القرآن" ، و"المفاخر" ، انظر الأعلام ، 8/ 145 .

[6] ـ الدرر اللوامع ، 1/ 95 .

[7] ـ انظر الكتاب ، 1/ 60، والدرر اللوامع ، 1/ 95.

محذوف أي: إذْ ما في الدنيا بشر و "مثلَهم" حال من بشر وانتصابه عند الكوفيين على الظرف . على رواية نصب . و "إذ ما مثلهم بشر" أي: في مثل حالهم وفي مثل مكانهم من الرفعة ، وقيل: إنَّ الفرزدق تميمياً لأنه أراد أن يخلص المعنى من الاشتراك وذلك إنه لو قال فيه : "إذ ما مثلهم بشرٌ" بالرفع لجاز أن يتوهم أنه من باب "ما مثلك أحدٌ" إذا نفيت عنه الإنسانية والمروءة فإذا قال : ما مثلهم بشرَ بالنصب لم يتوهم ذلك وخلص المعنى للمدح دون توهم الذم ، فتأمله تجده صحيحاً ، والشعر موضع ضرورة ويحتمل في وضع الشيء في غير موضعه وإن اختلطت الألفاظ فكذلك وجهه على هذا وإن كان غيره أقرب إلى القياس[1].

فمن النحويين من قال : هو منصوب على الحال ؛ لأن التقدير فيه : وإذ ما بشرٌ مثلهم، فلما قدم مثلهم الذي هو صفة النكرة انتصب على الحال ؛ لأن صفة النكرة إذا تقدمت انتصبت على الحال[2].

4. وما خرج عن القاعدة الرابعة قول الشاعر وهو مجهول:

لا يُنْسِكَ الأَسَى تَأَسِّياً فَمَـا * مـَا مِنْ حِمَامٍ أحدٌ مُعْتَصِمـا[3]**

الشاهد "معتصما" حيث كرر "ما" النافية توكيداً وأبقى عملها على مذهب الكوفيين ومن وافقهم[4].

وأجاز بعض النحويين إعمال "ما" النافية على ضوء هذا البيت على النحو التالي:

1. إما أن تكون "ما "الثانية نافية لنفي الأولى.
2. وإما أن تكون نافية مؤكدة لنفي الأولى.
3. وإما أن تكون زائدة .

---

[1] ـ الدرر اللوامع ، 1/ 95.

[2] ـ أسرار العربية ، ص 92.

[3] ـ البيت من شواهد الكواكب الدرية ، 1/ 222 ، والجنى الداني ، ص 328، و الأزهري ،خالد بن عبدالله ،شرح التصريح على التوضيح ، تحقيق باسل عيون السود ،منشورا ت محمد على بيضون ،دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 ,2000 م ص 8 ، والدرر اللوامع ، 1/ 95 ، وهمع الهوامع ، 1/ 392 ، و عبد السلام محمد هارون , معجم شواهد العربية ،مكتبة الخانجي بالقاهرة , ط3 , 2002م , ص 437.

[4] ـ الجنى الداني ، ص 329 .

فإذا كانت الثانية نافية لنفي الأولى صار الكلام إثباتاً ؛ لأن نفي النفي إثبات ووجب إهمالها جميعاً . وإذا كانت الثانية زائدة وجب إهمال الأولى أيضاً عند من يهمل "ما" وإذا اقترنت بها "إنْ" الزائدة . وإنْ كانت "ما" الأولى نافية ، والثانية مؤكدة لنفي الأولى جاز لك حينئذ الإعمال ، وعلى الرأي الأخير ورد البيت السابق[1].

المحور الثاني :لا النا فيه

(لا) النافية الداخلة على المعرفة :

اختلف العلماء في دخول "لا" على المعرفة؛ لأن القاعدة التي قرروها لا يكون اسم "لا" النافية وخبرها إلا نكرة فلا تعمل في المعرفة . وما ورد من ذلك فهو مؤول بنكرة كقولهم : "قضيةٌ ولا أبا حسنٍ لها" فالتقدير : ولا مُسمَّىً بهذا الاسم لها ويدل على أنه معامل معاملة النكرة وصفة بالنكرة كقولك: "لا أبا حسن حلالاً لها" وقد أوله العلماء بتأويلين:

أحدهما: أن الكلام على حذف مضاف ، والتقدير: لا مثلَ أبي الحسن لها، و"مثلَ " كلمة متوغلة في الإبهام لا تتعرف بالإضافة والنفي "المثل" كناية عن نفي وجود أبي الحسن نفسه.

الثاني: أن يجعل "أبا الحسن" عبارة عن اسم جنس وكأنه قد قيل : ولا فيصلٌ لها وهذا مثل تأويلهم في باب الاستعارة نحو"حاتم" بالمتناهي في الجود، ونحو "مادر" بالمتناهي في البخل ، ونحو "يوسف" بالمتناهي في الحُسنِ ، وضابطه : أن يؤول الاسم العلم بما اشتهر به من الوصف[2]. أما قول الراجز :

لا هيثـمَ الليـلةَ في المِطِّـيِ[3]

فالشاهد نصب "هيثمَ" ب"لا" وهو اسم علم وهي لا تعمل إلا في نكرة ، وجاز ذلك ؛ لأنه أراد أمثال هيثم ممن يقوم مقامه في جودة الحداء للمطي .

---

[1] ـ الكواكب الدرية ، 1/ 223 ، وشرح ابن عقيل ، 1/ 303 - 307 ، وشرح التصريح على التوضيح ، 1/ 196 - 199 .

[2] ـ انظر الكتاب ، 1/ 345 ، وشرح المفصل ، 1/ 502 – 503 .

[3] ـ هذا الرجز من شواهد الكواكب الدرية ، 1/ 291 ، وأسرار العربية ، ص 138 ، والأشباه والنظائر ، 3/ 82 ، وشرح المفصل ، 2/ 102 ، وهمع الهوامع ، 1/ 464 ، وخزانة الأدب ، 4/ 57 ، والصبان ، محمد على ،حاشية الصبان على شرح الاشموني ،تحقيق ابراهسم شمس الدين ،منشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية ،بيروت ط1،بدون .ت، 2/ 4.

ولكن خالف ابن جني وابن الشجري قول مَّنْ قال: إنها لا تعمل في المعرفة واستندا على قول ذي الرمة :

وحَلتْ سَوادَ القَلْبِ لا أنَا بَاغِيا* سِوَاهَا ولاعَنْ حُبِّهَا مُتَرَاخِيا**[1]

الشاهد دخول "لا" النافية على المعرفة حيث دخلت على الضمير "أنا".

وقول الآخر :

أنْكَرْتُها بَعدَ أعْوامٍ مَضَيْنَ لها ** لا الدَّارُ دَّاراً ولا الجِيرَانُ جِيَرانَا[2]

الشاهد " لا الدَّارُ دَّاراً ولا الجِيرَانُ جِيَرانَا " حيث أعمل "لا" النافية في الموضعين عمل ليس مع أن اسمها في الموضعين معرفة محلى بـ"ال".

وقول المتنبي :

إذا الجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلاصاً مِنْ الأذَى * فَلا الحَمْدُ مَكْسُوباً ولا المَالُ بَاقياً**[3]

الشاهد منه "لا الحَمْدُ مَكْسُوباً ولا المَالُ بَاقياً " فإنه أعمل "لا" عمل ليس فرفع بها الاسم في قوله "الحمدُ والمالُ" ونصب بها الخبر وهو "مكسوباً وباقياً" مع كون اسمها في الموضعين معرفة محلى ب "ال". وقد ذكر الخبر في الموضعين فدلَّ أيضاً على جواز ذكر خبر "لا" العاملة عمل "ليس" خلافاً لمن زعم أن خبرها واجب الحذف وألتزم جعل الاسم المنصوب حالاً من ضمير مستكنّ في الخبر المحذوف .

وقول الآخر:

تَعَزَّ فلا شَيءٌ على الأرضِ بَاقِيا * ولا وَزَرٌ مِمَّا قَضَى اللهُ وَاقِيَا**[1]

---

[1] ـ البيت من شواهد مغني اللبيب ، 1/ 195 ، و ابن هشام ، جمال الدين عبدالله بن هشام الانصاري شرح قطر الندى ، وبل الصدى ، تحقيق حنا الفاخوري ، دار الجيل بيروت ط1 1992م، ص 142 ، وحاشية الصبان ، 1/ 253 ، و ذ والرمة , غيلان بن عقبة العدوي ,ديوانه ، تحقيق كاريل هنري هيس , كمبردج , 1919م ,ص 676 .

[2] ـ البيت من شواهد الكواكب الدرية ، 1/ 228 ، وشرح قطر الندى ، ص 142 ، و أميل بديع يعقوب ، المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية ،دار الكتب العلمية ،بيروت ط2،1422هـ ــ1998م ، 2/ 963 ، ومعجم شواهد العربية ، ص 497 .

[3] ـ البيت من شواهد الكواكب الدرية ، 1/ 229 ، ومغني اللبيب ، 1/ 240 ، و ابن هشام ، جمال الدين عبد الله ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د/ أميل يعقوب دار الكتب العلمية بيروت، 1417هـ شرح ، ص 257.

الشاهد منه " لا شَيءٌ بَاقِيا ، ولا وزرٌ واقيا" وهو أنه يشترط في إعمال "لا" النافية عمل ليس تنكير اسمها وخبرها وقد ذكرهما جميعاً .

(لا) النافية الداخلة على الأفعال :

يرى النحاة أن "لا" النافية إذا دخلت على فعلٍ ماضٍ لفظاً ومعنى وجب تكرراها وما يؤيد هذه القاعدة قوله تعالى :**[فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى]**[2]. ، وقو ل الهدلي: "كيف أغرمَ مَنْ لا شربَ ولا أكلَ ولا نطقَ ولا استهلَ" وماورد من أقوال العرب ما جاء مخالف اً لهذه القاعدة فهو مؤول ، وذلك كقول المؤمل بن أميل المحاربي :

حَسْبُ المُحبِينَ في الدُنْيَا عَذابُهُم * تاللهِ لا عَذَبَتْهُمْ بَعدها سَقَرُ**[3]

وقول ابن قيس الرقيات:

لا بارَكَ اللهُ في الغَوَّانِي هَـلْ * يَبِتْنَ إلا لـهُنَّ مَطْلَبُ**[4]

وقول بكير اليربوعي:

مَنْ يَكُ لا سَاءَ فقدْ سَـــاءَنِي * تَرْكُ أُبَيْنَيْكَ إلى غيرِ رَاعٍ**[5]

---

[1] ـ البيت من شواهد الكواكب الدرية ، 1/ 227 ، حاشية الصبان ، 1/ 253 ، وشرح شذور الذهب ، ص 196 ، والعيني ، محمود بن أحمد ، المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية مطبوع مع خزانة الأدب ، 2/ 102 ، دار صادر ، بيروت ، بدون ، ط، ت، والجنى الداني ، ص 292 ، وهمع الهوامع ، 1/ 397 ، وأوضح المسالك ، 1/ 275 ، و المكودي ، أبو زيد عبد الرحمن بن علي صالح (1422هـ) شرح المكودي على ألفية إبن مالك ، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية بيروت ط1 ، ص 63.

[2] ـ سورة القيامة : 31.

[3] ـ البيت من شواهد الكواكب الدرية ، 1/ 281 ، وخزانة الدب ، 8/ 332 ، ومغني اللبيب ، 1/ 243 ، والاسترابادي , الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن , شرح الرضي على كافية ابن الحاجب , تحقيق د. عبدالعال سالم مكرم , عالم الكتب , القاهرة , ط1 , 1421هـ - 2001م , 5/ 8 ، ومعجم شواهد العربية ، ص 208 .

[4] ـ البيت من شواهد المغني ، 2/ 620 ، و الأنباري ، الإمام كمال الدين أبي البركات بن محمد أبي سعيد ،الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصرينة والكوفيين ،تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ،المكتبة العصرية بيروت ،1407هـ ــ 1987م ، 1/ 77 .

[5] ــ البيت من شواهد محمد محي الدين، الانتصاف من الإنصاف ، 1/ 77 ، دار الفكر ، بدون ، ط، ت

وقول أبو خراش الهذلي :

إنْ تَغْفِرْ اللهُمَّ تَغْفِـرْ جَمَّـا * وأيُّ عَبـدٍ لكَ لا ألمَّـا**[1]

وقول شهاب بن العفيف :

وأيُّ أمْرٍ سَيءٍ لا فَعَلهُ[2]

دخلت في هذه الأبيات "لا" النافية على أفعال ماضية ولم تكرر وهي كالآتي: "لا عذبته" ، "لا بارك" ،"لا ساء" ، "لا ألمَّا"، "لا فعله" فقالوا: إنَّ الأفعال هذه ماضية في اللفظ دون المعنى لذا لم يجب تكرارها . وزعم بعض النحاة أنَّ "لا" مكررة في المعنى وإن لم تكرر في اللفظ ، وهذا مثال ما قاله الزمخشري في قوله تعالى :**[فَـلَا اقْـتَـحَمَ العَقَبَـةَ]**[3]. وإن المعنى : فلا فكَ رقبة ولا أطعمَ مسكيناً. وذهب آخرون إلى أن هذه الشواهد شاذة لا يقاس عليها ولا تبنى عليها قاعدة[4] .

(لا) النافية المعترضة بين الخافض والمخفوض:

ناقش النحويون "لا" النافية المعترضة بين الخافض والمخفوض ، نحو : "غضبت من لا شيء" فـ "مِنْ" الخافض ، و "شيء" المخفوض ، و "لا" المعترضة بين الخافض والمخفوض ، وجعلها سيبويه هي وما بعدها بمنزلة اسم واحد كما في قوله: وأعلم أن "لا" قد تكون في بعض المواضع بمنزلة اسم واحد هي والمضاف إليها نحو قولك: أخذتُهُ بلا ذنبٍ بلا شيءٍ ، وغضبتُ من لا شيءٍ. ومثل ذلك قولك لرجل : أجئتنا بغير شيءٍ ، وتقول: إذا قللت الشيء أو صغرت أمْرَهُ ، ومن ذلك قول أبو الطفيل :

تَرَكَتْنِي حينَ لا مَالَ أعيشُ بِهِ * وحينَ جُنَّ زمانُ النَّاسِ أو كَلبا**[5]

[1] ـ البيت من شواهد الجنى الداني ، ص 298 ، و السيوطي ، عبدالرحمن جلال الدين ، شواهد المغنى ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ، بدون ط ، ت ، 2 / 625 .

[2] ـ البيت من شواهد المغني ، 2/ 625 ، وشرح الكافية ، 6/ 67 .

[3] ـ سورة البلد: 11.

[4] ـ انظر الانتصاف من الإنصاف ، 1/ 76 ـ 77 .

[5] ـ البيت من شواهد الكتاب ، 2/ 302 ، والمعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية ، 45/1.

وجعلها ابن هشام اسماً قائماً بذاته وأنها مجرورة بحرف الجر في قوله : "إنها اسمٌ وأن الجار دخل عليها نفسها وأن ما بعدها خفض بالإضافة "[1] .

اتفق ابن هشام مع سيبويه كما ترى ولكنه ينقل رأياً لغيره ويجعلها حرفاً زائدا وذلك في قوله : "وغيري يراها حرفاً ويسميها زائدة كما يسمون "كان" في نحو "زيدٌ كان فاضلاً" ، زائدة وإن كانت مفيدة لمعنى وهو المضي والانقطاع فعلم أنهم قد يريدون بالزائدة المعترضة بين شيئين متطالبين وإن لم يصح أصل المعنى بإسقاطه كما في مسألة "لا" في نحو : غضبتُ منْ لا شيء... وكذلك "لا" المعترضة بالعاطف نحو "ما جاءني زيدٌ ولا عمرٌو"

ويسمونها الزائدة[2].

وفريق من العلماء أجمع أنها زائدة ولكن اتخذوا في إجماعهم هذا مناحي مختلفة:

أولاً: زائدة لفظاً.

ثانياً: زائدة لتوكيد النفي .

ثالثاً: زائدة دخولها كخروجها[3].

وتفصيل هذه الآراء كما يلي:

أولاً : إنها زائدة من جهة اللفظ فقط كقولهم : جئتُ بلا زادٍ وغضبتُ من لا شيءٍ فـ "لا" زائدة من جهة اللفظ للوصول على ما قبلها إلى ما بعدها . وليست زائدة من المعنى ، لأنها تفيد النفي ولكنهم أطلقوا عليها الزائدة .

ثانياً: زائدة لتوكيد النفي نحو: "ما يستوي زيدٌ ولا عمرٌو" ومنه قوله تعالى:[**غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**][4]. فـ"لا " زائدة لتوكيد النفي قالوا وتعين دخولها في الآية لئلا يتوهم عطف "الضالين على الذين".

ثالثاً: زائدة دخولها كخروجها ، وهذا مما لا يقاس عليه ومنه قول الشاعر مجهول :

تَذَكَرْتُ لَيْلىَ فَاعْتَرَتْني صَبابةٌ *** وكادَ ضَمِيرُ القَلبِ لا يَتَقَطَّعُ[1]

---

[1] ـ مغني اللبيب ، 1/ 198 ، وشرح الكافية ، 2/ 220.

[2] ـ مغني اللبيب ، 1/ 198 .

[3] ـ انظر الجنى الداني ، ص 300 – 302 .

[4] ـ سورة الفاتحـة : 7 .

الشاهد فيه "لا يتقطَّعُ" أي: يتقطع فـ"لا" هنا زائدة دخولها كخروجها ، ومن ذلك قوله تعالى: **[لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ]**[2]. كما جعل كثير منهم "لا" زائدة في قوله تعالى:**[مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ]**[3].وقوله تعالى: **[وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ]**[4]. وقول الشاعر الفرزدق:

لوْ لَمْ تَكُنْ غَطَفَانَ لا ذُنُوبَ لها * إذنْ لَلامَ ذَوُو أحْسَابِهِم عُمَرا**[5]

"لا" هنا زائدة مع أن النكرة بعدها مبنية معها على الفتح ... والمعنى لها ذنوبَ ، وعمل "لا" الزائدة هنا شاذٌ ، وإنما عملت مع الزائدة لأنها أشبهت النافية لفظاً وصورة[6] .

وقول الراجز أبي النجم:

ولا أُلُومُ البِيضَ إلا تَسْخَرا * إذا رَأينَ الشَمَط المـُنـَوّرا**[7]

الشاهد "ألا تسخرا".

المحور الثالث :(لات) :

"لات" أداة نفي وردت مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى :**[وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ]**[8]. وقد ألحق النحاة "لاتَ" في العمل بـ "ليس" وعلى هذا افترضوا إنها تحتاج إلى اسم يرتفع بها وخبر تنصبه . والاستعمال العربي ينقض هذا الافتراض و "لات" لا يأتي

---

[1] ـ البيت من شواهد الجنى الداني ، ص 302، والمعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية ، 1/ 529.

[2] ـ سورة الحديد : 29.

[3] ـ سورة الأعراف : 12.

[4] ـ سورة الأنبياء : 95.

[5] ـ البيت من شواهد الكواكب الدرية ، 1/ 280 ، و أبو حيان الأندلسي , محمد بن يوسف ,ارتشاف الضرب من لسان العرب , تحقيق د. مصطفى أحمد النماس , ط1 , 1997م ، 2/ 168 ، وشرح الكافية ، 2/ 215 ، وشرح التصريح على التوضيح ، 1/ 337 ، وخزانة الأدب ، 4/ 30، وحاشية الصبان ، 2/ 4، والدرر اللوامع، 1/ 127 ، والمقاصد النحوية ، 2/ 322 ، وديوانه ، 230/1.

[6] ـ شرح التصريح على التوضيح ، 1/ 337 ـ 338 ، وابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، الصاحبي، تحقيق د. عمر فاروق الطباع ، ص 258 ـ 259، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط1 ، 1414هـ ـ 1993م، انظر ارتشاف الضرب ، 2/ 167.

[7] ـ البيت من شواهد الجنى الداني ، ص 303 ، والخصائص ، 283/2 .

[8] ـ سورة ص : 3 .

بعدها إلا اسم مفرد منصوب في الاستعمال الشائع المطرد مرفوع في الاستعمال القليل .أما القاعدة التي يدور حولها النحاة فهي لا تكون "لات" إلا مع الحين تضمر فيها مرفوعاً وتنصب الحين، ... ولم تتمكن تمكن "ليس" ، ولم تستعمل إلا مضمراً فيها لأنها ليست كـ "ليس" في المخاطبة والإخبار عن غائب تقول لستُ ولستِ وليسوا ...ولا يكون هذا في "لات"فلا تقول : "لاتوا"[1] .

يقصد سيبويه بقوله هذا . لات . لا يذكر معها معمولاها معاً . الاسم والخبر . بل لا بد من حذف أحدهما ، وحذف الاسم أكثر والعكس قليل . أما عملها فلا تعمل إلا في أسماء الأحيان نحو حين ، وساعة ، وأوان ، و وقت[2] .

وكل من خالف هذه القاعدة من العرب أخضع قوله للتأويل ، كقول أبي زيد الطائي :

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلاتَ أوانٍ * فأجَبْنَا أنْ ليسَ حِينَ بَقــاءُ**[3]

الشاهد فيه " وَلاتَ أوان " حيث وردت كلمة "أوان" مجرورة بعد "لات" ، والتأويل في ذلك "ليس الأوانُ أوانَ صُلحٍ " فحذف المضاف إليه "صلح" ، و "أوانٍ" منوي الثبوت بُني على الكسر كما فعل بـ "قبلِ وبعدِ " إلا أنَّ أواناً لشبهه بنزال وزناً وبُني على الكسر ونون اضطراراً[4] . ولكن الزمخشري يجعل الكسر في"أوانٍ " بمنزلة التنوين في "إذٍ " في قولهم : "وأنت إذٍ صحيح"[5]؛

لأنه زمان قطع منه المضاف إليه وعُوِّض التنوين ؛لأن الأصل "ولات أوانَ صحيحٍ " [6].

أما الجر بها فقد ذكره الفراء للعرب وأنشد :

---

[1] ـ الكتاب ، 1/ 57.

[2] ـ انظر الأشموني ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، تحقيق د. عبد الحميد السيد محمد ، 1/ 432، المكتبة الأزهرية للتراث ، بدون، ط، ت ، وهمع الهوامع ، 120/2 ، وحاشية الصبان ، 1/ 57 ، والجنى الداني ، ص 488 .

[3] ـ البيت من شواهد الكواكب الدرية ، 1/ 233 ، والجنى الداني ، ص 490 ، وشرح الأشموني ، 1/ 428 ، وحاشية الصبان ، 1/ 256 ، والإنصاف ، 1/ 109 ، وخـزانة الأدب ، 4/ 183 ، ومغني اللبيب ، 1/ 255 ، وشرح شذور الذهب ، ص 261 .

[4] ـ انظر الدرر اللوامع ، 1/ 99 ، شرح الأشموني ، 1/ 430 .

[5] ـ الجنى الداني ، ص 490، وشواهد المغني ، 1/ 260.

[6] ـ الكشاف ، 3/ 359 ، ابن جني ابو الفتح عثمان ،والخصائص ،تحقيق محمد على النجار ،دار الكتب المصرية ،القاهرة ،ط1376،1هـ ــ 1956م ، 2/ 386 .

نَدِمَ البُغاةُ ولاتَ سَاعةَ مَنْدِمٍ * والبَغْي مَرتعُ مُبتغيهِ وخِيمُ**[1]

يرى أبو حيان أن الجر هنا بتقدير "منْ" ويرى الفراء إنها مضافة إلى ساعة كما أضيفت "مُذْ" و "مُنذ" إلى أسماء الزمان خاصة[2]

قال التميمي[3] في منصور بن زياد[4]:

لهْفِي عَليكِ لِلَهْفةٍ مِنْ خَائفٍ * يَبْغِى جِوَارَكِ حِينَ لاتَ مُجِيرُ**[5]

رفع كلمة "مجيرُ" بعد "لات" ، وهي مرفوعة على الابتداء ، أو الفاعلية أي: لات يحصلُ مجيرُ ، أو لات له مجيرُ ، و"لات" مهملة لعدم دخولها على الزمان[6].

وعليه قُرأ قوله تعالى:**[وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ]**[7].

برفع "حينُ" على الابتداء، والتقدير : ولا حين مناص كائن لهم ، وقيل: إنه الاسم والخبر محذوف وهو قليل[8] .

وخلاصة ما وجدناه في اختلاف العرب في حركة ما بعد "لات" التي أدتْ إلى إجهاد النحويين لعقولهم في إعراب هذه الحركات كما يلي :

فلو أخذنا المرفوع بعدها رأينا سيبويه وجمهور البصريين والكوفيين يعدونه اسماً لها. وعلى هذا النحو قرأ عيسى الثقفي[1]. "ولاتَ حينُ مناصٍ "[2]. أما رأي الأخفش فإن المرفوع مبتدأ .

---

[1] ـ البيت من شواهد الكواكب الدرية ، 1/ 232 ، وخزانة الأدب ، 4/ 168، وحاشية الصبان ، 1/ 255 ، وشرح وشذور الذهب ، ص 260 ، و العيني، محمد بن احمد ، المقاصد النحوية في شرح شواهد شوح النحوية الالفية ، مطبوع مع خزانة الاداء ،دار صادر ،بيروت، بدون ت ، 2/ 146 ، الدرر اللوامع ، 1/ 99.

[2] ـ انظر الدرر اللوامع ، 1/ 99.

[3] ـ التميمي هو عبد الله بن أيوب ، ويكنى أبا محمد ، عربي من أهل اليمامة ، فصيح كلامه ، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، ديوانه الحماسة ، بدون، ط ، ت, ص 270.

[4] ـ منصور بن زياد : أحد وجوه الدولة العباسية ، وكان ابنه كاتباً للبرامكة ، ديوان الحماسة ، ص 270.

[5] ـ البيت من شواهد شرح الأشموني ، 1/ 430 ، وحاشية الصبان 1/ 256 ، وديوان الحمـــاسـة ، ص 270 .

[6] ـ شرح الأشموني ، 1/ 431 .

[7] ـ سـورة ص : 3.

[8] ـ الكشاف ، 1/ 359، و شرح ابن عقيل ، 1/ 250.

ولو أخذنا المنصوب بعدها ، وجدنا سيبويه والجمهور يعدونه خبراً لها باعتبارها عاملة عمل ليس . أما الأخفش فيراه منصوباً بفعل مضمر وتقديره : لا أرى حين مناص ، وتابعه في ذلك السيرافي[3]، وأبو حيان. وللأخفش لهذا المنصوب قولٌ ثانٍ وهو أنه اسم "لات" . وأما خبرها فمرفوع ومحذوف، "ولات" في هذه الحال هي "لا" التبرئة زيدت عليها التاء .

أما المجرور بـ "لات" الذي أورده الفراء فتوجيهه أن "لات" مضاف إليها وإنما عملت فيه الجر[4].

وقد جاءت "لات" غير مضاف إليها "حين" ولا مذكور بعدها "حين" ولا مرادفة في قول الأفوه :

تَرَكَ النَّـاسُ لنَّا أكتافَهُـمْ * وتَوْلَوْا لاتَ لَمْ يُغْنِ الفـرِارُ**[5]

الشاهد " لاتَ لَمْ يُغْنِ الفِرارُ " وهي هنا حرف نفي مؤكد بحرف النفي وهو "لم" وليست عاملة[6].

المحور الرابع :(إنْ):

---

[1] ـ هو أبو سليمان ، عيسى بن عمر الثقفي بالولاء ، من أئمة اللغة ، أول من هذب النحو ورتبه ، ومن كتبه "الجامع" ، و "الإكمال" توفي سنة 149هـ . انظر. الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين ، والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ،ط6 . خير الدين الزركلي ، 1984 م،

5/ 106 .

[2] ـ سورة ص : 3.

[3] ـ هو أبو سعيد ، الحسن بن عبد الله بن المرزبان القاضي ، والسيرافي نسبة إلى سيراف "مدينة بفارس" هو إمام في النحو والفقه واللغة والشعر، وكثير من العلوم ، من أهم مصنفاته "شرح كتاب سيبويه" وله كتب أخرى ، مات سنة 368هـ . انظر السيوطي , عبدالرحمن جلال الدين ,بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة , دار الفكر , بيروت , ط 2، 1979م , 507/1 .

[4] ـ انظر شرح المفصل ، 2/ 117 ، والجنى الداني ، ص 488 ـ 489 .

[5] ـ البيت من شواهد ارتشاف الضرب ، 2/ 113 ، وهمع الهوامع ، 2/ 125 .

[6] ـ همع الهوامع ، 2/ 125 .

وأما "إنْ"النافية بكسر الهمزة وسكون النون فتعمل عمل ليس في لغة أهل العالية . وهم ما فوق نجد إلى أرض تهامة وإلى ما وراء مكة وما والاها والنسبة إليها عالي[1] . بالشروط المتقدمة في "ما" سواء كان اسمها معرفة أو نكرة نحو : "إنْ زيدٌ قائماً" . وأنكرها أكثر البصريين . وقيل لا تأتي إلا مع "إلا" ، وهي من الحروف التي لا تختص فكان القياس ألا تعمل فلذلك منع إعمالها الفراء وأكثر البصريين . وأجاز إعمالها الكسائي ، وأكثر الكوفيين ، وابن السراج[2] والفارسي وابن جني وابن مالك وصححه أبو حيان ، لمشاركتها لـ "ما" في النفي وكونها لنفي الحال ، وللسماع. وحكي عن أهل العالية : إنْ ذلك نافِعَكَ ولا ضَارَكَ ، وإنْ أحدٌ خيرٌ من أحدٍ إلا بالعافيةِ . وسمع الكسائي إعرابياً يقول: "إنَّا قائماً" فأنكرها عليه وظن أنها "إنَّ" المشددة ، وقعت على قائم . قال: فاسْتَتْبَتَّهُ ، فإذا هو يريد إنْ أنا قائماً . فترك الهمزة وأدغم على حدِّ قوله تعالى: **[لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ]**[3].

وقرأ سعيد بن جبير[4] قوله تعالى :**[إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ]**[5]. بتخفيف "إنَّ" وكسرها لالتقاء الساكنين ونصب عباداً بالخبرية وأمثالكم بالنصب أيضاً نعتٌ ل"عباداً"[6] .

وإنَّ "إنْ" فإعمالها نادر ومنه قول الشاعر:

إنْ هو مُسْتَوْلياً على أحَدٍ * إلا على أضْعَفِ المَجانِين**[7]

---

[1] ـ الكواكب الدرية ، 1/ 230 .

[2] ـ هو أبوبكر، محمد بن السري بن سهل ، أديب لغوي من أهل بغداد ، أخذ عن المبرد ، وأخذ عنه الزجاجي ، والسيرافي ، وأبو علي الفارسي ، ويقال : مازال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله ، من كتبه : "الأصول" ، و"شرح كتاب سيبويه"، و"الموجز في النحو " ، و"العروض " ، توفي سنة 316هـ . الأعلام ، 6/ 136 .

[3] ـ سورة الكهف : 38.

[4] ـ. هو أبو عبد الله ، سعيد بن جبير الأسدي بالولاء الكوفي ، "45هـ ــ 95هـ " أعلم التابعين ، وهو حبشي الأصل ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس ، انظر الأعلام، 93/3 .

[5] ـ سورة الأعراف : 194

[6] ـ الكواكب الدرية ، 1/ 231 ، وهمع الهوامع ، 1/ 395 .

[7] ـ البيت من شواهد الكواكب الدرية ، 1/ 231 ، وهمع الهوامع ، 395/1 ، وأوضح المسالك ، 1/ 280 ، وخزانة الأدب ، 4/ 166 ، وحاشية الصبان ، 1/ 255 ، والعيني ، 2/ 113 ، وشرح شذور الذهب ، ص 360، والجنى الداني ، ص 209 .

الشاهد منه " إنْ هو مُسْتَوْلياً " حيث أعمل "إنْ"النافية عمل ليس فرفع بها الاسم الذي هو الضمير المنفصل ، ونصب خبرها الذي هو قوله "مستولياً" وهو مذهب الكسائي.

وهذا الشاهد يرد على الفراء وأكثر البصريين الذين ذهبوا إلى أن "إنْ"النافية لا تعمل شيئاً في المبتدأ ولا في الخبر ، ووجه الرد من البيت ورود الخبر اسماً مفرداً منصوباً بالفتحة الظاهرة ولا ناصب له في الكلام إلا "إنْ" وليس لهم أن يزعموا أنه شاذٌ لوروده في الشعر والنثر كثيراً نحو قول أهل العالية : "إنْ أحدٌ خيراً من أحدٍ إلا بالعافية " . ويؤخذ من هذا الشاهد أيضاً أنَّ "إنْ" النافية مثل "ما" في أنها لا تختص بالنكرات كما تختص بها "لا" فإن الاسم في البيت ضمير .

ويؤخذ منه أيضاً أن انتقاض النفي بعد الخبر بـ "إلا" لا يقدح في العمل لأنه استثنى بقوله إلا على أضعف المجانين[1] . وتكون "إنْ" زائدة في مواضع :

أحدها: بعد "ما" النافية وذلك في قول الشاعر:

حَلفْتُ لها باللهِ حَلفةَ فَاجِرٍ * لنَامُوا فَمَا إنْ مِنْ حَديثٍ ولا صَالِ [2]**

والتقدير : فما حديث ولا صال منتبه أي: ذو حديث .

ثانيها: بعد "ما" الموصولة كقول الشاعر :

يُرْجَى المَرءُ مَا إنْ لا يـرَاهُ * وتَعرِضُ دونَ أبْعَدهِ الخُطـوبُ[3]**

أي: الذي لا يراه

ثالثها: بعد "ما" المصدرية كقول الشاعر:

ورَجَّ الفَتَى للخيرِ مَا إنْ رَأيَتَهُ * على السنِّ خَـيراً لا يزالُ يزيـدُ[4]**

الشاهد منه وقوع "إنْ" زائدة بعد "ما" الظرفية المصدرية؛ لشبهها لفظاً بـ "ما" النافية .

---

[1] ـ انظر الكواكب الدرية ، 1/ 232 ، ومصباح السالك إلى أوضح المسالك ، 1/ 281 .

[2] ـ البيت من شواهد همع الهوامع ، 1/ 394 ، والجنى الداني ، ص 135 ، وخزانة الأدب ، 10/ 71 ، وشواهد المغني ، 1/ 341 ، وشرح المفصل ، 20/9، ومغني اللبيب ، 173/1.

[3] ـ البيت من شواهد همع الهوامع ، 1/ 395 ، خزانة الأدب ، 8/ 440، والجنى الداني، ص 210، والدرر اللوامع ، 2/ 110.

[4] ـ البيت من شواهد همع الهوامع 1/ 396 ، وشرح التصريح ، 1/ 189 ، والعيني، 2/ 22، وأوضح المسالك ، 1/ 242 ، والجنى الداني، ص 211.

رابعها: بعد "ألا" الاستفتاحية كقول الشاعر:

ألا إنْ سَرَى لَيْلِي فَبِتُّ كَئِيباً * أحاذرُ أنْ تنأى النَّوَى بَغَضُوبا**[1]

الشاهد منه "إنْ" زائدة بعد "ألا" الاستفتاحية .

خامسها: قبل همزة الإنكار ، قيل لأعرابي: أتخرج إنْ أخصبت البادية ؟ فقال: أأنا أنِيه؟ منكراً أن يكون رأيه على خلا ف ذلك . وزعم قطرب[2] : أن "إنْ" تأتي بمعنى "قدْ" وخرج عليه قوله تعالى: **[فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى]**[3].

وزعم الكوفيون أنها تأتي بمعنى : "إذْ" وخرجوا عليه قوله تعالى :**[لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آَمِنِينَ]**[4]. . والجمهور أنكروا الأمرين ، وقالوا: هي في الآيتين شرطية . والقصد في الأولى : التهييج ، وفي الثانية : التبرك[5] .

الدراسة التطبيقية :

قال تعالى : [وَمَآ أَنتَ عَلَيهِم بِوَكِيلٍ ٤١][6] أي : لست مأموراً بأن تحملهم على الإيمان .[7] (ما) : المشبهة بليس , لا محل من الإعراب . (أنت) : في محل رفع اسم (ما) . بوكيل : الباء زائدة داخلة على خبر (ما) , والجار والمجرور نصب خبر (ما).

وقوله تعالى : [وَمَا هُم بِمُعجِزِينَ ٥١][8] (ما) : مشبهة بليس لا محل لها من الإعراب . هم : في محل رفع اسم (م) المشبهة بليس . بمعجزين : الباء زائدة , والجار والمجرور في محل نصب خبر (ما).[9]

---

[1] ـ البيت من شواهد همع الهوامع ، 1/ 396، وخزانة الأدب ، 8/ 443 ، والدرر اللوامع ، 2/ 111 ، والجني الداني ، ص 211.

[2] ـ هو أبو علي ، محمد بن المستنير بن أحمد، نحوي ، عالم بالأدب واللغة ، من أهل البصرة ، من كتبه "معاني القرآن"و "النوادر" ،و "الأزمنة" و "الأضداد" ، توفي سنة 206هـ . الأعلام ، 7/ 95 .

[3] ـ سورة الأعلى : 9.

[4] ـ سورة الفتح : 27.

[5] ـ انظر همع الهوامع ، 1/ 395- 396 .

[6] ـ سورة الزمر : 41 .

[7] ـ ابن عادل أبو حفص عمر بن علي , اللباب في علوم الكتاب , دار الكتب العلمية بيروت , ط1 , 1998م , 519/16 .

[8] ـ سورة الزمر : 51 .

[9] ـ الخراط , أحمد بن محمد , مشكل إعراب القرآن , مجمع الملك فهد , بدون ط. ت . 464/1 .

وقوله تعالى : [وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦١]1 (لا) :المشبهة بليس , لا محل لها من الإعراب . هم : في محل رفع اسم (لا) . يحزنون : فعل مضارع في محل نصب خبر (لا) المشبهة بليس[2]

وقوله تعالى : [أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٣٢]3 أ : الهمزة للاستفهام , لا محل لها من الإعراب. ليس : فعل ماض جامد مبني على الفتح من أخوات كان لا محل له من الإعراب . في جهنم : جار ومجرور في محل نصب خبر ليس مقدماً . مثوى : في محل رفع اسم ليس مؤخراً . للكافرين : جار ومجرور متعلق بالخبر .

وقوله تعالى : [أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ]4 اسم الجلالة : اسم ليس مرفوع , بكاف : الباء زائدة داخلة على الخبر في محل نصب خبر ليس .

وقوله تعالى : [أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠]5 في جهنم : جار ومجرور في محل نصب خبر ليس مقدماً . مثوى : في محل رفع اسم ليس مؤخراً . للمتكبرين : جار ومجرور متعلق بالخبر .

الخاتمة:

الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات وأشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً عبده ورسوله , بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده وعبد الله حتى أتاه اليقين وأحمده أن أعانني على إكمال هذه الدراسة النحوية التي جاءت بعنوان (الحروف المشبهة بليس) في سورة الزمر دراسة تطبيقية .

وأهم ما توصلت إليه الدراسة , إن القرآن الكريم لا يخالف القواعد النحوية لأنه المصدر الأول لتقعيد القواعد النحوية , حيث أن (ما) وردت في سورة الزمر مرتين ,

[1] ـ سورة الزمر : 61 .
[2] ـ سمين الحلبي , الدر المصون في علم الكتاب المكنون , مكتبة مشكاة الإسلامية , بدون , ط. ت , 226/1 .
[3] ـ سورة الزمر :32.
[4] ـ سورة الزمر :36 .
[5] ـ سورة الزمر . 60 .

ووردت (لا) مرة واحدة , ووردت (ليس) ثلاث مرات , و (لات) لم ترد في سورة الزمر فحسب بل في القرآن الكريم كله حاشا سورة (ص) .

وأوصت الدراسة بالبحث في الحروف المشبهة بليس وذلك لإثراء الدرس النحوي .

قائمة المصادر

1ـ الاسترابادي، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن , شرح الرضي على كافية ابن الحاجب , تحقيق د. عبدالعال سالم مكرم , عالم الكتب , القاهرة , ط1 , 1421هـ . 2001م

2 . الأشموني ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، تحقيق د. عبد الحميد السيد محمد ، المكتبة الأزهرية للتراث ، بدون، ط، ت .

3 . الأعشى , أبو بصير ميمون بن قيس ,ديوانه , دار صادر , بيروت , بدون ت ط .

4. الأنباري , عبد الرحمن بن محمد عبد الله ، أسرار العربية ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية – بيروت ط1 , 1418هـ . 1997م .

5ـ الاهدل ،محمد بن احمد بن عبدالبارى ، الكواكب الدرية على متممة الاجرومية ،مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت ،1420هـ .2000م

6ـ البغدادي , عبدالقادر عمر ,خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية بدون ت ط .

7 . الحيدرة ، على بن سليمان ، كشف المشكل في النحو ، تحقيق هادي عطية ، ص 344 ، ط1 ، 1984م .

8ـ الخراط , أحمد بن محمد , مشكل إعراب القرآن , مجمع الملك فهد , بدون ط. ت . 464/1

9. الزمخشري , أبو القاسم محمود بن عمر ,الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق محمد عبدالسلام شاهين , دار الكتب العلمية بيروت , 1415هـ . 1995م

10. سيبويه ،أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ،تحقيق عبدالسلام هارون ،دار الكتاب العربي ،1388هـ -1986م .

11. سمين الحلبي , الدر المصون في علم الكتاب المكنون , مكتبة مشكاة الإسلامية , بدون , ط. ت .

12. السيوطي ، عبدالرحمن جلال الدين ،وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع تحقيق احمد شمس الدين ، منشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت ،ط1418،1هـ - 1998م

13. ..... ، شواهد المغنى ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ، بدون ط ، ت .

14 - ..... ,بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة , دار الفكر , بيروت , ط 2، 1979م .

15- .....,الأشباه والنظائر ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان 1405هـ – 1984م

16. الشنقيطي، احمد امين ، الدرر اللوامع على همع الهوامع بشرح جمع الجوامع في العلوم العربية ،دار المعرفة للطباعة والنشر ،بدون ت .

17. الصبان ، محمد على ،حاشية الصبان على شرح الاشموني ،تحقيق ابراهيم شمس الدين ،منشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية ،بيروت ط1،بدون ،ت.

18. العيني، محمد بن احمد ، المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية ، مطبوع مع خزانة الأدب ،دار صادر ،بيروت، بدون ت .

19 المرادي ، الحسين بن ام القاسم ،الجنى الداني للحروف المعاني ، تحقيق دكتور د. فخر الدين قباوة ، محمد كريم فاضل بيروت ط2 ,1983م .

20- ابن جني ابو الفتح عثمان ،والخصائص ،تحقيق محمد على النجار ،دار الكتب المصرية ،القاهرة ،ط1376،1هـ - 1956م .

21. ابن عادل أبو حفص عمر بن علي , اللباب في علوم الكتاب , دار الكتب العلمية بيروت , ط1 , 1998م .
22. ابن عقيل ،بهاء الدين عبدالله بن عقيل،شرح ابن عقيل ، تحقيق محمد محي الدين ،مكتبة التراث ،القاهرة ،ط2،يوليو 1980م .
23. ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، الصاحبي، تحقيق د. عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط1 ، 1414هـ - 1993م
24. ابن هشام ، جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري,شرح قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق حنا الفاخوري ، دار الجيل بيروت ط1 1992م .
25 . ..... أوضح المسالك علي ألفية ابن مالك ، راجع الكتاب وصححه وصنع فهارسه يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر بيروت،1414 هـ .
26. ..... مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، تحقيق محمد محي الدين ،المكتبة العصرية ،1992م .
27. ابن يعيش ،وفق الدين بن عيش بن على ،شرح المفصل ،عالم الكتب ،بيروت ،مكتبة المتنبي ،القارة ،بدون ت،ط .
28. أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، ديوانه الحماسة ، بدون، ط ، ت.
29. أبو حيان الأندلسي , محمد بن يوسف ,ارتشاف الضرب من لسان العرب , تحقيق د. مصطفى أحمد النماس , ط1 , 1997م
30..... ، تقريب المقرب ، تحقيق د. عفيف عبد الرحمن ، بيروت ، ط2 ، 1982م.
31. بركات يوسف هبود مصباح السالك إلى أوضح المسالك , راجع الكتاب وصححه وصنع فهارسه يوسف الشيخ محمد البقاعي , دار الفكر للطباعة والنشر , 1414هـ 1994م .
32. خير الدين الزركلي ، (1984 م) ، الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين ، والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ،ط6 .

33ـ ذوالرمة , غيلان بن عقبة العدوي ,ديوانه ، تحقيق كارل هنري هيس , كمبردج , 1919م

34ـ عبد السلام محمد هارون , معجم شواهد العربية ،مكتبة الخانجي بالقاهرة , ط3 , 2002م

35. محمد محي الدين، الانتصاف من الإنصاف ، 1/ 77 ، دار الفكر ، بدون ، ط، ت .